لا شيء يبقى للأبد



أرامل الخميس

كلاوديا بينيّرو

ترجمة: خالد مكاوي

العربي للنشر والتوزيع

روايات مترجمة



أرامل الخميس

أرامل الخميس

تأليف: كلاوديا بينيرو

ترجمة: خالد مكاوي

تحرير: هدى فضل المولى

مراجعة لغوية: محمد حامد بكر

الطبعة الأولى: 2017

رقم الإيداع: 2017/1764

الترقيم الدولي: 9789773193089

شكر خاص على الغلاف لفريق Plus Two



60 شارع القصرالعيني – 11451 - القاهرة

ت: 27921943 - 27954529 فاكس: 27947566

www.alarabipublishing.com.eg

Obra editada en el marco del programa "SUR" de Apoyo a las Traducciones del Ministerio de Relaciones Exteriores y Culto de la Republica Argentina.

هذا العمل نُشِرَ ضمن برنامج "SUR" لدعم الترجمة الذي تقدمه وزارة الخارجية، والشؤون الدينية الأرجينتينية.

كلاوديا بينيرو

أرامل الخميس

رواية من الأرجنتين

ترجمة: خالد مكاوي



بطاقة فهرسة

بينيرو، كلاوديا

أرامل الخميس: رواية من الأدب الأرجنتيني/ تأليف كلاوديا بينيرو، ترجمة: خالد مكاوي.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2017،

ص؛ سم.

1- القصص الأرجنتينية

2- القصص الأسبانية

أ- مكاوي، خالد (مترجم)

ب- العنوان 863

"نعـم، لـديَّ خـدع في جيبـي، ولكننـي عكـس الـساحر الواقـف عـلى خـشبة المـسرح، فالـساحر يـوهمكم بمظهـر الحقيقة لما يفعلـه، بيـنما أعطـيكم أنـا الحقيقـة مـن خـلال الإنكار الرائع للوهم، ولأبدأ بهذا، أعيد ترتيب الزمن، وأعيـده إلى تلـك الفـترة الطريفـة، الثلاثينـات، عنـدما كانـت الطبقـة المتوسطة الكبيرة لأمريكا ملتحقة بمدرسة العمى".

"تينيسي ويليامز"، (تماثيل الوحوش الزجاجية)

"من دون عبيد، لن تكون هناك مأساة، حيـث سـتوجد الـدراما البرجوازيـة الـشحيحة فقـط، فأثنـاء غـسلك لفنجـان الـشاي الخـاص بـك، وإفراغـك لطفايـات الـسجائر، ينحـسر الشغف".

"مانويل بوتش"، (تحت عباءة النجوم)

1



فتحت الثلاجة وتوقفت أمامها للحظة ممسكةً بالباب، يغلِّفني الضوء البارد، بينما أحدِّق مشدوهةً في الرفوف المضاءة. صوت تحذيري فقط هو الذي ظل مسموعًا، لأن باب الثلاجة كان مفتوحًا، والهواء البارد يتسرب خارج الثلاجة. أرجعني إلى صوابي، وذكرني بسبب وقوفي أمام الثلاجة. بحثت عن شيء لآكله، فجمعت بقايا طعام الأمس في طبق، وسخنتها في الميكروويف، ثم وضعتها على الترابيزة. لم أضع سوى مفرش صغير مصنوع من الخوص أحضرته من البرازيل منذ عامين، خلال آخر إجازة قضيناها نحن الثلاثة سويًا، أقصد كعائلة. جلست أمام النافذة، لم يكن هذا مكاني المعتاد على الترابيزة، ولكنني أحببت النظر إلى الحديقة أثناء تناولي الطعام وحدي. تلك الليلة، الليلة الموعودة. حينها كان "روني" يتناول العشاء في منزل "إلتانو سكاليا"، كعادة كل خميس، إلا أن ذلك اليوم كان مختلفًا. كان هذا الخميس في شهر سبتمبر عام 2001. الخميس الموافق السابع والعشرين من سبتمبر عام 2001. ذلك الخميس. كنا لا نزال مصدومين بعد الهجوم على البرجين وكنا نفتح الخطابات بحذر مرتدين القفازات المطاطية خوفًا من وجود البودرة البيضاء (أنثراكس) بداخلها. خرج "خواني". لم أسأله إلى أين، أو مع مَنْ، فهو لا يحب أن يسأله أحد، ولكنني أعرف على أية حال، أو اعتقدت أنني أعرف.

أكلت من دون أن أوسخ أية أطباق تقريبًا، حيث تقبلت منذ عدة سنوات ماضية حقيقة أننا لن نحتمل تكاليف خادمة منزلية تعمل بدوام كامل، والآن تأتي امرأة مرتين فقط في الأسبوع للقيام بالأعمال المنزلية الثقيلة. في نفس الوقت، تعلمت إحداث أقل فوضى ممكنة؛ فعرفت كيفية الحفاظ على ملابسي مكوية وكيفية ترك أغطية السرير مفرودة قدر المستطاع. لم تمثِّل تلك الأعمال

حملًا كبيرًا، ولكن غسيل الصحون، وترتيب الأسرّة، وكي الملابس ذكرني بما كان لديَّ يومًا ما، وفقدته.

فكَّرت في الخروج للتمشية، ولكنني قلقت من مقابلة "خواني" صدفة، فيظن أنني أتجسس عليه. الجو حار، والليلة مليئة بالنجوم. لم أرد الذهاب إلى النوم لأنني غالبًا سأظل مستيقظة بسبب قلقي بشأن صفقة الملكية التي لم تكتمل بعد. في هذا الوقت، بدا الأمر وكأن كل صفقة محكوم عليها بالفشل قبل أن أحظى بفرصة تحصيل عمولتي. نحن نجونا منذ أشهر قليلة بالفعل من الأزمة الاقتصادية. حاول بعض الناس تجميل الوضع، ولكن حياتنا جميعًا تغيرت بطريقة أو بأخرى، أو أصبحت على وشك التغير. اتجهت لغرفتي لأبحث عن سيجارة، وقررت أن أخرج بغض النظر عن "خواني"، وددت أن أدخِّن أثناء تمشيتي. لذا، فأثناء مروري بغرفة ابني، فكرت في دخولها بحثًا عن سيجارة، ولكنني كنت على علم أنني لن أجد أية سجائر عنده. ببساطة قد يكون هذا عذرًا لدخول غرفته وتفتيشها، وهو ما فعلته هذا الصباح بالفعل أثناء ترتيب سريره وتوضيب غرفته، ولم أجد ما كنت أبحث عنه أيضًا. ذهبت إلى غرفتي، حيث توجد علبة جديدة على الكومودينو، فتحتها وأخذت سيجارة، أشعلتها ونزلت السلالم، لأخرج. كان هذا عندما دخل "روني" وتغيرت خطتي. لم تجرِ هذه الليلة كما كان متوقعًا لها.

ذهب "روني" مباشرة إلى البار، فقلت له وأنا واقفة عند السلم:

- غريبة، عدت مبكرًا جدًّا..

- نعم.

وصعد إلى الدور العلوي ومعه كأس وزجاجة ويسكي. انتظرت للحظة في مكاني، ثم تبعته. مررت على غرفتنا، ولكنه لم يكن بها، ولم يكن بالحمام أيضًا. خرج إلى البلكونة وتمدد على الكرسي ليشرب. سحبت كرسيًا وجلست بجانبه منتظرة، تتبعت نظراته، ولكنني لم أقل شيئًا. أردته أن يخبرني بشيء ما، ليس شيئًا مهمًا أو مرحًا أو حتى جادًا بشكل خاص، ولكن أن يلعب دوره

في عملية التبادل الهزلية التي وصلت إليها حواراتنا عبر السنين. عقدنا اتفاقًا صامتًا بتكوين مجموعة عبارات متصلة، لملء الصمت بالكلمات، هدفنا ألا نلتفت للصمت الذي طوَّقنا أبدًا. كانت كلمات فارغة، مجرد قشور كلمات. وإذا ما اشتكيت يومًا، يجادلني "روني" بأن حديثنا قلّ لأننا نقضي وقتًا طويلًا معًا، فكيف نجد ما هو جديد لنتحدث عنه ولم نفترق أغلب أوقات اليوم؟ هكذا كانت أحوالنا دائمًا منذ أن فقد "روني" وظيفته منذ ستة أعوام ولم يجد أية وظيفة أخرى، باستثناء مشروع أو مشروعين لم يساويا شيئًا. لم أُقلق نفسي باكتشاف لماذا تجردت علاقتنا تدريجيًا من الكلمات، بقدر ما قلقت بملاحظتي مؤخرًا بأن الصمت قد حجز لنفسه مكانًا في منزلنا، كالقريب البعيد الذي لا تملك خيارًا تجاهه غير أن تستضيفه وتعتني به. لماذا لم يؤلمني هذا كثيرًا؟ ربما لأن الألم ترسَّخ تدريجيًا وفي صمت، مثل الصمت نفسه.

قلت:

- سأحضر كأسًا.

فناداني "روني" عندما دخلت للغرفة:

- احضري بعض الثلج يا "فرجينيا".

ذهبت للمطبخ، وأثناء إحضاري المزيد من الثلج فكرت في الأسباب المختلفة لعودة "روني" مبكرًا. انتابني هاجسٌ بأنه تشاجر مع شخص ما، مع "إلتانو سكاليا" أو"جوستافو" بالتأكيد، وليس مع "مارتن يوروفيتش"، لأن "مارتن" توقف عن الشجار - حتى مع نفسه - منذ سنوات. عندما عدت إلى البلكونة، سألت "روني" صراحة، لا أريد أن أكتشف الموضوع في اليوم التالي أثناء مباراة للتنس من زوجة شخص آخر. منذ فقدانه لوظيفته، أصبح يغضب لأتفه الأسباب. كما اكتسب عادة التعليق على أي شيء مستخدمًا عبارات غير لطيفة بالمرة.

- لا، لم أتشاجر مع أحد.

- إذن لماذا عدت مبكرًا جدًّا؟ لم تعد للبيت أبدًا يوم الخميس قبل الثالثة فجرًا.

- وها أنا أفعلها اليوم.

لم يقل شيئًا بعدها، ولم يترك لي المجال لأقول أي شيء أيضًا، حيث وقف وقرّب كرسيه من السور، وأدار ظهره لي. كانت تلك الإيماءة أقرب للرفض منها لشخص يسعى لأفضل نقطة تمكنه من الاستمتاع بالمشاهدة. يقع منزلنا مقابل بيت آل "سكاليا"، يفصلنا عنه بيتان أو ثلاثة، ولكن بما أن منزلنا أطول فباستطاعتنا رؤية معظم حديقتهم وحمام سباحتهم على الرغم من وجود أشجار "حور" عائلة "إيتورياس" التي تعيق المشهد. كان "روني" ينظر إلى حمام السباحة، كانت الأضواء مطفأة ولا يمكن رؤية شيء باستثناء أشكال وخطوط مبهمة، وتستطيع أن تحدد حركة الماء ورسم الظلال المتغيرة على البلاطات الفيروزية.

نهضت واستندت على ظهر كرسي "روني". حفيف شجر "الحور" أثناء تحركها مع الهواء الدافئ جعل صمت الليل أكثر وضوحًا، محدثًا صوتًا يشبه صوت المطر في الليلة المرصعة بالنجوم. لم أكن متأكدة من بقائي أو ذهابي لأنه لم يلمِّح إلى أن أذهب وأتركه، وهذا شيء مهم بالنسبة لي. راقبته أثناء وقوفي خلفه. ظل يتململ على الكرسي من دون أن يجد وضعًا مريحًا للاستلقاء؛ بدا مرتبكًا. فيما بعد اكتشفت أن الخوف هو المشكلة وليس القلق، ولكنني لم أعرف في ذاك الوقت، ولم أكن حتى لأشك في أي شيء، لأن "روني" لم يخف من شيء أبدًا. ولا حتى من ذلك الأمر المخيف الذي أرعبني لعدة شهور، وطاردني ليل نهار. ذلك الخوف الذي جعلني أنسى ما كنت أفعله أثناء وقوفي أمام الثلاجة. ذلك الخوف الذي دائمًا ما لازمني حتى أثناء تظاهري بخلاف هذا، حتى أثناء ضحكي، أو دردشتي بخصوص شيء ما، أو لعبي للتنس، أو توقيعي لوثيقة ما. تلك الليلة، وعلى الرغم من بُعد "روني"، دفعني الخوف لأن أقول بهدوء مصطنع:

- خرج "خواني".

- مع مَنْ؟

- لم أسأله.

- ومتى سيعود؟

- لا أعرف، ذهب وهو يرتدي "الباتيناج".

حلّ صمت آخر ثم قلت:

- هناك رسالة من "رومينا" على "الأنسر ماشين". قالت إنها بانتظاره ليخرجا ويتجولا، هل ممكن أن تكون عبارة "التجول" شفرة بينهما؟

- الجولات تبقى جولات يا "فرجينيا".

- بالتالي يجب ألا أقلق؟

- لا.

- لا بد أنه معها.

- لا بد أنه معها.

وغرقنا في الصمت مرة أخرى.

تبادلنا كلمات كثيرة بعدها، على ما أظن، على الرغم من أنني لا أتذكر. المزيد من تلك العبارات الجاهزة التي اعتدنا عليها. صبّ "روني" لنفسه كأسًا أخرى ومررت له الثلج. أمسك حفنة من مكعبات الثلج وسقط بعضها على الأرضية وانزلق تجاه السور، تابعهم بعينيه وبدا كأنه نسي أمر البيت المقابل للحظة، نظر لمكعبات الثلج، ونظرت إليه. كنا على وشك أن نظل في هذا الوضع، ولكن في تلك اللحظة أضاء حمام سباحة بيت آل "سكاليا" واستطعنا سماع الأصوات من بين أوراق شجر "الحور"، ضحكة "إلتانو"، موسيقى.. بدت كأنها نوع من موسيقى الجاز المعاصرة.

فسألته:

- "ديانا كارال"؟

لم يجبني. أصابه التوتر مجددًا، فوقف وركل مكعبات الثلج التي سقطت منه، ثـم جلـس مجددًا. رفع قبضته إلى فمه وأخذ يجز على أسنانه. إنه يخفي شيئًا ما عني. ربما يتعلـق الأمـر بما يراقبه بهذا الاهتمام الآن. أو ربما ضايقه شيءٌ آخر؛ جدال مع أحدٍ، استياءٌ من شيءٍ، أو ربمـا داعبه أحدهم بطريقة سمجة، لو أن هذا هو السبب، فغالبًا "إلتانو" هـو مـن ضـايقه. نهـض "روني" مرةً ثانيةً وذهب للسور لكي يرى بطريقة أفضل. شرب آخر قطرة ويسكي بكأسه. كـان يقف حائلًا بيني وبين ما يراقب بهذا الاهتمام. فجأة، سمعت صـوت ارتطـام شيء مـا بالميـاه، غالبًا قفز أحد عائلة "سكاليا" في حمَّام السباحة.

فسألته:

- مَنْ قفز؟

لم أتلق إجابـة، وفي الحقيقـة لم يهمنـي مَـنْ قفـز في حـمام الـسباحة، ولكننـي اهتممـت بالصمت، الذي كان مثل الحائط الذي ظللت أقرع عليه في كـل مـرة حاولـت فيهـا الاقـتراب. وبعد أن تعبت من المحاولات العقيمة، قررت أن أنزل، ليس لأنني تضايقت، ولكـن لأنـه مـن الواضح أن "روني" ليس معي على الإطلاق، بل كان يتخيل نفسه هناك على الجانب الآخر مـن الشارع، يلقي بنفسه في حمام السباحة مع أصدقائه. وبينما كنـت لا أزال عـلى قمـة الـسلالم، توقفت موسيقى الجاز المنبعثة من بيت "إلتانو" في منتصف الكوبليه تمامًا.

نزلت إلى المطبخ وغسلت كأسي أكثر من اللازم، حيـث امـتلأت رأسي بأفكـار كثـيرة لا يستطيع احتمالها. كنـت أفكـر في "خـواني" ولـيس في "روني"، مهـما حاولـت إلهـاء نفـسي لتجنب التفكير فيه. ومثل أولئك الذين يحصون الخراف حتـى ينـاموا، ركـزت في الأعـمال المعلقة في وكالة العقارات: مع مَنْ سأذهب لمعاينة منزل "جوميز باردو"، كيف سـأذهب لدفع تأمينات مزاد "كانيتي"، وذلك التأمين الذي نسيت أن أضيفه لحساب "أبريفايا". ثم برز "خواني" مرة أخرى في تفكيري وليس "روني"، برز "خواني" بـشكل أكـثر حـدة، جففـت الكأس ووضعته، ثم التقطته مرة أخرى وملأته بالماء، كنت بحاجـة لـشيء يـساعدني عـلى

النوم تلك الليلة، شيء يجعلني أغيب عن الوعي. لا بد أن هناك قرصًا بخزانة الدواء قادرًا على هذه المهمة. لحسن الحظ لم أجد الوقت الكافي لكي آخذ أي شيء، لأنني سمعت صوت خطوات متعجلة، ثم صرخة بعدها، صوتًا هزيلًا قاسيًا لشيء يصطدم بالأرض. جريت إلى الخارج، فوجدت زوجي راقدًا على الأرضية يغطيه الدم وتبرز إحدى عظام ساقه من جلده. أُصبت بالدوار، وكأن كل شيء يدور حولي، ولكنني أدركت وجوب بقائي متماسكة لأنني بمفردي وعليّ أن أعتني به، والحمد لله أنني لم آخذ شيئًا لأنه يجب أن أقوم بإيقاف النزيف. لم أعرف كيف يتم هذا، هل أربط خرقة بشكل ما، أو فوطة نظيفة، لحجز الدماء ثم أتصل بالإسعاف، لا، ليس الإسعاف لأنهم سيستغرقون وقتًا طويلًا حتى يصلوا، من الأفضل الذهاب مباشرة إلى المستشفى وترك ورقة لـ"خواني" أكتب فيها: "ذهبت أنا وأبوك لعمل شيء ما ولكننا سنعود سريعًا، إذا ما احتجتني، كلمني على الموبايل، كل شيء على ما يرام، آمل لك الخير أيضًا، حبيبتك ماما".

وأثناء سحبه للسيارة، صرخ "روني" من الألم، جفلت من صرخته:

- "فرجينيا"، خذيني إلى "إلتانو"!

تجاهلت هذا، واثقة من أنه يهذي، وبطريقة ما أوصلته إلى مقعد السيارة الخلفي.

صرخ مرة أخرى قبل فقدانه للوعي:

- خذيني لـ"إلتانو" بحق الجحيم!

(وفيما بعد في المستشفى قالوا إنه كان يصرخ بسبب الألم، ولكن الأمر لم يكن كذلك)، قدت السيارة بسرعة وارتباك، متجاهلة مطبات ولافتات السرعة المكتوب عليها: "هدئ السرعة، منطقة لعب أطفال"، لم أتوقف حتى عندما رأيت "خواني" يجري على الجانب الآخر للطريق من دون حذائه، و"رومينا" خلفه، وكأنهما يهربان من شيء ما، فقلت لنفسي دائمًا ما يهرب هذا الثنائي من شيء ما، ثم ينسيان "الباتيناج" في مكانٍ ما، دائمًا ما يفقد "خواني" أشياءه. لم أستطع التفكير بشأن "خواني"، ليس تلك الليلة، وأثناء طريقنا لبوابة

الدخول، أفاق "روني"، ولكنه ظل شاردًا. أخذ ينظر من نافذة السيارة محاولًا معرفة أيـن هـو، ولكنه بدا غير قادر على إدراك الأشياء، لم يعد يصرخ، وقبل أن نخرج مـن "كاسـكايد هـايتس" مررنا على سيارة الدفع الرباعي الخاصة بـ"تيريزا سكاليا".

سألني "روني":

- أهذه "تيريزا"؟

- نعم.

أمسك "روني" برأسه وبدأ في البكـاء، هادئًـا في البدايـة، نـوع مـن البكـاء الـذي تزايـد إلى نحيب مكتوم، رأيته في مرآة السيارة، ملتويًا من الألم، تحدثت إليه محاولة تهدئته، ولكن كـان هذا مستحيلًا، فأسلمت نفسي للصلاة، تمامًا كما يسلم المرء نفـسه لـلألم الزاحـف تـدريجيًا، أو إلى محادثات مليئة بالكلمات الفارغة.

وبمرور الوقت وصلنا للمستشفى، لم أعر بكاء زوجي أية اهتمام، ولكنه استمر في بكائه.

سأله الطبيب النابطشي:

- لماذا تبكي هكذا؟ أهو مؤلم لتلك الدرجة؟

- إنني خائف.

2



ربما لم يكن بيت عائلة "سكاليا" هو الأفضل في "كاسكايد هايتس"، ولكن دائمًا ما تقول "فرجينيا" إنه أكثر البيوت التي تجذب أعين عملائها في مكتب السمسرة، فهي أفضل مَنْ يعرف أحسن المنازل وأسوأها في الحي بأكمله. وبيت "تانو" هو أحد أكبر المنازل في حيِّنا المحاط بأسوار بلا شك (وأحببنا أن ندعوه بـ"النادي الاجتماعي")، وهنا يكمن الاختلاف. حسده الكثير منا سرًا. تظهر أبهته الخارجية في الطوب المبني منه، وبلاطات حجر "الأزدوار" والمنحوتات الخشبية البيضاء تزخرف سقفه بألوان متعددة. في الداخل توجد ست غرف نوم وثمانية حمامات على طابقين لا تشمل غرفة الخادمة. وبفضل علاقات مهندس الديكور، ظهر المنزل في مجلتين أو ثلاث من مجلات الديكور. وبالطابق العلوي توجد قاعة عرض منزلية، وبجانب المطبخ توجد غرفة معيشة أثاثها من البامبو وترابيزة مصنوعة من المعدن المؤكسد، وتطل غرفة المعيشة على حمام السباحة، فإذا جلس الفرد على الفوتيهات رملية اللون المنتشرة في المكان كله والمواجهة للنافذة المفتوحة بطول الحائط، سيشعر وكأنه يجلس بالخارج على الدكة الخشبية الممتدة في البلكون.

أمَّا في الحديقة، فتم وضع كل شجيرة بعناية فائقة تتناسب مع لونها، وارتفاعها، وحجمها، وحركتها، تصفها "تيريزا" قائلة:

- إنها متناسقة تمامًا كأسنان المشط.

حيث تركت دراسة فن الخط بعد فترة وجيزة من انتقالها لـ"كاسكايد هايتس" لكي تحترف تشجير الأراضي. وعلى الرغم من عدم احتياجها للعمل، كانت في حالة مطاردة دائمة للزبائن الجديدة، كما لو كان جذبهم يضيف إليها

أكثر مما يضيفه لحديقة في حاجة لِمَنْ يرعاها. وفي حديقتها، لا تجد نباتـات جافـة أو ميتـة، لا شيء ينمو بالصدفة نتيجة سقوط بذرة في التربـة حملتهـا الـريح، ولا مكـان لأنفـاق النمـل أو الديدان، عشبها مثل سجادة نظيفة كثيفة الخضرة، بنفس درجة اللـون، وهنـاك خـط وهمـي عند نقطة معينة يتغير فيها لون الحشائش لتعلن عن نهايـة حديقـة منـزل "سـكاليا" وبدايـة ملعب الجولف: الحفرة السابعة عشرة، ويكتمل المشهد من المنزل بقبـو عـلى اليـسار وعـائق على اليمين: عبارة عن بركة صناعية لمياه هادئة.

في تلك الليلة، دخلت "تيريزا" المنزل من خلال باب الجراج، لم تستخدم المفاتيح؛ فـنحن لا نغلق الأبواب أبدًا في "كاسكايد هايتس"، وأعربت عن حيرتها من عدم سماع زوجها وأصدقائه – وأصدقائنا كذلك - يضحكون كالمعتاد، ضحك السكارى، وسـعدت لعـدم وجـود مـا يجبرهـا على الذهاب إليهم وإلقاء التحية، لأنها كانت مُجهدة بما فيه الكفاية لتبتـسم لـنفس النكـات القديمة.

يجتمع الرجال في كل خميس لتناول العشاء ولعب الكوتشينة، وجرت العادة لفترة طويلة أن تذهب الزوجات إلى السينما ليلتها، مـا عـدا "فرجينيـا" التـي انـسحبت منـذ فـترة، بـأنواع مختلفة من الاعتـذارات التـي لم يكـترث أحـد كثـيرًا إلى أن يحللهـا، حيـث أرجعنـا غيابهـا إلى المشاكل المادية ببساطة.

لم يكن أبناء "سكاليا" في المنزل تلك الليلة، حيث قضى "ماتياس" الليلـة بمنـزل "فلـورنس"، واستجابت "صوفيا" لإصرار أبيها رغمًا عنها وذهبت لتجلس مع جدّيها لأمها، حيث كـان ذلـك اليوم هو عطلة خادمتهما. أكد عليها "إلتانو" ضرورة عدم وجود أحد بالبيـت أيـام الخمـيس، حتى لا يتم إزعاجه هو وأصدقائه أثناء لعب الكوتشينة.

صعدت "تيريزا" للطابق العلوي متخوفة مـن نـوم الرجـال بفعـل الإفـراط في شرب النبيذ والشامبانيا في قاعة العرض المنزلية أثناء تظـاهرهم بمـشاهدة فـيلم أو حدث رياضي. ولكنها لم تجدهم فيها مما يعني عـدم القلـق بـشأن مقـابلتهم أثناء توجهها لغرفتها، وبدا المنزل كأنه مهجور. كانت متحفـزة أكـثر منهـا قلقـة،

واعتقدت أن أصدقاء زوجها لا بد أن يكونوا في أي مكان قريب، إلا إذا كانوا قد رحلوا مشيًا، وبالحديث عن قيادة السيارات، كان عليها أن تتجنب عربات الدفع الرباعي لـ"جوستافو ماسوتا" و"مارتن أوروفيتش"، لهذا ركنت خارج منزلها. كانت تتكئ الآن على إفريز البلكون واعتقدت أنها سترى بعض الفوط على الأرضية الخشبية لحمام السباحة في الظلام، أوشك سبتمبر على النهاية، ولكنها ليلة ساحرة، وبفضل إنشاء "إلتانو" لسخان مياه لتدفئة حمام السباحة، لم تعد صعوبات السباحة والطقس موجودة، لقد أفاقوا من آثار الشرب في حمام السباحة بلا شك ودخلوا يرتدون ملابسهم في غرفة تبديل الملابس، ولأنها لم تشعر برغبة في التفكير بشأنهم، ارتدت قميص نومها ونامت.

استيقظت في الرابعة صباحًا وحدها، حيث كان الجانب الأيسر من السرير فارغًا، مشيت إلى واجهة المنزل، ورأت عبر النافذة عربات الدفع الرباعي كما هي، وبقي المنزل صامتًا، نزلت للدور الأرضي وغرفة المعيشة للتأكد أن ما رأته من البلكون كان فوطًا وتيشرتات ملقاة على الأرضية الخشبية، ولكن كانت الأضواء مغلقة حول حمام السباحة، ووجدت صعوبة في رؤية أي شيء آخر. ذهبت لحجرة المعيشة، ولم تجد شيئًا غير عادي بها؛ زجاجات فارغة، طفايات ممتلئة بأعقاب السجائر، وورق كوتشينة متناثرة على الترابيزة، وكأنهم قد فرغوا من اللعب توًا، ثم ذهبت إلى ساحة حمام السباحة ووجدت ملابس الرجال ملقاة على المقعد، بعض السراويل الداخلية المستخدمة ملقاة على الأرضية، فردة جورب من دون الفردة الأخرى متدلية من حنفية الدش. قام "إلتانو" فقط بطي ملابسه بعناية وتركها على طرف المقعد بجانب حذائه. اعتقدت أنهم لم يخرجوا للتمشية في ذاك الوقت من الليل بملابس السباحة، ثم ذهبت باتجاه حمام السباحة، حاولت تشغيل الأنوار، ولكنها لم تكن تعمل في تلك المنطقة، وكأن المفتاح العمومي قد انغلق، هكذا اعتقدت، وفيما بعد اكتشفت أن الحمولة الزائدة هي السبب. كانت مياه الحمام هادئة، تحسست الفوط ولاحظت أنهم لم يستخدموها، كانت رطبة قليلًا، ولكنها جافة في العموم، وتفاجأت بثلاث

كؤوس شمبانيا مصطفة على حافة حمام السباحة، ليس لأنهم شربوا في ذاك المكان - فهم يشربون في كل الأماكن - ولكن لأن الكؤوس كانت من كؤوس جهازها الكريستالية، والتي أهداها لها أبو "إلتانو" ويدخرها "إلتانو" نفسه للمناسبات الخاصة. اتجهت إليها "تيريزا" لتلتقطها قبل أن يقلبها نسيم الصباح أو قطة أو ضفدعة، إن لم توجد مثل تلك الحوادث الطبيعية لأصبحت الحياة في حي "كاسكايد" خالية من الحوادث، هكذا اعتقدنا.

خطفت "تيريزا" نظرة إلى المياه الهادئة أثناء تجميعها للكؤوس، اصطدم كأسان أثناء التقاطها لهما، وسبب لها صوت الاصطدام قشعريرة، ففحصتهما لتتأكد من عدم انكسارهما، وحرصت على ألا تجعلهما يصطدمان مرة أخرى غافلة عن الحقيقة التي سيعلمها بقيتنا في اليوم التالي: تحت المياه الدافئة، وفي عمق حمام السباحة، كانت ترقد جثث زوجها وأصدقائه.



3



"كاسكايد هايتس" هو الحي الذي نقطن فيه. قدَّمنا جميعًا في قرعة حتى نحظى بسكن فيه، انتقل "روني" و"جيفارا" أولًا إلى الحي قبل قدوم عائلة "أورفيتش" مباشرة، وجاء "إلتانو" بعد عدة سنوات قليلة، بينما كان "جوستافو ماسوتا" أحد آخر من سكنوا في الحي. وبمرور الوقت، أصبحنا جيرانًا. حَيُّنا له بوابات، ومحاطٌ بسور تخفيه أنواع مختلفة من الشجيرات. والنادي اسمه "نادي كاسكايد هايتس الاجتماعي". واختصر معظمنا الاسم إلى "كاسكايد هايتس" ويدعوه القليلون بـ"الكاسكايد". به ملعب للجولف، وملاعب تنس، وحمام سباحة وناديان اجتماعيان، وحراسة خاصة. حيث يعمل خمسة عشر حارسًا بالفترة الصباحية، واثنان وعشرون حارسًا بالفترة المسائية. كل تلك الفدادين الخمسمئة وأكثر متاحة لنا فقط أو لِمَن نسمح له بالدخول إليها.

هناك ثلاثة طرق لدخول حيِّنا، إن كنت أحد سكانه، بإمكانك فتح الحاجز عند البوابة الرئيسية بتمرير بطاقة مغناطيسية عبر جهاز فك الشفرات الكهربائي. وهناك مدخل جانبي بحاجز أيضًا للزوار المرخص لهم الدخول مسبقًا، حيث يمكنهم الإدلاء بمعلومات معينة مثل رقم بطاقة الهوية، ورقم ترخيص السيارة، وأرقام تعريفية أخرى. وبالنسبة للباعة، والخدم، والجنايني، والنقاشين، والبنائين، وجميع العمَّال الآخرين، هناك باب دوار يقدمون عنده بطاقاتهم ويتم تفتيش الحقائب والسيارات. وعلى طول محيط الحي هناك كاميرات تدور بمقدار مئة وثمانين درجة موضوعة بعد كل خمسين ياردة، كان باستطاعتها الدوران بمقدار ثلاثمئة وستين درجة، ولكنها خرقت

خصوصية بعض السكان الواقعة منازلهم بالقرب من السور المحاوط للحي، ولذلك تم تعطيلها منذ عدة سنوات قليلة مضت، ثم تم استبدالها.

يفصل بين المنازل وبعضها ما يُسمَّى بـ"الأسوار الحيَّة"، أو بمعنى أصح شجيراتٍ، ولكنها ليست كأي شجيرات. فالخصوصية وأزهار "الجريس" البنفسجية التي كان يفضلها الجميع في السابق، والتي تنمو على خط السكة الحديدية، أصبحتا موضة قديمة. اختفت الشجيرات المشذبة لتبدو مستقيمة وكأنها حائطٌ أخضر، وكذلك اختفت الشجيرات المستديرة الشكل، حيث تم قطع الأسوار لتبدو غير متساوية، وفوضوية، لتعطيها مظهرًا طبيعيًا أكثر. ومن النظرة الأولى، تبدو تلك النباتات وكأنها نبتت بعفوية بين البيوت، بدلًا من كونها مزروعة عمدًا لتحديد الممتلكات الخاصة بالمنازل. تلك الحدود يمكن فقط تحديدها بالنباتات، حيث تم منع الأسوار السلكية والدرابزينات، فما بالك بالأسوار. الاستثناء الوحيد هو السور المحيط البالغ ارتفاعه ستة أقدام، والذي يقع تحت مسؤولية إدارة النادي وسوف يتم استبداله في فترة قصيرة بسورٍ جديد تماشيًا مع القوانين الأمنية جديدة. أمّا الحدائق المشرفة على مضمار الجولف فلن تُطبَّق عليها تلك القوانين، حيث لن تحيطها حتى تلك الشجيرات، وبالقرب من الحدود، يمكنك تحديد نهاية الحدائق، حيث يتغير نوع العشب، ولكن النظر يتوه في الأفق الممتد أمامك بخضرته اللانهائية لدرجة أنك قد تؤمن بأن كل ما تراه ملكك.

تُسمى الشوارع على أسماء الطيور: السنونو، المُحاك(Mockingbird) ، الشحرور. التخطيط العمراني النموذجي لمعظم المدن الأرجنتينية لم يتم اتباعه هنا، فهناك الكثير من الأزقة التي تنتهي بمناظر طبيعية قليلة ملتوية. تلك الشوارع المسدودة أكثر شهرة من الشوارع الأخرى، لأنها أكثر هدوءًا وأقل ازدحامًا. نود جميعًا العيش هناك. فخارج حيِّنا المغلق بالبوابات، من المرعب التمشية في تلك النوعية من الشوارع، وخصوصًا في الليل، فسيتملكك خوف من أن يهاجمك أو يتربص بك أحد. ولكن هذا لا يحدث في حي "كاسكايد"،

ببساطة، لا يمكن أن يحدث هذا هنا؛ حيث يمكنك التمشي أينما وددت، وفي أي وقت، فأنت مرتاح بأنك لن يصيبك مكروه هنا.

لا توجد أرصفة، فالناس يركبون السيارات، و"الموتوسيكلات"، و"البيتش باجي"، و"العَجَل"، وسيارات الجولف، و"السكوتر"، و"الباتيناج". وكقاعدة عامة إذا رأيت شخصًا يمشي من دون أن يحمل معدات رياضية، فهو غالبًا خادم أو جنايني. في "كاسكايد هايتس" ندعوهم بـ"رجال الأرض" بدلًا من الجناينية، لأن حدائق كثيرة أصغر من نصف فدان، وبهذا الحجم تصبح الحديقة مثل العزبة.

انظر لأعلى، ولن تجد أية سلوك، لا سلوك تليفونات أو تليفزيونات. بالطبع لدينا جميعًا تليفونات وتليفزيونات، ولكن السلوك ممتدة تحت الأرض لحماية "كاسكايد" وسكانها من التلوث البصري، حيث تمتد السلوك مع مواسير الصرف الصحي تحت الأرض.

كما تم بناء حوائط زائفة حول صهاريج المياه حتى يتم إخفاؤها عن الأنظار أيضًا، ولا يتم السماح بنشر الغسيل إلا بموافقة مسبقة من الإدارة التقنية، حيث يرجعون إلى خريطة الحي قبل الموافقة على مكان مناسب لحبل الغسيل، فإذا ما قام ساكن بنشر غسيله في منطقة مرئية لجيرانه، وقام أحدهم بالشكوى من الأمر، يتم تغريم ذلك الساكن أو الساكنة ماديًا.

المنازل جميعها مختلفة، لا يوجد منزل مطابقٌ لمنزلٍ آخر، على الرغم من أن هذا ما يجب أن تصبح عليه جميع منازل الحي؛ متشابهة فإنه من المستحيل ألا تكون المنازل متشابهة، حيث إن كل المنازل تتبع نفس معايير الجمال، وهذا ما نص عليه قانون البناء والموضة، سيحب كل منا منزله لكونه الأجمل، أو الأكبر، أو الأفضل تصميمًا، وتقسم اللائحة الحي إلى قطاعات، حيث يُبنى فيها نوع واحد فقط من المنازل، فهناك قطاع يجب أن تكون جميع منازله بيضاء، وقطاع منازله طوبية وقطاع منازله لها أسقف سوداء. لا يستطيع أحد بناء

منزل متفرد في نوعه في قطاع مُحدد لنوع آخر، وتوضح النظرة الجوية للنادي أنه منقسم إلى ثلاث مساحات من الألوان: أحمر، وأبيض، وأسود.

توجد أيضًا "شاليهات" في القطاع الطوبي بُنيت للأعضاء الذين يأتون لزيارة الحي في العطلات الأسبوعية فقط ولا يريدون امتلاك منازل فيه. تبدوَ المساكن من على بُعد وكأنها ثلاثة شاليهات كبيرة، ولكنها في الحقيقة عبارة عن غرف صغيرة كثيرة مضغوطة داخل تلك المباني الثلاثة الكبيرة، كما توجد حديقة مُعتنى بها بدقة أمام تلك المباني.

هناك ميزة أخرى لحيِّنا، وربما هي أفضل مميزاته: الروائح، التي تتغير بتغير الموسم، ففي سبتمبر تفوح رائحة الياسمين من كل شيء، وهذا ليس وصفًا شعريًّا، ولكنها حقيقة بسيطة، فكل حديقة بـ"كاسكايد هايتس" بها على الأقل شجرة زهرة الياسمين النجمية، والتي تزهر في الربيع. ثلاثمئة منزل، بثلاثمئة حديقة، وثلاثمئة شجرة ياسمين، مجتمعة في عزبة بمساحة خمسمئة فدَّان مُحَاطَة بسور ونظام تأمين خاص: هذا ليس بالتأكيد وصفًا شعريًّا. وهذا سبب ثقل الهواء وحلاوته في الربيع، وهو شيء يسبب المرض لِمَنْ لم يعتد عليه، ولكنه يولد في بعضنا نوعًا من الإدمان، أو الانجذاب أو الحنين، فكلما تخطينا البوابات، اشتقنا بشدة للعودة، لنستنشق عطر تلك الأزهار الرائعة مرة أخرى، وكأننا غير قادرين على التنفس جيدًا في أي مكان آخر. الهواء في "كاسكايد هايتس" ثقيل، ومحسوس. اخترنا العيشة هنا لأننا أحببنا استنشاق مثل هذا الهواء، مع صوت طنين النحل خلف إحدى أشجار الياسمين، وعلى الرغم من تغيُّر العطر كل فصل، تظل رغبة استنشاق هذا الهواء الجميل. أمَّا في الصيف، فتفوح "كاسكايد هايتس" برائحة العشب المرشوش والمقصوص حديثًا، ورائحة الكلور في حمامات السباحة. الصيف هو فصل الضوضاء، صوت طرطشة المياه، صيحات الأطفال وهم يلعبون، صوت حشرات "الزيز"، وشكوى الطيور من الحرارة، نغمات الموسيقى من خلال النوافذ المفتوحة، وشخص ما يعزف على الطبول. النوافذ بلا قضبان، حيث لا قضبان في "كاسكايد"، لا حاجة للقضبان، ولكن هناك ناموسيات، لتبقي الحشرات بعيدة. أمّا الخريف فيفوح برائحة الأغصان المُقلمة، المقصوصة حديثًا وما زالت منتعشة،

فهم لا يتركونها لتتعفن أبدًا. فهناك رجالٌ بقمصان خضراء عليها شعار "كاسكايد هايتس" يجمعون الأوراق والأفرع عقب كل عاصفة أو رياح شديدة، تختفي آثار العاصفة غالبًا أثناء تناولنا للإفطار وخروجنا للعمل، أو إلى المدرسة أو إلى التمشية الصباحية. أول ما نعرفه عن العواصف هو الأرض المبتلة، ورائحتها، وأحيانًا ما نتساءل إذا ما كانت العاصفة التي أيقظتنا خلال الليل قد حدثت فعلًا أم كانت مجرد حلم. وفي الشتاء تنتشر رائحة الخشب المشتعل، والدخان ونبات "الكينا"، ثم أكثر الروائح الخاصة والسرية على الإطلاق؛ رائحة المنازل نفسها، لكل منزل رائحته الخاصة التي يميزها أصحابه فقط..

يقول مَنْ انتقلوا إلى "كاسكايد هايتس" إننا جئنا هنا بحثًا عن "الخضرة"، الحياة الصحية، الرياضة والأمان. تمسكنا بتلك الأسباب يعني عدم الاعتراف حتى لأنفسنا بالأسباب الحقيقية لمجيئنا، ولكن بعد فترة لم نعد حتى نتذكر تلك الأسباب. يحثنا الدخول إلى "كاسكايد هايتس" ينتج نسيانًا ساحرًا لكل ما كان قبله. يتقلص الماضي إلى ما حدث في الأسبوع الماضي، الشهر الماضي، العام الماضي، "عندما خضنا القرعة داخل النادي وفزنا بها"، وننسى تدريجيًا حياتنا مع الأصدقاء، الأماكن التي عشقناها يومًا ما، علاقات معينة، ذكريات، أخطاء، ويبدو الأمر وكأنه من الممكن - وأنت في منتصف العمر - أن تمزق صفحات يومياتك وتبدأ بكتابة يوميات جديدة.



4



انتقلنا إلى "كاسكايد هايتس" في نهاية الثمانينات، حيث شهدت الأرجنتين رئيسًا جديدًا. كان علينا أن نوليه السلطة بنهاية ديسمبر، ولكن معدلات التضخم العالية وسرقة محال السوبر ماركت عجلت من ترك الرئيس السابق للسلطة قبل نهاية فترته الرئاسية. في هذا الوقت لم يكن الانتقال إلى التجمعات السكنية المبوبة في ضواحي العاصمة "بوينس آيرس" قد اكتسب شعبية بعد. عاش القليلون بشكل دائم في "كاسكايد هايتس"، أو في أي مجمع سكني مبوب أو نادٍ ريفي آخر. كنت أنا و"روني" من بين الأوائل الذين غامروا بترك شقة في العاصمة والانتقال إلى هنا مع أسرتنا. لكن "روني" كان مترددًا جدًا في البداية، حيث قال إن المسافة بعيدة جدًّا، وكنت أنا مَنْ صمم، حيث تأكدت من أن العيش في "كاسكايد هايتس" سيغير حياتنا، وهو ما احتجناه لعمل هدنة مع المدينة، وانتهى الحال بموافقة "روني".

بعنا الفيلا التى كنا نستخدمها لقضاء عطلات نهاية الأسبوع، والتي ورثناها عن عائلة "روني" (أحد الأشياء القليلة التي بقيت من هذا الميراث لتُباع)، ثم اشترينا منزل عائلة "أنتيري"، وكانت "صفقة جميلة" كما أحب وصفها، وكانت تلك هي أول مرة أكتشف فيها حبي وموهبتي الفطرية في بيع وشراء المنازل، على الرغم من أن خبرتي العملية حينها لم تكن كما هي الآن.

انتحر "أنتيري" قبل شرائنا للمنزل بشهرين. كانت أرملته تريد بأي شكل أن تترك المنزل الذي فجر فيه زوجها وأبو أبنائها الأربعة رأسه، في غرفة المعيشة الصغيرة على شكل حرف "L". مُلحق بها مساحة لتناول الطعام، حيث كانت أغلب المنازل بغرف معيشة صغيرة أثناء السنوات الأولى لحي "كاسكايد

هايتس" والنوادي الاجتماعية الأخرى، وهـذا لأنـه في تلـك الأيـام - وأقـصد بهـا الخمـسينات والستينات، وحتى السبعينات - لم يكن من المتوقع إقامة حفلات واسـتقبال ضـيوف في منـزل بعيد عن "بوينس آيرس". حيث كان الطريق السريع المصمم عـلى الطريقـة الأمريكيـة (Pan American Highway) بحارته المزدوجة وأسفلته المستوي مجرد حلمٍ بعيـد المنـال، وكانـت دعوة الأصدقاء والأقارب لزيارة عبر هذا الطريـق فرصـة مناسـبة لخـوض مغـامرة عـبر البلـد، واستفاد الجميع جيدًا من الحدائق ومناطق الرياضة، حيث ركوب الخيل ولعب الجولف. ثـم أتت فترة استعراض الـسجاجيد والفوتيهـات المـستوردة المـشتراة مـن أفـضل متـاجر "بـوينس آيرس". انتقلنا إلى الحي في فترة وسيطة، تقـع بـين الـستينات وقبـل انتـشار روح التـسعينات، ولكنها كانـت أقـرب بوضـوح إلى التـسعينات منهـا للـستينات، ولـيس عـلى المـستوى الزمنـي فحسب، قررنا أن نكسر الحائط ونكبر غرفة المعيشة قليلًا، عـلى حـساب غرفـة المكتـب التـي علمنا أننا لن نستخدمها أبدًا.

وقعـت حادثـة "أنتـيري" في ظهـيرة يـوم أحـد، حيـث سـمعوا صراخ زوجتـه مـن ملعـب الجولف. يواجه المنزل تقريبًا نقطة الانطلاق عند الحفرة الرابعة، ويحب "بـاكو بيريـز أيـيرا" - رئيس النادي حينها - أن يحكي قصة كُرَته التي تخطت حدود البلدة بسبب بدء الصراخ بمجرد ملامسة مضربه للكـرة. قـال النـاس إن "أنتـيري" كـان في الجـيش أو البحريـة، شيء مـن هـذا القبيل، لم يعلم أحد الحقيقة الكاملة، ولكنه كان في الخدمة بلا شك، فلم تكن عائلة "أنتـيري" منخرطة مع جيرانهم، لم يمارسوا الرياضة أو يحضروا حفلات، أحيانًا ما كنت تـرى بناتـه خـارج المنزل وحوله، ولكن الزوجين لم ينعما بحياة اجتماعية، حيث اعتادا على الحضور في العطـلات الأسبوعية والبقاء بالمنزل، وقبيـل النهايـة، كـان يـأتي بمفـرده ليقـضي أسـابيع بـالمنزل، مـسدلًا الستائر، بينما يقوم بتنظيف مجموعة أسلحته، وعلى ما يبدو، لم يتحدث إلى أي شـخص، ولـذلك لا أعتقد أنه عليـك البحـث كثـيرًا عـن دافـع مـادي للانتحـار، أو حتـى الاكـتراث كثـيرًا بالإشـاعة المنتـشرة القائلـة بأنـه هـدد بتفجـير رأسـه إذا مـا سـارت نتيجـة انتخابـات 1989 في الطريـق

الخاطئ. قام ممثل بتهديد مماثل ونفذه وصار حديث جميع النـشرات الإخبارية فـيما بعـد، فمن المحتمل أن تلتبس الحكايتان على الفرد وتبدأ الإشاعات.

عندما رأيت المنزل لأول مرة، كانت غرفة مكتب "أنتيري" هـي أكـثر مـا أعجبنـي (الغرفـة التي فتحناها على غرفة المعيشة)، حيث النظـام والنظافـة المرعبـان. كانـت المكتبـة المتروسـة بالكتب بطول الحـائط، وكعـوب الكتـب سـليمة، مُجلـدة بالجلـد الأخـضر والأحمـر الـداكن، وتصطف أسلحته بكل أنواعها وأعيرتها في دولابين زجاجيين، مُلمعـة ومتلألئـة، لا تلمـح عليهـا ذرة تراب، وأثناء تجولنا بغرفـة المكتـب، أخـرج "خـواني" - ذو الخمـسة أعـوام حينهـا - أحـد الكتب، وألقاه على الأرضية ووقف عليه، فانخلع كعـب الكتـاب في الحـال، جذبـه "روني" مـن شعره وسحبه إلى الخارج. أخذه خارج الغرفة ليعاقبـه مـن دون أن يـراه أحـد، وبيـنما أعتنـي بالكتاب، وأنفض آثار قدمي "خواني"، وأعيده إلى الرف، لاحظت خفـة وزنـه، فتـصفحته، كـان فارغًا، بلا صـفحات بداخلـه، الأغلفـة وفقـط: كتـاب مزيـف. قـرأت عـلى الكعـب "**فاوسـت**" لـ"جوتة"، وضـعته في مكانـه، بـين مـسرحية "**الحيـاة حلـم**" لــ"كالـدرون دولا باركـا" وروايـة "**الجريمة والعقاب**" لـ"دستيوفسكي"، جميعها فارغة، وإلى يمينها كان هناك عملان أو ثلاثة من الكلاسيكيات، ثم تكرر التسلسل: **الحياة حلم**، **فاوسـت**، **الجريمـة والعقـاب**، بحـروف ذهبيـة، وتوجد نفس التسلسل في كل رف.

حصلنا على المنزل لعدم تقدم أحد بطلبـه بعـدنا، وتهـاوت العـروض المختلفـة للمهتمـين بالمنزل، كلما اكتشف المتقدمون حادثة انتحار رجل بنفس المنزل، لم تـذكرها زوجتـه أو حتـى الوكيل العقاري المسؤول عن البيعة، ولكن طالما ظهرت القصة بشكل أو بآخر، ولنكن محقين، لم يمثل هذا الحادث فارقًا لي. فأنا لا أؤمن بالخرافات، ولأتم القـصة كلهـا، عنـدما حـان وقـت تبادل العقود، اكتشفنا أن بعض الأوراق المتعلقة بالملكية غير سليمة، فكان على الأرملة تحمل أعباء جميع التكاليف، تكاليفها وتكاليفنا، وحصلت على مئتين بيزو زيادة عندما بعت الكتـب الفارغة لـ"ريتـا مانـسيلا" التـي لم تـرد الأرملـة أخـذها معهـا، والتـي كانـت في القبـو مغطـاة بالأتربة.

كلفنا المنزل خمسة عشر ألف دولار زائدة على ثمـن "فـيلا نهايـة الأسـبوع" التـي بعناهـا، وشمل البيت الجديد أرضًا تبلغ مساحتها نصف فدان، وثلاثة حمامات داخلية، وسكن للخدم، ويملؤه الضوء، حيث لم يعد "أنتيري" موجودًا ليسدل الستائر، وقبل انتقالنا إليـه، قمنـا بطـلاء جميع الغرف باللون الأبيض، لنجعلها أكثر إضـاءةً، وكانـت هـذه الخدعـة المفـضلة في سـوق عقارات "بـوينس آيـرس"، ولكننـي لاحظـت أن في "كاسـكايد هـايتس" لم تكـن تلـك الوسـائل ضرورية، حيث تدخل الشمس البيوت في كل الأحوال من خلال النوافذ المفتوحـة، فـلا وجـود للمباني الطويلة لتشكل ظلالًا طويلة، ولا حوائط تقسيم تعيـق الـضوء، الأراضي ذات الأشـجار الكثيرة فقط هي التي لاقت مشاكل مع الضوء والظل، ولم يكن هذا هو حال منزلنا.

كانت أول صفقة عقارية جيدة أتممتها في حياتي، وقد فتحـت شـهيتي، فقـد بـدا الأمـر في البداية وكأنه لعبة، وكلما اكتشفت إفلاس أحد، انفصال زوجين، أو أن زوجًـا عـاطلًا قـد وجـد وظيفة بالخارج وترك أسرته - وأحيانًا ما يتركون أسرهم على أيـة حـال مـن دون عـرض عمـل، حيث يعجز الزوج عن الحفاظ على ملعب الجولف وحمام السباحة في ظـل البطالـة - فـإنني أبدأ مباشرة في التفكير في مَنْ يرغب في المنزل وأبدأ بالتواصل معهم.

وبعد عـامين بعـت قطعـة أرض إلى عائلـة "سـكاليا"، عقـب أيـام قليلـة مـن تـولي وزيـر الخارجية لوزارة المالية، والذي وجه دائمًا وسعى للحصول على موافقة المجلس التشريعي مـن أجل تمرير قانون تحويل العملة[1]، حيـث تـم تثبيـت قيمـة البيـسو والـدولار: وهـو القـانون الشهير، "واحد مقابل واحد"، والذي استعاد ثقة الأرجنتينيين وشـجع الهجـرة إلى أمـاكن مثـل حي "كاسكايد هايتس".

(1)- وصلت النسبة المئوية عام 1900 إلى 1300 في المئة، وعين الرئيس "كـارلوس مـنعم" "دومينيجـو كافـالو" وزيرًا للمالية عام 1991 وتم تمرير قانون تحويل العملة، وكبح جماح التضخم بتثبيت سـعر العملـة الوطنيـة بالدولار الأمريكي.

هناك بعض الأحداث القليلة - أقل حتى مما يتوقعه الفرد - والتي تغير بالفعل مسار حياتنا، وكان بيع تلك الأرض لعائلة "سكاليا" في مارس 1991 هو أحد تلك الأحداث من دون أدنى شك.



5



أتذكر الأمر وكأنه حدث بالأمس. سبقها حذاؤها البني المصنوع من جلد التمساح، ثم ظهرت "تيريزا سكاليا" من داخل السيارة. غرس الكعب المدبب لحذائها في الأرض التي كنت آمل بيعها لهما، حاولت أن أهون من الأمر عندما رأيت "تيريزا" مُحرجة:

- حدث هذا لنا جميعًا بنات المدينة، من الصعب التنازل عن الكعب، صدقيني، إنه أحد أصعب القرارات، ولكن إذا ما كان عليكِ الاختيار بين الكعب وبين هذا...

وأشرت بفخر إلى الأشجار والمنظر حولنا.

بدا "إلتانو" وكأنه لم يلحظ قدم زوجته التي غرزت في التربة. حيث سبقها بياردتين أو ثلاث. ولكن سيكون من الخطأ القول بأنه رجل متسرِّع. أو إذا ما بدا متسرعًا، فهذا بسبب إصابته بالملل سريعًا، وليس بسبب ضغط الوقت. بدا وكأنه لم يرد انتظار زوجته أو أي شخصٍ آخر. تقدَّم "إلتانو" وانتظرت أنا "تيريزا" للحظة. لا أصدق أن الحال انتهى بتلك المرأة إلى أن تصبح متخصصة في حدائق الزينة! عند وصولها في البداية إلى "كاسكايد هايتس" كل معلوماتها بخصوص المجال كانت أنها تحب النباتات وحسب. أخرجت "تيريزا" كعبها من الأرض الناعمة وحاولت تنظيفه في العشب، بينما غرز الكعب الآخر بالطبع. باءت كل مجهوداتها بالفشل، حيث غُرز الكعب الذي نظفته مرة أخرى، بينما خرج الكعب الآخر موحلًا لتنظفه، ولكنه كان سيتسخ مرة أخرى. ولكن توضيح هذه المعلومة لها بدلًا من أن تفهمها هي من نفسها سيبدو نوعًا من عدم الاحترام أو عدم الصبر مثل تعجل زوجها. بدأتُ أشعر بالقلق: فعمولة تلك البيعة مُخصصة لتحسينات

كثيرة مُؤجلة في بيتي. ما الذي ستختاره يا تُرى؟! فأول مرة انغرزت فيها قدمي في هـذا الحـي انتهت بخلعي لحذائي وتجولي في المكـان مرتديـة الجـوارب فقـط، كنـا شـبابًا وضـحك "روني"، وضحكت معه. ولكنني أختلف عن "تيريزا" كثيرًا. كل النساء هنا مختلفات جـدًّا، عـلى الـرغم من أن بعض الناس يعتقدون خطأً أن النساء الـلاتي يعـشن في مكـان كهـذا يبـدأن في التحـول ليشبهن بعـضهن الـبعض. يـدعوننا "سـيدات النـادي الاجتماعـي". هـذه النمطيـة في التفكـير خاطئة تمامًا. نعم، صحيح أننا نمر بنفس أنواع الخبرات، وتحدث لنا نفس الأشياء، أو **لا** تحدث لنا نفس الأشياء، ونحن متشابهات في هذا الصدد أيضًا. عـلى سـبيل المثـال، وجـدنا جميعًـا في البداية صعوبة التخلي عن عادات معينة: فلا مجال هنا للكعب العـالي، أو الملابـس الداخليـة الحريرية أو الستائر المنسدلة إلى الأرضية. وفي سياق آخـر، أي تفـصيلة مـن تلـك التـي تعنـي الأناقة، سوف تعني القذارة في "كاسكايد هايتس"، لأن الكعوب تـنغمس في الحـدائق وتخـرج مغطاة بـالطين والأعـشاب، والجـوارب النـسائية تتمـزق بـسبب النباتـات حـادة الأطـراف، أو الألياف متوسطة الكثافة أو البامبو، ولتعرض المنازل للأتربـة بكميـات أكـثر مـن الأتربـة التـي تهب على الشقق وانتشارها بالمنازل عن طريق الأطفال أو الكلاب أو الستائر الطويلـة، فيبـدو كل شيء متسخًا.

مشيت "تيريزا" ياردات قليلة حتى أدركت أنه ليس لـديها مـا تفعلـه، فاختـارت أن تمـشي على أطراف أصابعها - حلًا وسطًا رأيت نساء أخريات يحاولنه - وقررت أن تعـاين الأرض مـن على بُعد، بدلًا من أن تجوبها ممسكة بيد زوجها. وفي نفـس الوقـت، أسرع "إلتـانو" الخطـى، واضعًا يديه في جيوبه، وغارزًا قدميه بحزم في الأرض. كان واضحًا أنه يحدد ملكيته للأرض مـع كل خطوة يخطوها، لو كان حيوانًا لتبول على الأرض، لم يكن هناك شك في لغة جسده: فهـذه هي الأرض التي بحث عنها، موقفه جعلني أفكر بسعادة في العمولة التي اقتربـت مـن يـدي، ولكن بدلًا من أن أشعر بالسعادة، أصابني الأمر بالتوتر فأخبرته بأنني سـأراجع مـع المالـك إن كانت الأرض ما زالت للبيع أم لا.

- إن لم تكن للبيع، فلماذا أريتني إياها؟

- لا، بالطبع، إنها للبيع، أو كانت للبيع، عرضها مالكها "كافيرو سينيور" للبيع عبر وكالتي منذ شهرين، ولكنني لا أعرف، أود أن أتأكد.

- إذا كان قد عرضها لوكالتِك، فهذا يعني أنها للبيع.

وقد يكون هذا هو الحال في عدة أماكن، ولكن ليس في "كاسكايد"، فهنا على المرء أن يتعلم التعامل بمرونة معينة. أحيانًا يخبرك العملاء بأنهم يريدون البيع، ثم يظهر ابنٌ ليطالب بحقه في الملكية، أو يشعرون أن البيع سيسبب لهم حرجًا اجتماعيًا، أو يختلفون مع زوجاتهم بشأن البيع، وعلى الوكالة أن تتلقف الخيوط، وفي هذه الحالة يحين دوري، "فرجينيا"، أو "مافي جيفارا" اسمي الوظيفي. يطرح البعض منزلًا أو أرضًا للبيع من أجل اختبار السوق، أو لمعرفة مقدار الزيادة في قيمة ما اشتروه، أو لأن بعضهم يريد فقط أن يعرف كم تساوي أملاكه، ويريدون أن يروا أمامهم شخصًا يريد ما يمتلكون ولديه مال ليدفعه لهم، ثم يردون بـ"لا"، فهم لا يريدون البيع.

قال "إلتانو" مُجددًا:

- أريد تلك الأرض.

- سأفعل ما بوسعي.

- هذا ليس كافيًا.

قالها بصوتٍ هادئ شلَّ حركتي تمامًا كما شُلت حركة زوجته بانغماس كعبها في الأرض، لم أعرف بماذا أرد، تقدم "إلتانو" وكأنه يدفع بسن سيفه تجاه منافسًا وقع لتوه على الأرض واستعد للتنازل عن القتال.

- أريد تلك الأرض.

ترددت طويلًا ثم اندهشت وأنا أسمع نفسي تقول:

- فلتعتبر الأمر منتهيًا، هذه الأرض ستكون لكَ.

ولم تكن تلك عبارة مبتذلة، ولا إعلان عمًّا أنتويه، ولا تمتلك أي شيء يؤثر على قدرتي القوية على إنجاز مثل تلك الأعمال، بالعكس تمامًا، لقد كان تعبيرًا عن اقتناعي التام بأن هذا الرجل الواقف أمامي والذي قابلته للتو - "إلتانو سكاليا" - كان واثقًا دائمًا من الحصول على كل ما يريده من الحياة.

ومن الموت أيضًا.



6



توقفت السيارة أمام الحاجز. أنزل "إرنستو" زجاج نافذته، مرر بطاقتـه الإلكترونيـة للمـرة الأولى وانفتح الحاجز. تعرَّف عليه الحـارس بابتـسامة. راقبتـه الفتـاة مـن مقعـدها. لـوَّح لهـا الحارس، ولكنها لم تستجب له. أنزلت "ماريانا" أيضًا زجاج نافذتها وأخذت نفسًا عميقًا بشكل مبالغ فيه، وكأن هذا الهواء أفضل من أي هواء آخر. لم يكن بـنفس جمالـه عنـدما استنـشقته منذ عامين، عند زيارتها الأولى لـ"كاسكايد هايتس". حينها دخلت مـن بوابـة الزائـرين. كنـا في فصل الربيع وليس الخريف كما هو الآن، وطلبوا منها كل شيء بما فيه رقم بطاقتها الشخصية قبل السماح لها بالدخول. جعلوها تنتظر لمدة خمس عشرة دقيقة لأنهم لم يجدوا من يـضمن دخولها. كانت مدعوة حينها على حفل شواء بمنزل أحد عملاء "إرنستو". رجل يـدين بالفـضل لزوجها لأنه ساعده على الدخول في عمل لم يكن أهلًا له لولا مساعدة "إرنستو". تلك النوعيـة من الجمايل تُعد دينًا، هكذا اعتقد "إرنـستو"، خـصوصًا إذا مـا أدت إلى ثـراء الـشخص الـذي ساعده.

وفي يوم حفل الشواء هذا، قررا أن هذا الحـي هـو المكـان المناسـب لهـما عنـدما يُرزقـان بأطفال. والآن لديهما اثنان، برغم أنهما كانا يفضلان طفلًا واحدًا، ولكن تطلب الأمـر أن يُرزقـا بطفلين وإلا اضطرا للانتظار، و"ماريانا" لم تكن لتنتظـر أكـثر مـن هـذا. قبـل شـهر مـن حُكـم القاضي لهما بالطفلين، جنّ جنونها، حتى أنهما كادا يـشتريان طفـلًا مـن مقاطعـة "إلتـشاكو": حيث اقترح عليهما شخص ما تأجير مربية، ثم تغير الحال بالـصدفة باكتـشاف أن عمـيلًا آخـر لـ"إرنستو" يعرف ذلك القاضي وجعله يسير الأمور وفقًا لما يريدانه.

تقدمت سيارة عائلة "أندرادس" ببطء على الطريق الممتلئ بالأشجار، والذي يحيط بملعب الجولف. تتنافس شوارع الحي في عرض أوراق الشجر الأحمر في أبيض. مما دفع "ماريانا" إلى التفكير في أن أعظم فنان في العالم لن يستطيع رسم لوحة تضاهي هذا المشهد الذي تراه عبر النافذة. أزهار البلسم الحمراء، أشجار "جنكة" الصينية الصفراء، وأشجار البلوط البنية بإحمرار. كان "بدرو" نائمًا بجوار أخته، شعرت الفتاة أن الجو صار أبرد قليلًا بعد فتح نوافذ السيارة، فلفَّته بالبطانية، ثم وضعت قدمًا على قدم وعدَّلت تنورتها الجديدة. نظرت عبر النافذة فرأت لافتة مكتوبًا عليها "منطقة لعب أطفال، أقصى سرعة 10 أمتار في الساعة"، ولكنها لم تعنِ لها شيئًا، لجهلها بالقراءة.

انصرفت "ماريانا" عن متابعة المناظر الطبيعية حولهم، ونظرت للطفلين في مرآة الرؤية الخلفية متظاهرة بتعديل خصلة شعرها، وتعجبت كيف ستنمو العلاقة الأخوية بين هذين الطفلين الغريبين عنها. اختارت اسم الطفل منذ سنوات حينما كانت مخطوبة لـ"إرنستو"، أمَّا الطفلة فلديها اسم بالفعل: "رامونا". لم تستطع "ماريانا" تخيُّل أن يعطي أحد في هذا الوقت اسمًا مثل هذا لفتاة في مثل هذا العمر، فـ"رامونا" اسم لشيء آخر، وليس اسم طفلة. فطوال سنوات الانتظار والعلاج تلك، فكرت في بدائل عديدة: "كاميليا"، "فيكتوريا"، "صوفيا"، "دلفينا"، "فالنتينا"، وحتى "إيناس" على اسم جدتها لأبيها، ولكن الفتاة كانت لها اسمٌ بالفعل، ولم يسمح لهما القاضي بتغيير اسمها. لهذا السبب قررت "ماريانا" أن تدعوها "رومينا" من دون انتظار إذن أي أحد، وكأن هذا التغيير مجرد خطأ في نطق اسمها، ولحسن الحظ لم تستطع الفتاة إخبار القاضي باسم الطفل - إن كان له اسم بالأساس - وأشارت إليه بـ"بابا" بدلًا من "بيبي".

كانت "أنتونيا" بانتظارهم عندما وصلوا بعد انتهائها من تنسيق الزهور التي أرسلتها "فرجينيا جيفارا" في المزهرية، والتي وضعتها في منتصف المنضدة الجديدة المصنوعة من خشب الصنوبر. كانت ترتدي زيًّا أزرق بزركشة بيضاء عند أطراف الأكمام. كانت تلك هي الموضة الجديدة حينها، حيث إنها لم

ترتدِ زيًّا أثناء إقامتهم في "باليرمو"، ولم تعش معهم حينها، ولكن بعد الانتقال، ووصول الطفلين، كان عليها أن تقبل بالتغيير أو أن تخسر وظيفتها. أحدثت السيارة صوتًا مماثلًا لصوت مطر الصيف عند مرورها على ممر الحصى، وارتعشت الفتاة، ورأت عبر نافذة السيارة أن الجو مشمس، فقالت لنفسها: "إن السماء تمطر أحجارًا خفية". كانت "ماريانا" أول مَنْ خرج من السيارة، توجهت إلى "أنتونيا" وأعطتها حقيبة يدها لتمسكها وحقيبة تحتوي على بعض الملابس التي لم يحضروها معهم أثناء الانتقال في اليوم السابق، ثم عادت بسرعة إلى السيارة، وفتحت الباب الخلفي وفكَّت حزام كرسي الطفل، راقبت الطفلة "ماريانا" وهي تلتقط أخاها متمتمة بشيء من قبيل:

- تعالَ هنا أيُّها الصغير.

ثم حملته خارج السيارة. سقطت بطانيته على الحصى.

- ألا يبدو جميلًا اليوم يا "أنتونيا"؟

أومأت "أنتونيا".

- اذهبي وحضِّري له رضعة، إنه جائع بالتأكيد.

دخلت "أنتونيا" إلى المنزل بالملابس والحقيبة، نظرت "ماريانا" والطفل في حضنها إلى السيارة، وكأنها تبحث عن شيء ما.

- "إرنستو"؟

ظهر "إرنستو" من خلف حقيبة السيارة، يدفع عربة أطفال كوّم فيها مضارب تنس وجراب بدلة، دخلوا المنزل معًا ورأت الفتاة الباب ينغلق خلفهم، تفحصت المنزل من خلال زجاج السيارة، معتقدة أنه أفضل منزل في العالم. وكأنه مصنوع من الطوفي والكريمة، كالبيت الذي حكوا لها عنه في كنيسة "سيا كاتي"، ودّت أن تخرج من السيارة وتجري على العشب الذي بدا كالسجاد، ولكنها لم تستطع، لأنها لم تعرف كيف تفك حزام المقعد، حاولت، ولكنها فشلت في فكه وخافت أن تكسر شيء وتُعاقب عليه بالضرب، فلم ترد أن يضربها أحد مجددًا.

مرَّ الوقت، سلَّت الطفلة نفسها بمشاهدة المارة في الشارع؛ سيدة معها كلب بسلسلة، سيدة ترتدي نفس زي "أنتونيا" تدفع طفلًا في عربة أطفال، ولد على درَّاجته وفتاة مرتدية "الباتيناج"، ودّت أن تفعل مثلها يومًا ما، لم ترَ في حياتها "باتيناج" عن قُرب، ومرّت الفتاة بسرعة كبيرة لم تستطع معها رؤيته بوضوح، ومع ذلك لاحظت أن لون الحذاء بامبي، لونها المفضل.

فُتِح باب البيت، وخرجت "أنتونيا" متجهة إلى السيارة:

- ماذاتفعلين هنا، هيا، هيا.

ثم فكَّتْ حزام المقعد بعد عناء لعدم اعتيادها على مثله، وأخذت الطفلة من يدها واتجهت بها إلى المنزل. بيتها الجديد.

دخلت الطفلة المدرسة يوم الاثنين التالي لانتقالهم، لم تذهب إلى مدرسة أبدًا من قبل، ونجحت "ماريانا" و"إرنستو" في إلحاق البنت بالصف الأول بمدرسة "ليكلاند"، المدرسة التي طالما حلما بإلحاق طفلهما البكري بها، على الرغم من عدم معرفتها المسبقة باللغة. و"اللغة" هنا تعني الإنجليزية، ولم يكن الأمر هينًا بالنسبة للطفلة، حيث مر شهران منذ بدء الفصل الدراسي. أخبرتهما مديرة المدرسة أن هذا تحدٍّ عليهم مواجهته معًا: حيث ستولي المدرسة اهتمامًا خاصًا بالفتاة لمساعدتها على اكتساب نفس مهارات اللغة التي اكتسبها زملاؤها في الفصل، ولكن على "ماريانا" أن تنظم دروسًا خاصة إضافية للتأكد من تعزيز تلك المهارات. تحدثوا عن توفير "مدرب" بدلًا من مدرس، ووافقت "ماريانا"، حيث لزم عليهما البدء، فـ"بدرو" سيلتحق بالصف الأول في مدرسة "ليكلاند" على أية حال شأنه شأن أي طفل آخر، ولأسباب معينة، كان من المعقول لـ"بدرو" وللبنت أن يلتحقا بنفس المدرسة.

لم تتوقع "ماريانا" الكثير بالنسبة لخطوات "رومينا" الأولى في المدرسة، فقد تعلمت ألا تمني نفسها بالكثير، تمامًا كطريقتها في التعامل مع الإحباطات

أثناء سنوات علاج الخصوبة حينما كانت تدخل الحمام شهرًا بعد شهر متخوفة من السيناريو الأسوأ مكتشفة تأكيد مخاوفها؛ البقعة التي تمحو كل الآمال والرجوع إلى نقطة البداية. وفي الولايات المتحدة شخَّصوا الحالة بـ"بويضات فارغة تمامًا" وشعرت بالامتنان لصراحتهم، لذا أرادت أن تتبع نفس السياسة مع تعليم الفتاة: التخلي عن كل الآمال، وتوقع الأسوأ والتصدي للإحباط المستقبلي عن طريق توقعه. ومع ذلك، عندما حانت اللحظة، لم تستطع المساعدة بسبب قلقها، كانت تُعد كل شيء في الليل، تكوي الزي المدرسي بنفسها، للتأكد من تناسق كل ثنايا التنورة، ثم تترك الملابس مطوية بعناية على الكرسي: البلوزة البيضاء، السترة بتفاصيلها الحمراء والخضراء اللامعة، والتنورة، بينما البنت نائمة، يلمع شعرها الأسود في ظلمة الغرفة.

نزلت "ماريانا" إلى غرفة المعيشة، شغّلت التليفزيون وأشعلت سيجارة، بينما يعمل "إرنستو" على الكمبيوتر، تنقلت بين القنوات من دون أن تدرك ماذا تشاهد، أرادت فقط أن تقضي الوقت، ليمر يوم، بعد يوم، بعد يوم، حتى يجيء اليوم الذي تنسى فيه من أين ومَنْ الذي جاء بالطفلين، وخصوصًا البنت، حيث اختلف الأمر بالنسبة لـ"بدرو"، فقد كان عمره ثلاثة أشهر فقط، سينسى قريبًا الروائح، النَفَس الخاص، الصوت، ضربات القلب، ضربة آلمته، ستتمكن من تشكيله أثناء نموه، على عكس البنت، التي شهدت الكثير بالفعل، يمكننا القول بأن "ماريانا" وجدت صعوبة في مقابلة عيني الطفلة، لقد أخافتها، وكأن تلك العينين السوداويتين بإمكانهما عرض الأشياء التي شهدها الطفلان.

رنَّ المنبه في السابعة والنصف، استيقظت "ماريانا"، وارتدت ملابسها ثم هبطت لتناول الإفطار، ثم طلبت من "أنتونيا" أن توقظ "رومينا"، لتفطرها وتلبسها، ثم صعدت هي بنفسها لتصفف لها شعرها، لن يذهب "إرنستو" معهما إلى المدرسة، ولكنه ودَّ هذا: ففي مثل تلك المواقف يمكنه مقابلة شخص ما يصلح في أن يكون علاقة مفيدة، أو عميل جيد، كما أراد أن يعرف المجتمع الذي ينتمي إليه الآن، ولكن "ماريانا" طلبت منه البقاء مع "بدرو"، حيث كان

يسعل طوال الليل، وقلقت لذلك، وعلم "إرنستو" بالخبرة أنه لا توجد فرصة عمل تستحق إثارة قلق "ماريانا".

صعدت "ماريانا" إلى غرفة البنت، وصففت شعرها بأفضل طريقة تعرفها، شعرها أسود، لامع وكثيف، انتظرتهم مصففة شعر في يوم إحضارهما للطفلين من "كورينتس"، في تلك الأيام كانا يعيشان في شقة بـ"بيونس آيرس"، وفي أقل من خمس دقائق، تم حلق شعر الطفل تمامًا، كما قصَّت شعر الطفلة على الرغم من إعجاب "ماريانا" الشديد به، في ذلك اليوم أخذت البنت تلعب بخصلات شعر أخيها المحلوقة المتناثرة على أرضية المطبخ، بينما كانت "ماريانا" واقفة على الجانب الآخر تعطي تعليماتها لمصففة الشعر.

قالت لها:

- لا تقصريه للغاية، شعرها جميل.

ترددت "ماريانا" ونظرت إلى البنت الجالسة على الأرضية محدقة في البلاط، ولامست مقشة "أنتونيا" يد البنت وهي تكنس شعر أخيها المقصوص.

- حسنًا، شذِّبي الأطراف، ولكن على الأقل خففيه قليلًا.

ولكن مصففة الشعر لم تستطع، فكلما اقتربت منها بالمقص صرخت البنت.

قالت "أنتونيا":

- إنها تبكي كالأطفال الرضع.

صححت لها مصففة الشعر:

- إنها تعوي مثل الغولة.

خافت البنت، و"ماريانا" أيضًا، فعلى الرغم من مرور شهر منذ أول لقاء لهما معًا، فإن البنت كانت ترتجف كلما بدأت "ماريانا" في تصفيفها.

- ابقِ هادئة لأتمكن من تصفيف شعرك.

حاولت البنت ألا تتحرك، ولكنها تعبت سريعًا وبدأت تشعر بالألم.

ثبتـت "ماريانـا" شـعرها بـشريطة صـوف تناسـب تنورتهـا المدرسـية وكليبـسات شـعر لا تتناسب مع خصلات شعرها اللامعة، تـساءلت عـن مكـان ولادة البنـت، ومَـنْ هـم والـداها، حقيقة أنها ذهبت هي و"إرنستو" لـ"كورنيتس" لجلبها من هناك لم تعنِ شيئًا، تأكدت مـن أن الولد مولود هناك، في مستشفى "جويا"، ولكن الناس قالوا بأن أمهما ليست من المنطقة، ربما تكـون الفتـاة مـن "كـورينتس"، ولكنهـا قـد تكـون أيـضًا مـن "ميـسيونس"، "التـشاكو"، أو "توكومان"، ومالت "ماريانا" باعتقادها أكثر إلى "توكومان"، وتصورت أن مصيرها كان سـينتهي بامرأة قوية وضخمة مثل الخادمة التوكومانية التـي تنظـف بيـت صـديقتها "سـارة". "بـدرو" قوي أيضًا، ولكنه يظهر قوة أقل من قوة "رومينا"، كانت تأمل أن يكونا من أبـوين مختلفـين، وبالتالي يحظى "بدرو" بجينات أفضل، أخوان غير شـقيقين. قـل الـشبه بيـنهما بعـد أن حلـق شعره، طوال فترة الرضاعة، سيتم حلق شعره أسبوعيًا إذا ما اقتـضت الـضرورة ذلـك، وعنـدما يكبر سيبقي شعره قصيرًا مثل "إرنستو"، وإذا مـا صـار جـسده ممتلئـًا، سـتكون فرصـة جيـدة ليلتحق بفريق المدرسة لكرة الرجبي، سيحظى دائمًا بأفضل وأصح الطعـام، وهـذا سيـساعده، والرياضة، المزيد من الرياضة، وبالنسبة للبنت، لن يهم النظام الغذائي، فعلى أية حال سـيكون لها كاحلان سميكان وعلمت "ماريانا" باستحالة حل تلك المعضلة.

خلعت كليبسات الشعر ووضعتها مرة أخرى في أعلى الرأس قليلًا، راقبتها البنت مـن دون أن يرمش لها جفن، حدثتها "ماريانا" عن المدرسة الجديدة، عن تلك الفرصة الرائعـة الـسانحة لها، عن مدى ضآلة قدر المرء إن لم يتحـدث الإنجليزيـة وأنـه عليهـا أن تبـذل جهـدًا كبـيرًا في تعلمها، ثم التقطت حقيبة ظهر الفتاة وتركت الغرفة، تبعتها البنـت بخطـوات قليلـة، ولكـن عند وصولها لغرفة "بدرو"، دخلتها بهدوء، سمعتها "ماريانا" من الطرقة وهي تقول:

- مع السلامة "بابا".

فعادت لتأخذها.

- لا توقظيه، فقد كان يسعل طوال الليل.

وعند انتهائهما من نزول السلم، أضافت:

- إنه "بيبي" وليس "بابا".

فكررت البنت:

- "بابا".

ولم تعلق "ماريانا".

كان على الأطفال أن يصطفوا في الملعب، وجدت "ماريانا" طابور الصف الأول وتركت البنت فيه، وراقبتها عن بُعد، "رومينا" الأطول، والأكبر، والأسمر، عكس شعرها شمس الصباح، وقفت "ماريانا" على جنب، حيث يبقى بعض أولياء الأمور ليشاهدوا تحية العلم، كانت بجوارها سيدة تتكلم، كانت جديدة أيضًا، واكتشفت أنها انتقلت للتو مع عائلتها للحي أيضًا.

سألتها:

- ما هي مدرستها السابقة؟

تظاهرت "ماريانا" بأنها لم تسمع السؤال، وأخذت تحصي رؤوس البنات المنتظرات في الصف للالتحاق بالفصل "أولى أول"؛ ست شقراوات، ثماني فتيات بنيات الشعر، فتاتان بشعر أسود، والبنت.

ألحت المرأة الواقفة بجوارها:

- أيهن ابنتِك؟

فأجابت "ماريانا" من دون أن تشير:

- تلك.

- الشقراء الصغيرة ذات الضفيرة؟

- لا، السمراء الضخمة.

نظرت المرأة، وقبل أن تتفحص بنظرها الفتاة، أضافت "ماريانا":

- ابنتي بالتبني.

وانطلق صوت النشيد الوطني.



7



أتت العلامة الأولى لانضمامنا لدائرة أصدقاء عائلة "سكاليا" بعد أشهر قليلة من انتقـالهم. كنت متجهة للحمام بسرعة، حيث كنت مرتبطة بموعـد مـع عميـل سـأريه منـزلًا تـم عرضـه مؤخرًا للبيع، ولم أستيقظ مبكرًا . بعث قانون تغيير العملة حيـاة جديـدة في الـسوق لأسـباب أعجز عن شرحها: حيث ارتفع سعر الأراضي عن سعرها بعد أن أصبحت بالدولار، لم أكن أبـدًا جيدة في المتغيرات والتأثيرات العكسية الاقتـصادية، لكـن المـستثمرين كـانوا سـعداء، وكـذلك كنت سعيدة أيضًا. رنّ التليفون، خرجت من الحمام أجري لأرد، معتقدة أنـه العميـل، كانـت قدماي مبتلتين جدًّا فكدت أنزلق. وجدت "تيريزا" على التليفون:

- نود دعوتكما على العشاء يوم الأربعاء ليلًا يا "فرجينيا"، حوالي الساعة التاسعة، سـيكون هناك عشرة أزواج من أصدقائنا، ونود أن تأتيا، إنه عيد ميلاد "تانو".

كان "روني" قد تقابل مع "إلتانو" مرتين في ملعب التنس قبل أن تُوَجَّـه لنـا تلـك الـدعوة، كما تناولا الشراب معًا مرة واحدة عقب مباراة للتنس، أمَّا أنا فلم أرهم منذ توقيعهم للعقـد. كنَّا نراهم فقط وهم محاطون بالمهندسين المعماريين أثناء بناء المنزل، وعلى الرغم من رغبتـي في التقرب منهم عدة مرات، فإن تصرفاتهم - وخـصوصًا "إلتـانو" - لم تكـن مـشجعة، وراودني انطباع بأنني لم أكن الوحيدة التـي تجنبـتهم، وبـدا واضـحًا أن "إلتـانو" شـخص يحـب انتقـاء أصدقائه، لا يمكنك المبادرة والتقرُّب إليه إلا إذا أعطاك إشارة واضحة أولًا، ولم يكن من السهل رفض دعوته أيضًا.

في يوم انتقالهم إلى حيِّنا، أرسلت لهم بوكيه ورد ومعه بطاقة مكتوب عليهـا: "لا تــترددا في طلــب مــساعدتي في أي شيء تحتاجونــه - جــارتكم "فرجينيــا"".

أرسلتُ نفس البطاقة مع الزهور لكل عملائي عقب انتقالهم إلى الحي، هذه هي الطريقة التي أستطيع بها الابتعاد عن دور السمسار بمجرد الانتهاء من كل التفاصيل، ولذلك أود التوقيع بـ"فرجينيا" وليس "مافي"، وهو التوقيع المختصر لـ"ماريا فرجينيا" الذي استخدمه في التوقيعات الرسمية، ومن ناحية أخرى، لم يتوقف الأصدقاء عن التحول إلى عملاء محتملين، ولم يتحول العملاء إلى أي شيء إلا لأصدقاء محتملين، سجلت هذا في دفتر مذكراتي الأحمر، تمتزج الأشياء بشكل غريب في "كاسكايد هايتس"، وهذا بسبب اتساع تعريف مصطلح "الصداقة" جدًّا هنا، لدرجة أنك لو فكرت في الأمر، ستجد مفهوم الصداقة هنا قد أصبح محدودًا للغاية.

"روني" دقيق بطبعه، لذا فقد كنَّا أول مَنْ وصل إلى بيت "سكاليا"، فتح "إلتانو" الباب لنا بابتسامة ترحيب أكدت لنا أن حضورنا مرغوب فيه:

- سعيد جدًّا بحضوركما!

أعطاه "روني" هدية، عبارة عن "تي شيرت" تنس، تقليدي جدًّا، من محل ملابس رياضية بجوار ملعب التنس، اشتريته أنا في الواقع، دائمًا ما أهادي بمثل تلك الأشياء، وكهدية، فـ"التي شيرت" هدية معقولة وسهل تغييره، حيث أجد صعوبة - أو خطورة - في شراء هدية لشخص لا أعرفه جيدًا، لا أشتري كتبًا أبدًا، وخصوصًا للرجال، لأنه إذا كان الرجال يقرؤون، فهم يقرؤون مقالات عن الأحداث الجارية، والأحداث السياسية والاقتصادية، ولا يقرؤون الروايات، تخيّل لو أنني أعطيت شخصًا كتابًا يؤيد قضية تخالف القضية التي يؤمن بها هذا الشخص؟ سيكون الأمر وكأنك تعطي قميص فريق "بوكا" لشخص يشجع فريق "الريفر"، إنه كابوس، والحال مماثل بالنسبة للموسيقى، وعلى أية حال لا أعرف الكثير عن الموسيقى. "خواني" مُلمٌّ بالموسيقى، ولكنه يتضايق إذا ما طلبت نصيحته، وعلى أية حال كان طفلًا في ذلك الوقت، وما يزال كذلك. دائمًا ما يفي "التي شيرت" بجميع الأغراض، فإذا ما كان الشخص لاعب جولف، عندها أهديه قميص "بولو" بأزرار ومن دون

رقبة دائرية: حيث لا يُسمح بالرقبة الدائرية في ملاعب الجولف، وإذا ما كـان يمـارس الجـري، أهديه قميص تدريب يمتص العرق، وإذا ما كان يلعب التنس، فالقميص الأبيض التقليـدي ذو الأكمام والياقة الزرقاء هو المناسب، ولكن من الأفضل أن يكون سادة إذا ما كنت سأهادي به شخصًا أعرفه منذ فترة قصيرة. اشتريته من محل الملابس الرياضية بـ"كاسكايد هايتس"، حيـث لا يهتمون بالفواتير ويمكنك تغيير الأشياء بسهولة من دون أن تريهم الفاتورة.

من ضمن الأشياء القليلة التي عرفتها عن "إلتانو" يوم احتفاله بعيد ميلاده الأول في الحي هو شغفه بالتنس. في الحقيقة، كان أغلب الضيوف ذوي صلة برياضة التنس بشكل أو بـآخر: "روبرتو كانيبـا" رئـيس لجنـة التـنس وزوجتـه "أنيتـا"، و"فابيـان" مـدرب "إلتـانو" وصـديقته، "ألفريدو إنسوا" الذي كان اللاعب رقم واحد في "كاسكايد هايتس" حتى وصول "إلتـانو" وقـد اتجه الآن للجولف عقب خسارته ثلاث مباريات على التوالي، وزوجته "كـارمن"، التـي نظمـت مع "تيريزا" دورات لعبة الدومينو الشهيرة "بوراجو"[2] لمساعدة مركز الأطفال الفقراء في "سانتا ماريا دي لوس تجريتوس"، وكانت "مالينا" وزوجها "لويس شيانتي" الضيفين الوحيدين اللذين لا تجمعهما صلة بالتنس، وهما زوجان يعيشان في بلدة مجاورة لنا. أصبحا صديقين لـ"تيريـزا" لأن أولادهما في نفس المدرسة، وشـمل الحـضور أيـضًا "ماريانـا" و"إرنـستو أنـدرادي" اللـذين انتقلا حديثًا لحينا، ولكن "إلتانو" يعرفهما بسبب صفقة عمل رتبها "أنـدرادي" لــ"إلتـانو"، ولم يكن هناك قريب أو صـديق خـارج سـكان "كاسـكايد هـايتس"، أو نـادٍ اجتماعـي يبعـد عـن الطريق السريع الواصل لحينا ببوابتين.

قالت "مالينا" وهي تختـار "الكانابيـه" مـن الـصينية التـي كانـت تحملهـا خادمـة عائلـة "سكاليا":

(2)- "البوراجو" لعبة شهيرة في الأرجنتين، تشبه لعبة "الريمية"، ولكنها تُلعب بقطع الدومينو بدلًا من الكوتشينة.

- من الخطأ خلط الناس، حيث ينتهي الحال ببعضهم مبتعدًا في جانب، والبعض الآخر في الجانب الثاني، لا يختلطون، ومن ثم يقوم المرء بجميع الأعمال، متنقلًا من جانب لآخر من دون أي وسيلة ترفيه.

فأجابتها "تيريزا" وهي ترقب خادمتها أثناء أداء وظيفتها:

- لا، وعلاوة على ذلك، تضعهم في أوضاع حرجة، لأنه بدلًا من قطع كل تلك المسافة في الليل لقضاء ساعتين أو ثلاث ساعات فقط، فسيكون من الأفضل أن تقيم حفل شواء "أسادو" في عطلة نهاية الأسبوع، أحضري النبيذ يا "ماريا".

وأضافت أخرى:

- تقولين هذا الآن، لأنك جديدة هنا، أشهر قليلة في المستقبل ولن تدعي أحدًا، حيث تدعين الناس لتناول شواء "أسادو"[3] على الغداء فيحتلون المنزل ويبقون طوال اليوم. وتكونين محظوظة إن لم يقضوا الليل أيضًا، حيث يعاملون بيتِك وكأنه بيتهم، وكأننا في الريف، من أين اشتريتِ هذا الصيني؟

في هذا الوقت من الليل، تجمعت النساء في جانب من الغرفة، وتجمع الرجال في الجانب الآخر، باستثنائي أنا، حيث أحببت دومًا الاختلاط، عندما أكون مع النساء، أود معرفة فيما يتحدث الرجال، وعندما أكون مع الرجال أتساءل عمَّا يضحك النساء، يمكنني بسهولة الانخراط في حوار عن الأحذية والحقائب كانخراطي في حوار عن ارتفاع سوق البورصة وانخفاض سعر الفائدة بسبب قانون تغيير العملة، أو إيجابيات وسلبيات اتفاقية "ميركوسور"[4] بين الأرجنتين، والبرازيل، وباراجواي، وأوروجواي، كما تصيبني تلك المواضيع بالملل أحيانًا، كنت أجلس على يد كرسي "روني"، حيث كان يخبر "لويس شيانتي" عن تمويل مشروع جديد كان يعمل عليه في ذلك الوقت، عندما لاحظتُ "تيريزا" وهي

(3)- شواء جيد الإعداد.

4))- "ميركوسور" هي اتفاقية التجارة الحرة بين الأرجنتين، والبرازيل، وباراجواي، وأوروجواي، تم توقيعها عام 1991.

تترك مجموعة النساء بغموض مُبالغ فيه، راقبتها وهـي متجهـة إلى الطرقـة المؤديـة إلى غرفـة الخادمة، وبعد خمس دقائق، عادت يتبعها مهرج.

- حبيبي، لأنك تملك بالفعل كل شيء، فهديتي لكَ هذا العام ستكون قليلًا من السحر.

وابتسمت "تيريزا" وابتسم الساحر الواقف خلفها، لكن لم يبتـسم "إلتـانو"، شـعرت بعـدم الارتياح، وكأنني سأُلام على جزء مما حـدث، حيـث كنـت شـاهدة عليـه ببـساطة، قـد نكـون مسؤولين فقط عن أفعالنا، ولكن المشاهدة فعل أيضًا (أو هكذا كتبت في دفتر مذكراتي الأحمر في تلك الليلة). حلَّت فترة صمت بدت وكأنهـا ستـستمر مـدى الحيـاة، ثـم قـررت أن أصـفق، كالتصفيق الذي يتبع نهاية الخُطَب، ونظرت حولي باحثة عمّن يصفق معي، فتبعني الآخـرون بحماس أقل، ولكن عن اقتناع، حتى "إلتانو" صفق، وشعرت براحة معينة، على الـرغم مـن أن يدي كانت تؤلمني؛ لأن الخاتم الذي ربحته في آخر دورة للـ"بوراجو" انزلق وأخذ ينغز في كف يدي مع كل تصفيقة.

بدأ الساحر فقرته وذهبـت "تيريـزا" لـتجلس بجـوار زوجهـا. كنـت قريبـة مـنهما، حيـث جلست على الكرسي المقابل له، وقرأت شفاهه تقول:

- مَنْ طلب منكِ أن تحضري هذا؟ عليكِ أن تخبريني مسبقًا في المرة القادمة.

تكلم بهدوء وحزم، ناظرًا أمامه، خمَّنْتُ بقية حـوارهما أثنـاء صـب بعـض النبيـذ لنفـسي، حتى من دون سماعهما بوضوح، شعرت بصلابة هدوء "إلتانو" ونغمـة صـوته الموزونـة، تمامًـا كصلابة موقفه عندما قال: "أريد تلك الأرض".

ودفعني هذا للتفكير في صوتي، وميلي للصياح، منذ وقت طويل وأنا على علم بأن الـصياح ليس له تأثير، لا على "روني" ولا على "خواني"، ولكنني أصـيح عـلى أيـة حـال، وبـلا شـك كـان الصياح طريقة للتنفيس عن غضبي أكثر منه رغبة في سماع صوتي.

- لو فقط أتعلم من "إلتانو".

منيت نفسي بهذا أثناء وجودي في حفل عيد الميلاد، وعند مروري بهما، بكأسي الممتلئة للمرة الثانية، ابتسم "إلتانو" إليّ ورددت له الابتسامة، جلست على الأرض، مقابل صفهم، كان العرض جيدًا على الرغم من أن الساحر لم يكن ماهرًا بما فيه الكفاية، فبدلته رثة، كما أخذ يقول النكات بسرعة ودون أن يجعلها مضحكة، صفّقتُ له على أية حال، وتبعني الآخرون، وهذه المرة خلعت خاتمي ووضعته في جيب البنطلون، وكلما التفتُ لأنظر إلى "تيريزا" و"إلتانو" الجالسين معًا، رأيت "إلتانو" واضعًا ذراعه حول كتفها في حركة غامضة ربما تشير إلى الحنان أو السيطرة.

قال الساحر:

- أتساءل لو كنا محظوظين بما فيه الكفاية ليشرفنا صاحب عيد الميلاد في المشاركة في لعبة سحرية.

لم يحرك "إلتانو" ساكنًا، وكأنه لم يكن الشخص الذي تمت دعوته.

- إنه عيد ميلادكَ، أليس كذلك؟

- لا.

ارتبك الساحر، ونظرت "تيريزا" بقلق إلى زوجها، ولكنه ظل صامتًا، وخرج "إلتانو" من الموقف من دون أي مشقة، لم يعرف الآخرون إن كان عليهم أن يضحكوا أو يبدوا اهتمامًا، ولم يرد أحد أن يخاطر بالقفز في الطريق الخاطئ، اعتقدت أنني أعلم ما يجب فعله، ولكنني لم أجرؤ على ذلك، كان "روني" أشجع مني، وصدمني بقاء شخصياتنا تكمّل إحداهما الأخرى حتى أثناء اختفاء الأسباب الواضحة الأخرى لنا لنبقى معًا، عشنا وكأننا فقدنا كل ما ربط بيننا، باستثناء توزيع ضمني دقيق للأدوار والوظائف التي دعمت نمط الحياة الذي أُجبرنا عليها بقوة الإرادة وليس العاطفة أو المشاعر.

نهض "روني" وقال:

- إنه عيد ميلادي.

تظاهر الساحر بأنه صدقه، على الرغم من أنه يعلم الحقيقـة، لأن وجهـه عـبَّر عـن شـكرٍ صامت، ووافق الجميع على تلك الدعابة، وانطلق الساحر:

- العرض يجب أن يستمر.

قال ذلك لنفسه، فهذا ما دفعوا له كي يفعله على أية حال.

صفقت مرة أخرى، باستمتاع أكبر، بطريقـة جعلـت الجميـع يظـن أننـي سـكرانة، جعـل الساحر "روني" يقطِّع الحبل إلى عدة قطع، تم دمجها بعد ذلـك، ثـم قطـع أكثر، بعقـد ومـن دون عقد، وهكذا لمرات أكثر مما تسمح به قوة شد الحبل، ثم قـام بعمـل خدعـة بالحلقـات فجَّرت دعابة لا مفر منها، حيث قال "روبرتو كانيبا" من دون أي رقة:

- بالتأكيد يعرف "رونيتو" طريقه حول الحلقات.

فتمتمت زوجته بطريقة معاتبة:

- ارحمنى.

ولكنها ضحكت معنا.

ثم حان وقت آخر خدعة، طلب الساحر عملة نقدية، فوضع "روني" يده في جيبه وأخـرج عملات معدنية فقط، فصرخ "إنسِوَا":

- انظروا مَنْ قبض اليوم!

وضحك بإخلاص حتى لا يدع مجالًا للشك بأن ما قاله قصد به الدعابة فقط، وبالتـالي فـلا يجب على أحد أن يأخذها بمحمل الإهانة، همَّ أحد الحضور بفـتح محفظتـه، ولكـن "إلتـانو" أشار له بأن يتوقف، ومن دون أن يتحرك مـن مقعـده، أخـرج ورقـة بمئـة دولار وأمـسكها في اتجاه الساحر. كانت ملتوية بالطول كالورقة النقدية المحشورة بين نهدي راقـصة، ولـكي يـصل لها، كان على الساحر أن يشق طريقه بين الحضور بينما لم يبذل "إلتـانو" أي مجهـود باسـتثناء مسك الورقة النقدية، تعرقت يد الساحر، والتصقت الورقة به، وقال:

- شكرًا سيدي، هذا لطف شديد منك.

ثم عاد إلى المساحة التي من المفترض أنها مسرح، محاولًا ألا يدوس على أي شخص.

كانت الخدعة عبارة عن كتابة الرقم السري للعملة النقدية وطيها ثم وضعها في صندوق لحرقها بإدخال سيجارة إلى الصندوق، ثم تظهر العملة النقدية مرة أخرى سليمة تمامًا.

أثناء وضعه للعملة النقدية في الصندوق قال الساحر:

- منذ عدة سنوات، اعتدت أن أقوم بعمل خدعة نشر امرأة مساعدة نصفين بدلًا من تلك الخدعة، ولكنني لاحظت أن خدعة عملة الدولار تلك تثير توترًا أكبر عند جمهور معين.

ضحكنا، حيث كانت تلك أول دعابة يقولها في محلها، حتى "إلتانو" ضحك، وتبدد بعض التوتر، استمر الساحر في عمله، طلب من "ماريانا أندرادي" السيجارة التي كانت تدخنها، وأدخلها في الصندوق الصغير الذي يحوي الورقة النقدية، وازداد الدخَّان سوادًا وكثافة، مرت السيجارة خلال الصندوق وظهرت من الجانب الآخر مجعدة قليلًا، جرى العرق على جانب وجه الساحر وخشيت أن تكون الخدعة قد فشلت، ولكن لا، أعاد الساحر السيجارة إلى صاحبتها، ثم جعل "روني" يفتح الصندوق، ويخرج الورقة النقدية، فردها وعرضها على الحضور كما يجب أن تكون: تامة، سليمة، وصالحة للاستخدام، راجع الرقم السري، وكانت نفس الورقة النقدية، وأثار هذا تصفيقًا حماسيًا، بسبب الخدعة نفسها وبسبب حقيقة التأكد من أن العرض قارب على النهاية، مدّ الساحر يده بالورقة إلى "إلتانو" الذي قال:

- من الأفضل أن تحتفظ بها، أنا متأكد من أن كل هذا العرض سيكلفني بعض النقود على أية حال.

تأرجحت الورقة النقدية في الهواء بينهما للحظة، ثم طواها الساحر بعناية وحرص أكثر من تعامله معها أثناء إجراء الخدعة، ثم وضعها في جيبه، وانحنى قائلًا:

- شكرًا سيدي، هذا كرم بالغ.

كنا آخر من انصرف واصطحبانا إلى الباب، وأثناء وقوفهما على البوابة، وضع "إلتانو" ذراعه حول زوجته، كما كان الوضع طوال الليلة. كانت حركة غريبة وغامضة بعض الشيء.

قلت كما هي العادة:

- قضينا وقتًا عظيمًا، شكرًا.

فأجابت "تيريزا":

- كان وقتًا ممتعًا جدًا، أليس كذلك؟

نظرت إلى "روني" في انتظار أن يقول شيئًا، وعندما لم ينطق، غطيت صمته:

- نعم، كان ممتعًا حقًا، شكرًا لكما.

ضايقني أن "روني" لم يقم بالمساهمة في تلك المجاملة ولا حتى بكلمة واحدة، نظرت إليه مجددًا وضربته برفسة صغيرة، فحل صمت قصير، ثم قال:

- أتعرف المشكلة التي ستواجهك هنا يا "تانو"؟

تردد "إلتانو".

- لا يوجد منافسون لكَ هنا.

صمتنا جميعًا، ولا أفترض أن أحدًا قد فهم ما قصده بذلك التعليق، وشعرت بالقليل من الخوف.

- لا أحد هنا قادر على لعب مباراة جيدة ضدَك، وسيصيبك الملل في نهاية المطاف، نحتاج إلى دماء جديدة، أشخاص يجيدون لعب التنس بنفس مستواك يا "تانو".

ابتسم "إلتانو" وكذلك أنا.

- أتوقع أن تراعي هذا في انتقائِك للمشترين المستقبلين "فرجينيا"، وتضعيه في البنـد الأول لاستمارة التسجيل: "المستوى المتميز في لعب التنس، وإلا يصبح مرفوضًا".

وللمرة الأخيرة قبل نهاية تلك الليلة ضحكنا عـلى تلـك الدعابـة التـي لم تعجـب الجميـع، ألقينا سلاماتنا الأخيرة، وتمشينا ببطء محدثين صوتًا طفيفًا على العشب المندي، وسمعنا صوت إغلاق باب بيت "سكاليا" خلفنا، باب ثقيل ذي قفل مُحكم.

ابتعدنا قليلًا صامتين، وعندما شعرت بأننا ابتعدنا بما فيه الكفاية قلت:

- أراهنُك أنه يلومها الآن بسبب الساحر.

فنظر "روني" إليّ وهزّ رأسه.

- أراهنك أنه يتساءل الآن مَنْ سيصبح منافسه في التنس.



8



قضت "فرجينيا" سنواتها الأولى في "كاسكايد هايتس" تعتني بـ"خواني" وتستمتع بممارسة الرياضة، والمشي في الغابات، وصداقاتها الجديدة، عاشت كواحدة منا، وإذا ما باعت لنا أو أجَّرتْ لنا منزلًا أو قطعة أرض خلال تلك الفترة، كانت تتدخل في الصفقة لمرة واحدة لمعرفتها بأحد طرفيها.

وبعد ست سنوات، عندما فقد "روني" وظيفته، أصبحت منخرطة أكثر في سوق العقارات، وقد أدارت عزبة لعدة سنوات بالنيابة عن أصدقاء عائلتها، واستحقت الآن مبلغًا كبيرًا سمح لهم بالعيش آمنين لفترة وجيزة، وقد تكون تلك التسوية قصيرة أو طويلة الأجل اعتمادًا على معدل مصروفاتهم من تلك اللحظة، وتفَهَّم "روني" هذا معتبرًا فترة القحط هذه إجازة مفتوحة، واتكل على أنه سيكسب دخلًا بنهاية تلك الفترة، بينما خافت "مافي" ولكنها لم تقل شيئًا، شكت في أن زوجها لن يجد وظيفة جديدة بسهولة، ولم تُرِد أن ترى مدخراتها تُستنفد من دون أي مصدر مالي لسد هذا النزيف، في العمل أبلغوا "روني" بأنهم بحاجة إلى "تخفيض النفقات"، وخلال شهر من فصله أحضروا مهندسًا زراعيًا حديث التخرج ودربوه على شغل الوظيفة التي قام بها "روني" من دون أية درجة جامعية.

بينما قام رجل محظوظ آخر بتثبيت قدميه في الوظيفة، إنه قائدنا، رئيس الأرجنتين، الذي لم يحتج بفضل الإصلاح الدستوري إلى التنازل عن منصبه بعد أربع سنوات فحسب، بل أصبح قادرًا على التقدم لإعادة انتخاب نفسه لفترة ثانية، لم يكن "روني" محظوظًا جدًّا، كما فقد الكثيرون وظائفهم في تلك السنة المنكوبة، وساءت أحوال الآخرين أكثر، فبعد عام من انفجار القنبلة التي دمرت

الجمعية التعاونية اليهودية الأرجنتينية، قُتل ابـن الـرئيس في حـادث طـائرة مروحيـة، ووقـع انفجار في مصنع ذخيرة بـ"ريـو تيرسـيرو" أدى إلى مقتـل سـتة أشـخاص، وفقـدنا بعـض نجـوم مجتمعنا؛ منهم ذلك الملاكم الذي ألقى بزوجته من النافذة، والذي كـان أول بطـل أرجنتينـي لـسباقات "فورميـولا وان" أشـعل النـيران في محـرك سـيارته أثنـاء الجنـازة وودعـه أهـل حـي "بالكارسي" كلهم، ولكن في ذلك الوقت، لم يقترب الموت بعد منّا، لم يلمس دائرة أصدقائنا.

كانت "مافي جيفارا" أول وكالة عقارات يديرها شـخص عـلى درايـة تامـة بحـي "كاسـكايد هايتس"، شخص نعرفه جيدًا، "ماريا فرجينيا جيفارا"، "فرجينيا": لم ننادهـا باسـمها الكامـل أو حتى باسمها المختصر، لأن "ماريا فرجينيا" كانت مرتبطـة بـزمن سـابق لمعرفتنـا بهـا و"مـافي" شخصية وُجدت لأغراض العمل. قبل ظهور "فرجينيا" على الساحة، اعتـدنا شراء وبيـع المنـازل عن طريق وكالات عقارية في "سان إسيدرو"، و"مارتينيز" أو "بيـونس آيـرس"، لكننـا لم نـشعر بالألفة في تعاملنا معهم؛ فلم نعرف أي أحد مـنهم، بالإضـافة إلى تحـدث الـوكلاء عـن المنـازل وكأنهم منفصلون عن الأرض الواقفون عليها، بينما انتهجـت "فرجينيـا" أسـلوبًا مختلفًـا جـدًّا. كانت تعلم أفضل من أي شخص آخر بأن كل منزل له مميزاته، وعيوبه أيضًا، كانت تعلم بأن الشوارع لا تسير في خطوط متوازية، كحالهم في المدينة، لأن تصميمها غير متطابق مع الـشكل المعتاد. أمَّا الـسماسرة الآخـرون، فكـانوا يفقـدون طـريقهم ولا يفرقـون بـين الـشرق والغـرب وينتهي بهم الحال باسـتدعاء الحـارس، لأن "كاسـكايد هـايتس" تـشبه متاهـة لا يـستطيع أن يهرب منها أحد حتى ولو عاد متتبعًا آثار قدميه.

الغرباء في الحي كـ"هانسل" بطل الحكاية الخرافية، الذي أكلـت الطيـور مـن فتافيت خبزه التـي تركهـا وراءه حتـى لا يتـوه؛ يـتلاشى إحـساسهم بالاتجاهـات، يتوهون في الشوارع، حيث يبدو كل شيء متشابهًا ومختلفًا في نفس الوقت، بينما تستطيع "فرجينيا" إيجاد المخرج وهي مغمضة العينين، وكـذلك نـستطيع نحـن، حيث نعرف بالذاكرة غصن الشجرة الـذي تـسطع مـن خلفـه الـشمس، والمنـزل الـذي تغـرب مـن خلفـه، في الـصيف والـشتاء، لأنهـما مختلفـان، نعـرف في أي

وقت يغرد الطائر الأول وأماكن الوطاويط وابن عـرس، وهـذا شيء تبقيـه "فرجينيـا" دائمًـا في ذاكرتها أثناء عرض المنزل على زبون؛ الوطاويط وابن عرس، فعند وصولهم إلى الحي، أحيانًا مـا يتصور المشترون المحتملون أنهـم سيعيـشون في الجنـة، وإن لم يـتم تحـذيرهم، قـد تقـودهم صدمة رؤية أحد تلك المخلوقات إلى الجحيم، تعجز حواجزنا الثلاثة عن إبعاد الوطاويط وابن عرس عن الحي، كما يعجز سورنا المحـيط بنـا. مـع الوقـت تعتـاد عليهـا، بـل وتحبهـا، ولكـن مقابلتها الأولى تترك أثرًا معينًا، وغالبًا ما تكون مخيبة للآمال، هذا ما شعرنا بـه، نحـن مَـنْ أتى من المدينة ووصلنا هنا محمَّلين بأحلام خاصة بحياة المجمَّعـات الـسكنية بالإضـافة إلى الكثـير من الخوف أيضًا.

"ومن خلال عمل وكالة السمسرة، نريد أن نغذي الأحلام ونبعد المخاوف".

ذلك السطر الموجود في دفتر مذكرات "فرجينيا" تحـت الفـصل المعنـون "الوطـاويط، ابـن عرس، ومخلوقات أخرى في كاسكايد هايتس"، وأضافت فيما بين الأقواس (على الأقل حتى يتم توقيع العقد)، اعتادت "فرجينيا" على حمل ذلك الدفتر الأحمر في كل مكان، كان بمثابة سـجل لكل ما تعلمته عن عمل السمسرة، وإذا ما كانت الوطاويط وابـن عـرس سـيئة، تـصبح رؤيـة الأرانب البرية ميزة أثناء عرض المنزل، وخصوصًا للعائلات التي بها أطفال: "حيث يـزداد الميـل بالإحساس بالحياة الطبيعة التي يحبون رؤيتها".

وبمرور السنوات، ومع زيـادة خبرتهـا، زادت قيمـة دفـتر مـذكرات "فرجينيـا" الأحمـر، وأصبحت له مكانة أسطورية في مجتمعنا، فهـو جـزء مـن أسـطورة "مـافي جيفـارا"، علمنـا جميعًا بوجوده، ولكن لم يقرؤه أحد، على الرغم من زعم البعض بقراءته. خشينا أن تكـون قد كتبت عنَّا به، أو تكون قد تجاهلتنا، وجازفنا (خطـأ) بأننـا جميعًـا في مقـدورنا تكـوين صورة مشابهة للصورة المتبلورة داخل صـفحاته، عـن طريـق تجميـع الملاحظـات المنعزلـة التي سمعناها من "فرجينيا" على مر السنين، وعن طريق اختراع بعض الملاحظـات الأخـرى المعقولـة، وبترديـد تلـك المقـولات التـي بقيـت في ذاكرتنـا، بـدأنا نبنـي تـصورًا دافعنـا

عنه كحقيقة، نسخة شفوية من دفتر المذكرات الأحمر، ولم تفند "فرجينيا" ذلك التصور، وكانت تهددنا ضاحكة:

- احذروا من تصرفاتكم، وإلا كتبت عنكم في دفتري الأحمر.

زعمت أنها تسجل كل شيء، حتى أثناء عدم تأكدها من فائدة بعض الملاحظات، تدفُّقْ مياه الري في القنوات، أي الحدائق معرضة للفيضان، مَنْ هو أفضل كهربائي في المنطقة، ومَنْ هو أفضل صانع أقفال، أي الجيران التعامل معهم مستحيل، ومَنْ منهم يهمل حيواناته الأليفة، ومَنْ تهمل أطفالها، ويقول الناس أيضًا إنها تدوِّن أسماء الرجال الخائنين لزوجاتهم، أو مَنْ يدفع للخادمات حتى يشبعن رغباته، ولكن لا بد أن كل هذا درب من الإشاعات لأن ما شأن كل هذا بشراء أو بيع المنازل؟

وبالإضافة إلى الدفتر الأحمر، اعتادت "فرجينيا" حمل ملف مفهرس يحتوي على بطاقات بيضاء مُسطرة، بطاقة عائلة "إنسوا"، عائلة "ماسوتا"، عائلة "سكاليا"، وعائلة "أوروفيتش"، كل البيوت موجودة، سواء كانت معروضة للبيع أم لا، وبدأت في ضم المنازل غير المعروضة للبيع عقب علمها بأن بعض الجرائد تحتفظ بملف لسجل وفيات لأشخاص مشهورين معينين ما يزالون على قيد الحياة، اعتادت أن تقول:

- تخطيط مستقبلي، وفي حالتي فإن الأمر أقل خطورة من حالهم.

وعلى الرغم من اعتراض البعض على وجود أسمائهم في دفتر موتاها، فإن الزمن أثبت صحة موقفها دائمًا، حيث تعني أزمات معينة أن المنازل التي تم شراؤها كاستثمار لمدى الحياة يجب أن يتم بيعها فجأة، والمال الذي يمكنك من شراء مكان مثل هذا من الممكن اختفاؤه في رمشة عين، ولم تكن "مافي" نذيرة شؤم ولا حاسدة، كما وصفتها "لاتيشيا هورتادو" أثناء صراخها بوجهها بعد بيع منزلهم في المزاد، إنها ببساطة تستطيع رؤية ما ستؤول إليه الأمور قبل أي شخص آخر، للدرجة التي جعلتها تحتفظ ببطاقة لبيتها ضمن دفتر بطاقاتها.

ثم جاء الوقت الذي عُلِقَتْ فيه لافتة مكتوب عليها "مافي جيفارا، سمسار عقـارات"، بعـد أن تم بيع أو تأجير أغلب المنازل في "كاسـكايد هـايتس"، حيـث لم ينافـسها أحـد فـيما يخـص خدمة العملاء، فـ"فرجينيا" لم تنهِ أبدًا أي اجتماع من دون تناول فنجان قهوة مع العميـل، أو الدردشة حول أي شيء آخر بعيد عن العمـل، أو بـالخروج عـلى الأقـل بـشعور غـامض حـول الشخص الذي يوقِّع الأوراق على الطرف الآخر لمكتبها:

"لا أشعر بالقدرة على بيـع منـزل صـديق إلى أي شـخص، ففـي "كاسـكايد هـايتس"، كـل المنازل مملوكة أو كانت مملوكة لأصدقاء، وكل وافد جديد هو صديق محتمل".

يقول النـاس إن تلـك العبـارة مكتوبـة في إحـدى الـصفحات الأولى لـدفتر مـذكراتها. مـن الواضح أنها عرضت تلك العبارة على "كارمن إنسوا" ذات ظهيرة يوم ما عندما كانت "كـارمن" ذات شخصية غير التي أصبحت عليها:

"يجب توضيح كل مرحلة مـن مراحـل الـصفقة العقاريـة، فلـيس بمقـدور أحـد المجازفـة بالـدخول إلى المنطقـة الخاطئـة لـشخص آخـر، لأن في "كاسـكايد هـايتس"، آجـلًا أو عـاجلًا، ستتقابل جميع الطرق".

وبعد أن اختلفت مع "كارلوس رودريجز ألونزو" الذي رفض دفع العمولة المنصوص عليها في بيع منزله، معترضًا بأنهما أصـدقاء وأنـه اعتقـد بأنهـا أعطتـه معلومـات معينـة "كجميـل"، أضافت على هامش الملاحظة سالفة الذكر:

"هل بإمكانك فعلًا أن تصبح صديقًا لشخص عرفته من خلال محفظته؟".

وأجابت عن هذا السؤال في أسفل الصفحة:

" يكمن العذاب كله في المحفظة".

9



أصبحت "رومينا" جاهزة للـذهاب إلى المدرسـة. ذهبـت في سيارة خاصـة لأن الاسـتيقاظ المبكر جعل "ماريانا" في مزاج سيئ وأدى يوميًّا إلى تـدمير صـباحها، ولم تكـن "رومينـا" أيـضًا بالفتاة المرحة، فعندما يحين الوقت الذي ستضطر "ماريانا" فيه للاستيقاظ مبكـرًا حتـى تأخـذ "بدرو" للمدرسة، فستكون قد استقيظت بالفعل، ولكنها في نفـس الوقـت فكـرت في أنـه مـن الأفضل للفتاة -بنتها حاليًا - أن تذهب إلى المدرسة في تاكسي مع "أنتونيـا" بـدلًا مـن مواجهـة مزاجها الصباحي السيئ.

ذهبت "ماريانا" لأخذ حمام ووقفت تحت صنبور المياه حتـى ذهـب النـوم عنهـا، وبعـد فترة، خرجت من الحمام مغطـاة بالفوطـة. كانـت "أنتونيـا" قـد عـادت لتوهـا مـن المدرسـة، وترتب غرفتها، كما تركت صينية الإفطار على الكومودينو. كانت الآن تلتقط الملابـس المتنـاثرة حول السرير، تلك النساء يتمتعن بوضوح بنظام بيولـوجي مختلـف، هكـذا فكَّـرتْ "ماريانـا"، إنهن كالبغال، ثم استلقت على السرير لخمس دقائق أخرى، ركعـت "أنتونيـا" لالتقـاط "التـي شيرت" الليكرا المرصع بحبات الماس الذي ارتدته "ماريانا" ليلة أمس، ولاحظت ثقبًا صغيرًا به:

- "سينيوريتا"، هل رأيتِ هذا؟

نهضت "ماريانا" وتفحصت "التي شيرت"، فقالت "أنتونيا":

- لابد أنها لسعة.

- سـيجارة أحمـق مـا، ذهــب "التــي شـيرت" ذو المئـة دولار هبـاءً، مـن أجـل وقفـة صورة..

أعادت "ماريانا" "التي شيرت" إلى كوم الملابس المتسخة التي تحملها "أنتونيـا"، وبـدأت في فك الفوطة من على شعرها، فحصت "أنتونيا" الثقب الصغير تحت الإبط، وسألتها بحياء:

- أتودينني أن أرتقه؟

فرمقتها "ماريانا":

- هل رأيتيني يومًا ما أرتدي ملابس مرتقة؟

تركت "أنتونيا" الغرفة ونزلت مبتهجة إلى غرفة غسيل الملابس، فعندما تتوقـف "ماريانـا" عن ارتداء الملابس، تعطيها لـ"أنتونيا"، وهذا "التي شيرت" أفضل بكثير من أي شيء حلمت بـه لتقدمه هدية لابنتها في عيد ميلادها القـادم، تفحـصته قبـل أن تغـسله عـلى يـدها، توزعـت حبَّات الماس على القماش في دوائر متداخلة أصابتها بالدوار، لم تسقط أيـة حبـة وسـيتم رتـق الثقب بغرزتين.

وعنـدما أنهـى "التـي شـيرت" دورة غـسيله وكيـه، أخذتـه "أنتونيـا" إلى دولاب "ماريانـا" ووضعته وسط "التي شيرتات" السوداء، تعلم أنه سيكون ملكها عمَّا قريب، وتتمنى أن يكـون قبل عيد ميلاد "باوليتا"، ولكنها لا تقـوى عـلى المغـامرة بأخـذه مـن دون أن تخبرهـا سـيدتها بذلك.

وبعد عدة أيام، دعت "ماريانا" ثـلاث جـارات لتنـاول الـشاي، وضـمن المـشاغل الأخـرى، أدارت تلك النسوة مركزًا يقدِّم وجبات مجانيـة للأطفـال الفقـراء، عـلى بُعـد عـدة مبـانٍ مـن مدخل "كاسـكايد هـايتس"، أطلقـت "تيريـزا سـكاليا"، و"كـارمن إنـسوا"، و"نـاني بيريـز" عـلى أنفسهن اسم "سيدات هايتس" وأسسن مؤسسة تحمل نفس الاسم، وحاولن ضم "ماريانا" إلى حملتهن. قالت إحداهن، والتي طلبت عصير المانجو بالفراولة:

- نحتاج إلى المدربين أكثر من أي شيء آخر، وإلا، نصف الأطفال لـن يـأتِوا لتنـاول الطعـام أثناء المطر بسبب عجزهم عن الحضور بأقدامهم الحافية الموحلة، أيمكنِك تخيل هذا؟

- يا له من شيء مقرف.

قالت "ماريانا" هذا أثناء مناولة "أنتونيا" إياها برّاد شاي به مزيد من المياه الساخنة.

- يجب أن تحضري معنا يومًا ما يا "ماريانا"، وتحضري أطفالِك ليروا هذا بأعينهم، وإلا سيكبرون داخل فقاعة معزولة.

أومأت "ماريانا" وفكرت في رد فعل "رومينا" عند رؤيتها لأولئك الأطفال، لأنها كانت مثلهم، أو أسوأ منهم، لقد كانت "رامونا" وما تزال هكذا في قلب تلك العيون السوداء المخيفة، وعلى جانب آخر، كان "بدرو" ملكها، منذ بدايته المبكرة.

توجهت للخادمة الواقفة بجانبها بالمياه الجاهزة للبراد:

- شكرًا "أنتونيا" ضعيه هنا.

وبعد عدة أيام أخرى، دخلت "أنتونيا" غرفة "ماريانا" ووجدت كومة من الملابس المطوية على حافة السرير، وكان "التي شيرت" الثاني من أسفل هو "التي شيرت" الأسود ذو الأحجار الماسية، والبقية كانت ملابس قديمة لـ"ماريانا" أو للطفلين وقميصي جولف باهتين لـ"إرنستو".

- ضعي تلك الملابس في الحقيبة واتركيهم على جنب للسيدة "ناني أيبرا"، ستأتي لتأخذهم لاحقًا.

لم تفهم "أنتونيا" ما سمعته؛ فعادة ما تعطيها "ماريانا" كل الملابس القديمة لتأخذها إلى "ميسيونيز" وتوزعها على عائلتها.

- تعرفين "ناني"، أليس كذلك؟ إنها المرأة الشقراء الجميلة التي أتت يوم عزومة الشاي.

أومأت "أنتونيا" حتى وإن لم تعلمها، فقط استمعت من دون أن تفهم، كل ما دار ببالها هو لماذا سينتهي حال "التي شيرت" الذي كان طوله طول قوسين أو أدنى بين يديها بأن يذهب إلى يد الشقراء الجميلة، فبالتأكيد امرأة كتلك لن

ترتدي ملابس مرتقة، ولم تجرؤ على السؤال. وجدت الحقيبة ووضعت فيها كل شيء، وعند خروجها من الغرفة، أوقفتها "ماريانا":

- أه، إذا كنتِ مهتمة، سننشئ سوقًا خيرية عقب الغداء يوم الجمعة في منزل "ناني" لجمع الأموال لمركز غذاء الأطفال المجاني، السوق مخصصة للخادمات، فلا تقلقي، ستكون الأسعار معقولة، سنتمكن جميعًا من المساعدة بغض النظر عن حجم ما نملكه، أليس كذلك؟

أومأت "أنتونيا"، ولكنها لم تعرف ما الذي تفكر فيه، لأنها لم تفهم في النهاية، أو أنها لم تركز، لأن كل ما فكرت فيه كان "التي شيرت" الأسود المرصع بالماس، ربما استطاعت شراءه، قالت السيدة "أسعار معقولة"، ولكنها لم تعرف أي سعر تعتبره سيدتها معقولًا، في مقدرتها تدبير عشرة، أو ربما خمسة عشر، لأن خامة "التي شيرت" ذات جودة عالية، اشترته سيدتها من "ميامي"، ولن يظهر الثقب بعد رتقه بغرزتين.

في يوم الجمعة، ذهبت "أنتونيا" إلى السوق الخيرية أثناء القيلولة بعد أن أنهت مسح أرضية المطبخ. قابلت فتاتين أو ثلاثًا هناك كانت تعرفهن من الأتوبيس الذي تركبه أيام السبت في وقت الغداء، ألقت عليهن التحية، ولكنها لم ترد أن تتحدث معهن، وكانت المرأة الشقراء الجميلة - صاحبة الجراج الذي عُرضت فيه الملابس- موجودة ومعها ثلاث نساء أخريات تعرفت عليهن، رأتهن في منزل سيدتها، كن يدردشن، ويضحكن، ويشربن القهوة، ومن حين لآخر تأتي واحدة منهن لتضع ثمنًا لقطعة ملابس. اختارت إحدى الفتيات التي تعرفت عليهن في الأتوبيس فستانًا أحمر حريريًّا، كان جيدًا، ولكن به بقعتان صغيرتان على الجانب، من المحتمل أن كلور الألوان هو السبب فيهما، لو كان الفستان أزرق، لأصلحته "أنتونيا"، حيث إنها بقَّعت يومًا ما بنطال "رومينا" الرياضي الأزرق بالكلور ثم استخدمت قلم حبر لتلوين البقعة ولم تلحظ "ماريانا" تلك الفعلة أبدًا. اقترحت "رومينا" هذا على الفتاة عندما وجدتها قلقة بسبب البقعة، دائمًا ما تساعدها "رومينا"، إنها فظة قليلًا، ولكنها ذكية،

ليست مثلها، هكذا اعتقدت "أنتونيا"، أمَّا هذا الفستان الأحمر فحالته أصعب، طلبوا من فتاة الأتوبيس خمسة بيزو نظير شرائه، إذا ما كان هذا هو معدل الأسعار، فستتمكن "أنتونيا" من شراء "التي شيرت" كما اعتقدت، ولكنها لم تستطع رؤيته، فحصت كل الأكوام، دون أن تجده، أرادته بشدة، استجمعت شجاعتها لتسأل إحدى السيدات:

- "تي شيرت" أسود. لا أعتقد أنه موجود.

سألت السيدة سيدة أخرى:

- هل رأيتِ "تي شرت" أسود يا "ناني" ملائمًا لها؟

تدخلت "تيريزا":

- لا، لا يوجد شيء أسود، ولكن لماذا تريدين الأسود؟ لن يناسبِك هذا اللون، لن يظهر بشرتك. ارتدي شيئًا يعيد نضارتِك قليلًا، يجعل وجهك متوردًا، حاولي البحث في تلك الكومة.

- ليست لي، إنه لابنتي.

ولكنهن عدن للتحدث عن أشياء تخصهن ولم يستمعن إليها.

استمرت "أنتونيا" في البحث خلال الأكوام، ولكن من دون أمل في إيجاد أي شيء، لقد كان "تي شيرت" سيدتها الأسود أو لا شيء، هذا ما أرادته، لتعطيه لـ"باوليتا" في عيد ميلادها، وفي النهاية قالت:

- شكرًا لكم.

ورحلت خالية الوفاض، وخلال الأيام التالية، فكرت "أنتونيا" أكثر من مرة في "التي شيرت" الذي لم يصبح ملكها، تساءلت عمَّنْ أخذته، وفي نهاية الأسبوع، سألت الفتيات في الأتوبيس، ولكن لم تره أي منهن، وفي النهاية محت الفكرة من عقلها قائلة:

- في نهاية اليوم، لن يغير "التي شيرت" حياة أي شخص.

ثم حان وقت الاحتفال بالهالويين، واشترت "ماريانا" حلوى لتعطيها للأطفال الذين سيأتون لباب منزلهم في تلك الليلة، واشترت زي ساحرة لـ"رومينا" حتى تتمكن من التجوُّل لأداء لعبة "حلوى أم خدعة" في أنحاء الحي، ولكن منذ عودتها من المدرسة، حبست الفتاة نفسها في غرفتها ولم تشعر "ماريانا" برغبة في ملاطفتها، وكان "بدرو" ما يزال صغيرًا على الذهاب للتجول حولهم، وانفجر في البكاء عندما رأى الأطفال في زي الاحتفال، قرع أطفال كثيرون باب منزل "أندرادي" في تلك الليلة، أبناء أصدقائهم، زملاء "رومينا"، الأطفال الذين يحبون المرح الجيد والصافي، كما قالت "ماريانا" لابنتها على سبيل العتاب، وقد اشترت الحلوى من السوبر ماركت منذ عدة أيام وخبأتها في المكتب بالصالون في نفس المكان الذي تخبئ فيه كل شيء لا تريد أن يأكله أحد، وبحلول التاسعة مساءً، أتت ثلاث مجموعات من الأطفال، وفي التاسعة والربع، رن جرس الباب مرة أخرى، فذهبت "أنتونيا" لفتح الباب مع تعليمات بتوزيع الحلوى المتبقية وصرف الأطفال. حيث تكره "ماريانا" أن يقاطعها أحد أثناء العشاء، وفي الخارج، كانت هناك جلبة فتيات خرجن من سيارة دفع رباعي تقودها "ناني بيريز أيرا"، وخرجت هي أيضًا من السيارة وطلبت من "أنتونيا" أن تنادي سيدتها، وكررت طلبها، لأن "أنتونيا" ظلت واقفة مذهولة من منظر ابنة "ناني" - فتاة في حوالي الثامنة من العمر - ترتدي زي ساحرة، وأظافر فضية، ولها أنياب حادة ودهان أحمر يقطر من جانب فمها، وتنورة سوداء تصل إلى الأرضية و"التي شيرت" المرصَّع بالأحجار الماسية الصغيرة الذي امتلكته سيدتها.

وعندما خرجت "ماريانا" من الباب، قالت "ناني":

- كان يجب أن أريكِ هذا.

- مستحيل، هذا "تي شيرتي"!

فقالت "أنتونيا":

- نعم، هو.

ولكن لم يسمعها أحد.

- تعلمين كيف تتصرف الفتيات في مثل ذلك العمر، رأته أثناء رصي للملابس للسوق الخيرية وأصرَّتْ أنها تريده لحضور الهالويين، ولذلك رفعته من البيع، ولكنها تعلم أنه بعد الهالويين ستعيده إليّ، أليس كذلك؟

لم تجب الفتاة، حيث كانت مشغولة بملء سلتها الصغيرة بالحلوى الموجودة في الحقيبة التي تحملها "أنتونيا".

- سأتركها تمرح الآن ثم سآخذه لأعرضه في السوق الآتي.

- لا عليكِ، إذا ما أحبته كثيرًا، فاتركيه لها، إنه هدية من العمة "ماريانا".

وانحنت لتقبل الفتاة.

فتوجهت "ناني" لابنتها:

- حسنًا ولكن في هذه الحالة سيتوجب عليكِ أن تختاري أحد "تي شيرتاتِك" وتعطيه ليّ، لأنه يجب أن نتعلم جميعًا القيام بدورنا، حتى وإن كنا صغارًا، إذا ما كنا نريد تغيير هذا العالم، أليس كذلك؟

ولكن الفتاة لم تستطع الإجابة، لأنها كانت مشغولة بمحاولة مضغ كمية التوفي الكبيرة، وفي نفس الوقت، كانت "أنتونيا" ما تزال واقفة في مكانها، تحدق في "التي شيرت"، ووجدت خمسة أحجار ناقصة منه، ولحسن الحظ، لم تكن الأجزاء الممزقة واضحة، حيث كانت هناك قطعتا ماس مفقودتين على الجانب، وقطع بالقرب من فتحة الرقبة، وقطعان آخران بالقرب من الجانب، وقطع تحت الصدر، يا للأسف؛ لم تُفقد أي قطعة منها من قبل، وعلى أية حال، ففي السوق الخيرية القادمة ومن دون الكثير من القطع الماسية سيكون سعر "التي شيرت" أكثر "معقولية" كما قالت سيدتها، فالبضائع التالفة دائمًا ما تكون أرخص سعرًا.

10



ذات صيف، تم ترميم ملعب "كاسكايد هايتس" بالكامل، وتم اختيار هذا الوقت من العام للقيام بهذا العمل نظرًا لوجود قلة من سكان الحي، وكثيرون ممن يوجدون بالحي في ذلك الوقت هم من المصيفين المستأجرين لمنازلنا، بينما نقضي نحن الصيف في مكان آخر، وكان منتجع "بينامار" هو أسوأ اختيار لقضاء الإجازة في هذا العام، حيث تأثَّر موسم الصيف هناك بحادثة قتل المصور الذي تجرأ والتقط صورة لإمبراطور الخدمات البريدية أثناء تجوله على الشاطئ.

قدَّمت لجنة الأطفال لمجلس الإدارة تقريرًا مفصلًا عن كل المعدات ليتم استبدالها، وكان توجههم الرئيسي هو أنه بما أنه قد تم تطوير القطاعات الأخرى لحيِّنا، فعلينا ألا نسمح بإغفال أمر تطوير الملعب، واختتموا عرضهم بالملاحظة التالية:

"دعونا لا نتجاهل الأمر، فالأطفال هم مستقبلنا".

تم توقيع العقد مع مهندسين معماريين متخصصين في ملاعب الأطفال، حيث صمما ساحات لعب لمركزين تجاريين ولعدة مجمعات سكنية أخرى في المنطقة. قاما بتصميم المشروع، وطرح ثلاث ميزانيات لتنفيذه، وتمت الموافقة على أكثرهم معقولية، وفي النهاية تم استبدال المعدات الخشبية والحديدية - التي وجدت بالملعب منذ نشأة الحي- بمنشآت بلاستيكية تذكرك بمنتجات شركة "فيشر برايس"، وكان من المحزن قيام فريق الصيانة بفك "الزحليقة"، التي كانت أطول "زحليقة" رآها أطفال الحي، ولكن التقرير أوضح أن المعدات البديلة أكثر أمانًا وأكثر حداثة، وأنها ستحتاج إلى صيانة أقل، ولذلك قاموا بتغيير كل شيء، ووضعوا نباتات جديدة على طول حواف الممرات واستبدلوا

صنابير الشرب بكولديرات منقية للمياه، وكانت تلك الصنابير مصدرًا لسعادة الأطفال صيفًا على الرغم من تسببها في مزيد من الفوضى، ولم يكن هذا جزءًا من خطة التطوير الأصلية، ولكن تم دمجه بعد أن أذاع برنامج تليفزيوني أن صنابير المياه في المنطقة ملوثة بمادة لم تظهر في أي تحليل.

لم يكن بالملعب معدات جديدة فحسب، بل وأصوات جديدة كذلك. حيث تغيَرت طبيعة الأصوات التي كنا تسمعها حول حفرة الرمل تدريجيًا من دون أن يلاحظها أحد، حتى اليوم الذي سمعنا صوتًا جديدًا مسيطرًا وغير مألوف لنا. كانت ضوضاء الأطفال وهم يضحكون ويصرخون كما هي. ولكن، أصوات الكبار هي التي اختلفت الآن. حتى بداية التسعينات، كانت اللهجة الباراجوينية هي المسيطرة مع لهجة مقاطعة أرجنتينية بعيدة، ولكن بحلول التسعينات بدأت لهجة بيرو في السيطرة، إذا ما اعتبرنا كلمة "سيطرة" هي الوصف الصحيح، لأنها لهجة جميلة، هادئة، ومهذبة:

- اترك هذا الآن، وإلا ستتسخ.
- هذا الطفل الصغير شقي جدًّا.
- تلك الفتاة الصغيرة دائمًا ما تكون شبه عارية.
- رأيت تلك الفتاة الصغيرة تأخذ الرمل وتسبب هذا الإزعاج.

ولكن كل هذا يُقال بهدوء، وكأنهم لا يرغبون في مضايقة أي شخص، وحولهم الجلبة المعتادة للضحك والصياح المستمر، كل هذه الأصوات تذهب وتجيء.

تألَّق الملعب الجديد بـ"الزحاليق" والأنفاق والممرات الصفراء والحمراء والزرقاء، وكانت هناك قضبان أفقية يمكنك أن تتعلق بها وتأرجح نفسك من جانب لآخر عبر حفرة الرمل، وأرجوحات من البلاستيك لونه كالخشب للأطفال الكبار، وأرجوحات بلاستيكية خضراء اللون بقضيب أمان للأطفال الصغار، وأطواق كرة سلة، ولعبة الميزان، والأرجوحة الدوَّارة، كما أنشؤوا بيتًا بدعائم خشبية، وسقف أزرق وباب أصفر، مستورد مباشرة من مصنع "فيشر

برايس" بالولايات المتحدة. كـان شـبيهًا ببيـوت الـشجر، وشـبابيكه تغطيهـا الـشِباك (وبالتـالي يستطيع الأطفال النظـر منهـا مـن دون أن يـسقطوا)، ومـن خـلال البيـت تـستطيع الوصـول لـ"الزحليقة" عبر جسر مُعلق. كما تم تزيين الملعب الذي أصبح أنظف مما كان عليه من قبـل بألوان زاهية وأصلية. كل ما تبقى من الألعاب القديمة كانـت سلاسـل المـراجيح، التـي كانـت غليظة ولم تعد تُصنَّع بعد الآن. لم يستطع المهندسون المعماريون إقناع أي شخص بأن الحبـال البلاستيكية الجديدة متينة بالقدر الكافي للتأرجح وتحمُّل ما كانت تتحمله السلاسل القديمة.



11



قابلت "رومينا" "خواني" لأول مرة في ملعب صغير في "كاسكايد هايتس"، فعلى الرغم من أنهما في نفس المدرسة فإنهما لم يتقابلا أبدًا من قبل، وقع اللقاء الأول بعد الظهيرة، وصل "خواني" بمفرده راكبًا الدرَّاجة، فهو أحد الأطفال القلائل الذين يذهبون للملعب بمفردهم، حيث يأتي الآخرون بمصاحبة "الفتاة التي ترعاهم"، أو خادمات عائلاتهم. لم يكن لـ"خواني" مربية، كان له من قبل، ولكن لم يعد له الآن، فقط تأتي امرأة تنظِّف المنزل صباحًا، أثناء وجوده بالمدرسة.

تأرجحت الأطفال عاليًا جدًّا، بعضهم أدار الأرجوحات لتلف لأعلى، ثم يدورون بها بسرعة كبيرة، لم تنظر "رومينا" لهم خشية أن تشعر بالدوار، استخدمت عصا لترسم على الرمل، رسمت منزلًا ونهرًا، ثم مسحتهما، ألقى صبي طويل جدًّا بالأرجوحة فوق العارضة حتى يرفعها لأقصى ارتفاع لها عن الأرض، بينما تؤرجح "أنتونيا" "بدرو" في إحدى أرجوحات الأطفال الرُضَّع أثناء دردشتها مع خادمة أخرى، كانتا تتحدثان بنفس اللغة، ولكنهما بدتا مختلفتين، مل الصبي الطويل ورحل، فركب "خواني" الأرجوحة التي تركها الصبي، سلَّك حبلها، وأرجح نفسه. قامت فتاتان صغيرتان بالتشاجر على أرجوحة أخرى، إحداهما ترتدي جينز مُطرزًا، شدَّت شعر الأخرى التي ترتدي فستانًا ورديًّا، بكت الأخرى، ولم يلتفت إليهما أحد، ما عدا "رومينا". بكت الفتاة ذات الفستان أكثر، ثم بدأت بالصراخ، فأتت المربيتان المعنيتان برعاية كل من الطفلتين، وقالت إحداهما للطفلة التي لا تبكي:

- يا لكِ من شيطانة صغيرة، دعي صديقتكِ الصغيرة تتأرجح، لا تتسببي في بكائها.

لم ترد الفتاة فعل هذا، وتشبثت بالأرجوحة، فبكت الفتاة ذات الفستان الوردي أكثر.

نزل "خواني" من على أرجوحته وأمسك السلاسل للفتاة التي كانت تبكي:

- تفضلي.

راقبت "رومينا" الموقف أثناء رسمها على الرمل، أجابته الفتاة بحسم:

- أريد الأرجوحة الأخرى!

فعرض "خواني" أرجوحته على الفتاة التي لم تكن تبكي، اقترح عليها مبادلة أرجوحته بالأرجوحة التي تريدها الفتاة الباكية، فرفضت، فعاد "خواني" متضايقًا وأخذ يتأرجح أعلى وأعلى، توجهت الفتاة المسؤولة عن الطفلة التي لم تبكِ ورفضت المبادلة:

- سأخبر أمكِ.

فأجابتها الطفلة:

- عاهرة.

وهربت، فتوقفت الفتاة الباكية عن البكاء وجرت وراءها، داسا على رسمة "رومينا"، وتسلقا "الزحليقة" الصفراء وقفزا منها ضاحكتين، فعادت الخادمتان المسؤولتان عنهما إلى مقعدهما واستأنفتا حوارهما، اشتكت إحداهما أن سيدتها لم تسمح لها بنوم فترة القيلولة، وبالتالي ستنتفخ ساقيها.

تأرجح "خواني" أعلى فأعلى، وراقبته "رومينا"، غطت رسمتها بالرمل ونظرت إليه مُجددًا، ومن مكانها، بدا "خواني" وكأنه يلمس السماء بحذائه البني. كان رباط إحدى الفردتين مفقودًا. نهضت "رومينا" وذهبت إلى الأرجوحة الأخرى، أرجحت نفسها، وحاولت أن تفعل مثله، وعندما اعتقدت أن بإمكانها لحاقه، ألقى "خواني" بنفسه من أعلى نقطة وسقط على الرمال،

استمرت الأرجوحة في التحرك عـشوائيًا، ولكنهـا لم تحمـل وزنًـا الآن، ودّت "رومينـا" أن تقفـز، ولكنها لم تجرؤ، فقال "خواني":

- هيا، اقفزي، ستكونين بخير.

تحركت إلى الأمام والخلف من دون أن تقرر.

- هيا، إنني بانتظارِك.

ألقت "رومينا" بنفسها لتسقط خلال الهـواء، وأحـست بالخفَّـة لأول مـرة منـذ أن تركـت "كورينتس"، سقطت على الرمال، والتوت قدمها، نهض "خواني" ليساعدها.

- هل انجرحتِ؟

فأجابته ضاحكة:

- لا.

- ما اسمُكِ؟

فكتبت على الرمال:

"رامونا".



12



أن تقف عند نقطة البداية بالحفرة الأولى وتـدع عينيـك تتجـولان عـبر أفـق لا نهـائي مـن الخضرة هو ميزة نتمتع به هنا في "كاسكايد هايتس"، ويعتبرها سكان الحي أمرًا مفروغًا منـه، حتى نفقدها. الناس تعتاد على ما تمتلك، خصوصًا عندما يكون مـا يمتلكونـه رائعًـا. الكثـيرون منَّا يقضون شهورًا من دون أن يلعبوا الجولف، وكأننا لا نهتم بوجود الملعب على بُعد ياردات قليلة من منزلنا وخضوعه بالكامل لتصرفنا.

يجب ألا تكون لاعب جولف حتى تستمتع بمثل هـذا الجـمال الطبيعـي، "طبيعـي" لأنـه يشمل الحشائش، والأشجار، والبحيرات، ولـيس "طبيعيًـا" بـالمعنى المتعلـق بحالتـه التـي كـان عليها قبل وصولنا، حيث كان مجرد مستنقع. قام المهندس "بيريز إيتشفيريا" بتـصميم ملعـب الجولـف. كـان المهنـدس مـشهورًا بتـصميمه لخطـة بنـاء نـادٍ ناحيـة الجنـوب أثنـاء ركوبـه الهليكوبتر، التي كانت تطير فوق الغابة التي كان يجب إزالتها. من المستحيل اليـوم تخيـل أن ممراتنا المائية كانت يومًا ما مستنقعات. كما تم جلب أنواع أشـجار مخـصوصة مـن المـشاتل المتفرقـة في أمـاكن مختلفـة مـن البلـد. ويقـوم الجنائنيـة برعايـة الـشجيرات التـي زرعوهـا كل أسبوع ويتم تغييرها بتغـيُّر الفـصول، ورشـها آليًـا كـل ليلـة، ثـم يـأتي دور الأسـمدة، والمبيدات الحشرية، والإضافات الأخرى، والنهر الذي يعبر الحفرة رقم خمـسة عـشر كـان هنا قبل وصولنا، ولكننا قمنـا بتنقيتـه، حيـث أصـبح لونـه الآن أخـضر فيروزيًـا، وبفـضل معالجة المياه، ووجود طحلب معين محافظ على نظام التهوية، ماتت الأسماك التي كانت موجودة بالنهر قبل تنقيتـه، وكانـت أسـماكًا عاديـة، مـن نـوع "الأبـراميس" بنـي اللـون، ووضعنا بدلًا منها أفراخ سمك نهري برتقالي اللون، التي تكـاثرت وأصبحـت سـادة النهـر

الجديدة، كما يوجد بط وثعالب ماء. على الرغم مـن أن أعـدادها انخفـضت مـؤخرًا، ويرجـع البعض هذا إلى صيد الناس لها لأكلها، ولكن هذا أمر مُستبعد جدًّا، فحتى إذا مـا حـاول أحـد هذا - سواء كان أحد أعضاء فريق الصيانة، أو مساعدي لاعبـي الجولـف، أو الجنائنيـة، أو أي أحد تجرأ على ذلك الفعل - سيكون من المستحيل عليهم تهريب صيدهم مـن حـراس الأمـن، حيث ألقوا القبض ذات مرة على أحد مساعدي لاعبي الجولـف وهـو يلقـي ببطـة ميتـة عـبر السور المحيط للحيّ لامرأة تقف خارج السور، وادَّعى أن البطة أُصيبت صدفةً بضربة مميتـة من نقطة الانطلاق الرابعة، ولكن لم يصدقه أحد، أقـصد أن المـرأة جلبـت طبقًـا خزفيًـا معهـا لتضع البطة فيه. قامت لجنة الجولف ولجنة البيئة بتوجيه الاتهام لهما معًا.

في الحقيقة، البحيرات هي البقايا الحقيقية الوحيـدة للمـستنقع الـذي كـان موجـودًا مـن قبل، ولكن لم يعرف أحد بـذلك، لعـدم وجـود أي ملعـب جولـف في العـالم مـن دون بحـيرة، ونستخدم نظامًا من المضخات لـصرف ميـاه المطـر المتجمعـة في قنـوات الـري حـول حيِّنـا في البحيرة، وبذلك نتجنب أن تفيض مياه تلك القنوات، حيث يتم ضخ المياه في البحيرة ويحملهـا النهر خارج النادي. اشتكى المجلس المحلي بأننا نصدِّر مـشكلة الميـاه الفائـضة إلى حـي "سـانتا ماريا دو لوس تيجرسيتوس"، ولكن تم عقد اجتماعين بـين مجلـس إدارة حـيِّهم وبـين مجلـس إدارتنا وتمت تسوية الموضوع إلى حدٍ ما، وكان الأمر مثـل لـوم مدينـة "قرطبـة" عـلى غمرهـا لمدينة "سانتافي" بجنوب المكسيك بالميـاه. توجـب إجـراء تغيـير بـسيط الـثمن. أمَّـا الاسـتثمار الأخير فكان من نـصيب الحمَّامـات العموميـة التـي أصـبحت ضرورة منـذ اسـتيلاء الـسيدات على الملعب، فإذا ما شعر الرجـل فجـأة بالحاجـة إلى التبـول، فبإمكانـه التبـول في أي مكـان؛ خلف شجرة، وسط بعض الشجيرات، أو حتى في ملعب الجولف، ولـيس الأمـر سـواءً بالنـسبة للمرأة.

تُزرع النجيلة في ملعب الجولف الخاص بنا كل عام. لـن تجـد هـذا في أي نـادٍ آخر، حيث يقوم أكثرهم بإعادة زرع النجيلة حول نقطة انطلاق كل حفرة فقـط. فهـم يقومـون بـزرع نجيلـة مـن نـوع خـاص لملعـب الجولـف، ويزرعـون نـوع

من النجيلة يدعى "برمودا" حول المنازل، وفي الحدائق، وهو نوع مـن النجيلـة التـي تنمـو في الأماكن الحارّة، وله لون أخضر زاهٍ. وتعني عملية الزراعة مع تكاليف الآلات، وطـاقم العمـل، ونظم الري والصرف، إلخ. أن صيانة ملعب الجولف هي أكثر ما يكلفنـا في ميزانيتنـا الخاصـة. اشتكى لاعبو التنس من تلك الميزانية. هنـاك حـساسية بـين لاعبـي الرياضـتين، فلاعبـو التـنس اشتكوا من أن النادي يصرف الكثير على الجولف أكثر من التنس مع أن جميع المال خارج من نفس الرسوم ونفس الجيوب، ولكن الاستثمار في الجولـف لا يفيـد لاعبـي الجولـف وحـدهم، حيث بإمكان سكان الحي التنزه في ملاعب الجولف، وتناول المشروبات عنـد الحفـرة التاسـعة (مـع منظرهـا الرائـع)، والاسـتماع للموسـيقى أثنـاء مـشاهدة غـروب الـشمس عنـد الحفـرة الخامسة عشرة أو حتى الذهاب في رحلات سفاري لتصوير الطيور البرية. وتقدِّم لجنـة البيئـة خدمة توعية عظيمة عن طريق وضع لافتة خشبية عند كل حفرة بهـا صـور للطيـور المتوقـع رؤيتها عند تلك البقعة موضحة صفاتها وخصائصها، ولكن بعيدًا عن المتعة التـي يحظـى بهـا كل منا، إلا أنه - وكما نعلم جميعًا - هناك مكسب اقتصادي مهم وراء امتلاك ملعب جولف، حيث ترتبط قيمة منازلنا مباشرة بقربها من الملاعب الجيـدة (أيًـا كانـت نـسبة هـذا، إلا أنهـا مهمة)، حيث ستقل قيمة نفس البيت في حي من دون ملعب جولف.

منذ عدة سنوات، كان لعب الجولف نشاطًا استثنائيًا، ومـا يـزال هكـذا في البلـدان الأخرى، وليس في الأرجنتين، فهو نشاط غالٍ، ولكن قانون تحويل العملة أزال كل أنواع الفجوات ولم تعد كلمة "غالٍ" تعني "استثنائي"، وهنـاك دروع خـشبية في بـار الجولـف تحمل أسماء الفائزين بالبطولات الـسنوية للنـادي، وبمـرور الـسنوات، فقـدت الأسـماء المنقوشة جلالها تدريجيًا، ففي عام 1975 كان البطل اسمه "مينيدز بهيتـي"، وفي 1985 كان "مكاليـستر"، وفي 1995 كـان "جارسـيا"، لـيس "جارسـيا مورينـو"، ولـيس "جارسـيا لينش"، وليس "جارسيا نيتـو"، فقـط اسـم "جارسـيا" العـادي والقـديم. يمتلـئ المـضمار بـاللاعبين اليابـانيين أيـام الأربعـاء، ويـتم تـأجيره للـشركات أيـام الخمـيس، وعنـدما

يسأل الكوريون عن حجز الملعب، يجيبهم سكرتير النادي بناءً على تعليمات لديه بأن الملعب محجوز أو يكذب عليهم فيما يخص تكاليف "تأجير الملعب" المخصصة لغير ساكني الحيّ الراغبين في لعب جولة جولف، ومن الواضح أننا لسنا وحدنا الذين لا يرحبون بالكوريين، حيث يشتكي لاعبو الجولف الآخرون من أن الكوريين يحبون الصياح، والشجار، وإلقاء عصيانهم في كل مكان ويراهنون بكميات مرعبة من المال، مما يثير اندلاع العنف، وبعيدًا عن الكوريين، فقد بدا منذ بداية التسعينات أن الجولف لن يبقى حكرًا على علية القوم، شيئًا فشيئًا بدأ الرجال في الانزعاج من ارتداء قميص "بولو" الضروري والبناطيل المكوية ذات الكسرة، وبدأ بعض سكَّان حيِّنا في الصياح أثناء اللعب، وبدأت بعض النساء في الاعتقاد بأنه من المقبول اللعب ببلوزات كت، وبدأ بعض جيراننا في إلقاء عصيانهم باشمئزاز عندما تسقط كراتهم في حفرة الفوز بالمباراة بعد عدة محاولات كثيرة، وأصبح هناك لاعبين بطيئين ولا يسمحون لأحد بتخطيهم، ولاعبين يشتكون بصخب من اللاعبين البطيئين، ويقتربون من حد تسديد كرات مميتة ناحيتهم. وهناك لاعبون يمسكون بطاقات النتائج التي تم إحرازها بعد محاولات أكثر مما كان متوقع لها للحفاظ على نتيجة متوسطة لأهدافهم، ومثل هؤلاء اللاعبين لا يهمهم إذا ما لعبوا بشكل جيد أو سيئ، فما يهمهم فقط هو الإبقاء على نتيجتهم عند عشرة أو دونها، وعلى الجانب الآخر، فهناك لاعبون يخفون بطاقات نتائجهم التي تحتوي على تسديدات أقل من المتوقع لكي يحافظوا على نتيجة أكبر تعطيهم أفضلية في المباريات، وباختصار، يميل اللاعبون أكثر إلى الكذب بشأن بطاقات نتائجهم. ستجد كل أنواع اللاعبين. وآخر هذا النوع من اللاعبين كان "ماريانو ليبيرا"، حيث أحرز نقطة من ضربة واحدة في كأس النادي، ثم حاول إنكار هذا ليتفادى شرب الجميع الشمبانيا على حسابه، وقد وضع الكرة في نقطة الانطلاق عند الحفرة السادسة، وسقطت الكرة على النجيلة بعد ضربة ممتازة، ثم وثبت ثلاث مرات، ودارت وسقطت في الحفرة المُحددة بالعلم، لقد كانت ضربة واحدة من دون شك، لم تكن هناك حاجة لمزيد من الضربات، مجرد ضربة واحدة، وفي أي مضمار، وفي

أي مكان في العالم، هناك مجاملة وقانون غير مكتوب (ولم يعترض عليه أحد) بأنه على اللاعب الذي يحرز نقطة من ضربة واحدة أن يشتري مشروبًا لكل الموجودين في المضمار في تلك اللحظة، وعادة ما يكون المشروب شمبانيا، وأحيانًا ويسكي، لكل لاعب من الأول وحتى الثامن عشر، وسأل "ماريانو ليبيرا" الحَكَم عن عدد مَنْ جلبهم هذا الصباح وأجرى حسبة سريعة؛ 120 لاعبًا في تقريبًا خمسة بيزو لكل واحد يساوي 600 بيزو:

- على جثتي.

ثم رحل، قبل أن يقوم أيٍ من الحضور من طلب مشروب. لم يقم بما يتوجب عليه فعله. ولم يضرك شيء، فالأمر ليس بعقوبة، ولكن هذا التصرف لم يكن باللطيف، ولهذا السبب يضع النادي سياسات تأمين لإحراز النقاط من ضربة واحدة، وبإمكان أي ضامن أن يقدم التأمين، وقد عُرض على كثير منا هذا عند استلامنا لتأمين السكن، وكذلك الحال بتأمين الحرائق، والسرقة وإحراز النقاط من ضربة واحدة يُدفع له نوع من التأمين، حيث تقوم بتأمين نوع من المصائب، ليست بالحرائق ولا بالسرقة أو أن شخصًا ما دمَّر ممتلكاتك، ولكنك فعليًا تؤمِّن لحظة بهجة، لأن أي شخص يسقط كرة في الحفرة من على بُعد 150 ياردة لا بد أنه سيعتبر نفسه محظوظ جدًّا، وفي الواقع فهناك قائمة قومية تُسجل فيها أسماء تلك القلة المحظوظة وتبين كيفية تمييزهم عن غيرهم، على الرغم من تفضيل أكثر الناس لتسجيل أسمائهم في قائمة الولايات المتحدة ليحظوا بالاهتمام الدولي، والإجراء سهل؛ خطاب، واستمارات قليلة، ومن السخف الشديد ألا تدفع التأمين وتسعد كثيرًا بانتصارك، ففي الحياة ربما تسنح فرص قليلة لإحراز نقطة من ضربة واحدة، ولكن هناك الفرص الكثيرة لإثبات مدى نبلك.

13



صُدِمتُ عندما استدعتني مدرسة "خواني" لأول مرة، إلى "ليكلاندز"، فتحت الملف الأحمر ووجدت بين خطابين - أحدهما يدعوني لحفل "عيد العَلَم الوطني"، والآخر يذكِّرني بتسديد الرسوم - استدعاء رسمي على ورقة بها شعار وإسم المدرسة، وهو عبارة عن درع وحولها أربع كلمات باللغة الإنجليزية، لم أتذكرها بالضبط، أخبرني "روني" بجفاء أن المكتوب هو: "في اللـه نثق". الوالدان العزيزان، برجاء الحضور إلى مقر المدرسة في التاسعة صباحًا يوم الإثنين 15 يونيو لمناقشة عدة نقاط، ثم كُتِبَ بخط اليد: "خوان إجناسيو جيفارا"، "خواني". لم يتم استدعائي رسميًا أبدًا من قبل للتحدث بخصوص ابني، بدأت أقلق، فـ"خواني" في الصف الخامس، وحمل الخطاب توقيع مديرة المدرسة والأخصائية النفسية.

تسلمت الخطاب يوم الجمعة، وظللت قلقة طوال عطلة نهاية الأسبوع، لم أستطع تصور لماذا أرادوا التحدث معي، سألت "خواني"، ولكنه لم يعرف أيضًا، فلم يتم حبسه في الفسحة من قبل، ولم يتم استدعاؤه من قِبل المديرة، أو وقَّع في سجل التأديب. سرتُ خلفه في كل أرجاء المنزل:

- هل ضربت أحدًا؟ هل أهنت أحدًا؟

طاردته حتى الحمام وظللت أسأله أثناء استحمامه، فأنهى الحوار باكيًا:

- توقفي عن ذلك يا أمي.

اتصلت بصديقة لأرى إن كان قد تم استدعاؤها أيضًا، ولكن لا، لم يتم استدعاؤها، اتصلت بأخرى، ولم يتم استدعاؤها أيضًا. لم أتصل بأحدٍ آخر، لم

أُرِدْ أن يعلم الكل عن هذا الأمر - أيًا كان هو، ولكنهم علموا به على أية حال في مباراة التنس لعطلة الأسبوع، حيث استفسرت مني "ماريانا أندرادي" أثناء تبادلنا أماكن اللعب في الملعب:

- إذن، ستذهبين للمدرسة يوم الإثنين؟

وأضافت:

- أراهن أنهم سيستدعونني في أي يوم، للتحدث بخصوص الفتاة.

مشيرة إلى "رومينا"، التي يقضى معها "خواني" أوقاتًا كثيرة.

- كيف علمتِ بالأمر؟

- أخبرتني "ليتيسيا ليبوراسي" عندما قابلتها صدفة بالسوبر ماركت.

أثناء حيرتي بخصوص مَنْ أخبر "ليتيسيا ليبوراسي"، أحرزت "ماريانا" هدفًا، كرة ضعيفة، لينة، ناعمة مثل البالون، ولكنني لم أرها أبدًا وهي تمر.

يوم الإثنين، كنت هناك في التاسعة بالضبط. تقع "ليكلاندز" على بُعد مخرجين على الطريق السريع من "كاسكايد هايتس". مرَّ علينا وقت كنا نحلم بنقلها داخل مجمعنا السكني، كما هو الحال مع الأندية الأخرى، حيث يتمكن الأطفال من الذهاب للمدرسة بالدراجات أو الزلَّاجات. قالت "تيريزا سكاليا" في اجتماع الآباء أثناء اقتراح تلك الفكرة:

- سيكون من الرائع جدًّا أن نضم المدرسة للحي، سيكون كل شيء رائعًا تمامًا كما اعتدنا ونحن صغار.

ولكن الاعتراضات كانت كثيرة جدًّا: فالمدرسة تضم أطفالًا كثيرة جدًّا من مجمَّعات سكنية أخرى، وحتى وإن كان عدد أطفالهم أقل من أطفالنا، فإن مجموع مصروفاتهم يمثِّل دخلًا لن تستطع المدرسة التخلي عنه.

يضم المبنى الرئيسي المدرسة الابتدائية والإدارة، وبجانبه المدرسة الثانوية، وخلفه مبنى رياض الأطفال، والمدرسة مشتركة افتراضيًا، وأقول "افتراضيًا" لأنه وعلى الرغم من اشتمالها على البنين والبنات، إلا أنهم لا يتشاركون في الفصول أو الملعب، فهناك تقسيمات منفصلة للبنين وللبنات، ويتشاركون فقط في روضة الأطفال، أمَّا في الملعب، تنقسم المناطق بخط أصفر مزدوج (مثل تلك العلامات المرسومة على الطريق والتي تشير إلى "عدم التجاوز") وبعده يجب على أي من الجنسين عدم التخطي لمنطقة الجنس الآخر. اعتاد "خواني" الجلوس على أحد جانبي الخط، بينما تجلس "رومينا" على الجانب الآخر ويتواصلان مستخدمين لغة الإشارة، ومع ذلك، أساء مدرس مراقب تفسير إحدى إيماءات "خواني"، وبعدها تم منعه من التحدث إلى صديقته عبر الخط، وتهديده بالفصل من المدرسة، ولكنهم لم يستدعُونني في تلك الواقعة، فقط وجدت مذكرة بذلك في الملف، مكتوبة بالإنجليزية، وكان عليَّ أن أطلب من "دوريتا إيامبياس" ترجمتها.

عندما ذهبت لأسجل "خواني" بالمدرسة لأول مرة، سألت الناظرة إن كان الفصل بين الجنسين مبنيًّا على نظرية تربوية ما متعلقة بالتطوير النفسي والاختلافات بين الجنسين في التعليم، وأجابتني:

- شيء من هذا القبيل، ففي عام 1989 بدأنا قبول البنين، وإلا أصبح من الصعب جدًّا على العائلات ذات الأطفال الكثيرة أن يقوموا بتوصيل أولادهم من وإلى المدرسة، وخصوصًا في الاحتفالات الوطنية، كما أنهم يخسرون أيضًا فرصة الخصم عند التسجيل للإخوة في المدرسة، ولذلك استمررنا في قبول الأطفال ووضعهم معًا، ولكننا لاحظنا في الحال أن هذا خطأ، لقد كنا ساذجين، بدأت البنات في الجلوس مباعدات بين سيقانهن، مظهرات ما يجب ألا يظهر، وبدأن يطلقن السباب تمامًا مثل الذكور، وبعد مرور شهرين من الفصل الدراسي فصلناهم ورسمنا الخط الأصفر، ونفتخر بقدرتنا على تفاعلنا السريع والذكي تجاه تلك النوعية من المشاكل.

مباني المدرسة الثلاثة من الطوب الأحمر، بشبابيك وافرة، وتكشف كل تفصيلة عن الاهتمام بالأمن: فكل المباني عبارة عن دور واحد لتجنب الحاجة للسلالم والنوافذ المرتفعة، وهناك مقابض أبواب دائرية، وزجاج أمان، ونظام لتكييف الهواء وتدفئة مركزية، ولديهم ثلاثة ملاعب للرجبي، وملعبان للهوكي، وصالة جيم، ومنطقة لتغيير الملابس، وقاعة محاضرات مستديرة بمدرجات، وقاعة لعرض الفيديوهات، ومعامل، وحجرة كبيرة للفن والموسيقى، وتقع المكتبة في الجانب الصغير، وتم استغلال أجزاء منها لبناء فصول جديدة، بسبب اتساع المدرسة، ولكنَّ هناك خططًا على قدم وساق لتوسيعها في أقرب فرصة ممكنة.

جلست وانتظرت في الاستقبال، وكانت الكراسي المصنوعة من خشب الصنوبر قاسية بشكل غير مريح، أحضرت السكرتيرة قهوة واعتذرت لي على الانتظار، لم يرد "روني" القدوم معي:

- سيكون الاجتماع من أجل شيء تافه يا "فرجينيا"، لا تجعليني ألغي شيئًا هامًا لأذهب وأتحدث مع أخصائية نفسية للأطفال.

ويعني بـ"الشيء" مشروع ما، أو صفقة بمليون دولار لن ينجح أبدًا في حسمها، بينما ألغيت أنا موعدين كنت سأخرج منهما بعمولة كافية لسداد فواتير استهلاكنا من الكهرباء والغاز وغيرها لهذا الشهر، أنهيت قهوتي ونظرت في ساعتي، وانفتح باب المديرة في الساعة التاسعة وخمس دقائق تقريبًا، ابتسمت المرأة لي عندما قدموني لها، ولكنهما - على الرغم من كل ابتساماتهما - لم تبديا مرتاحتين على الإطلاق، بل العكس تمامًا، حدثت مداعبات قليلة، ثم دخلتا في الموضوع، حيث عليهما حضور اجتماع للمدرسين عقب ميعادهما معي، ولم ترغبا في التأخر. قبل أن تقولا أي شيء، بدت الطريقة التي نظرتا بها إليَّ بأنهما تشفقان عليَّ، وقالت الناظرة:

- الأمر خطير يا "فرجينيا"، أفضِّل أن تشرح "سيلفي" لكِ، ستقوم بشرحه أحسن مني.

وبالتالي شرحت الأخصائية النفسية كل شيء.

- اختلق "خواني" بعض القصص الغريبة، وقلقنا بشأنها.

لم أفهم، فوضَّحت الناظرة:

- قصص... بها دلالات جنسية.

ما زلت مرتبكة.

ففسَّرت الأخصائية النفسية:

- من المحتمل أن يكون هذا نتيجة لنوع ما من الإثارة الزائدة غير الملائمة لسنه.

- هل بإمكانكما التوضيح أكثر؟

وكان بإمكانهما هذا، حيث فتحتا كتاب تمرينات "خواني" وطلبتا مني أن أقرأها بنفسي، وكان موضوع إنشاء، حيث طلب منه أستاذه أن يكتب موضوعًا عن الجيران، وكتب "خواني" عن عائلة "فرناندز لوينجو":

- الذين يعيشون بجوار ملاعب التنس، ولديهم سيارة استكشاف سوداء وسيارة "ألفا روميو" زرقاء.

أو هكذا أشار إليهم، في موضوع إنشاء مليء بالأخطاء الإملائية، وكتب أنه يعرف بأن لديهم طفلين معه في نفس المدرسة، ولكنه لم يستطع تذكر اسميهما، ولديهم كلب، يُعرف اسمه بـ"قيصر":

- هذا ما يصيحون به عليه: ارقض يا "قيصر"! "قيصر" اترك هذا أو سأركل (تيبيت)!

ارتحت باستخدامه "تيبيت" بدلًا من "مؤخرة"، ولكن لم تستمر راحتي كثيراً، فلم يذكر حتى "مونيكا"، زوجة "فرناندز لوينجو"، ولكنه ركَّز تمامًا عليه، على السيد "فرناندز لوينجو":

- أكثر مَنْ أعرف هو الأب لأنه أكثر شخص أراه، نهضت ونظرت إليه من خلال نافذتي، المقابلة لغرفة مكتبه.

وفي مقالتـه، حـكى "خـواني" كيـف رأى جـاره يعمـل حتـى سـاعات متـأخرة عـلى جهـاز الكومبيوتر الخاص به، الذي دائمًا ما يكون مفتوحًا، ليل نهار، واستمر:

- أحيانًا يخلع "فرناندز لوينجو" ملابسه ويعود جالسًا أمام جهـاز الكمبيـوتر عاريًـا تمامًـا، ويترك ملابسه ملقاة على الأرضية، مكومة على بعضها.

وقال إنه من الظلم السماح بفعل هذا في منزلهم، بيـنما يكـون مُجـبرًا في منزلـه أن يـضع الملابس المتسخة في السلة بالحمام، وأطلقت الفقرة الأخيرة رصاصة الرحمة:

- عندما يتعرى، يقف ممسكًا بالماوس ويضع يديه بين ساقيه، أراه من ظهره، ومن جانبـه قليلًا، ويستمر في لمس نفسه كثيرًا، يتحرك وكأنه على أرجوحة وأخيرًا يسكن، وذات ليلـة أثنـاء قيامه بهذا، دخل "قيصر" وبدأ ينـبح وألقـى جـاري حـذاءً عليـه، وفي مـرة أخـرى، وبـدلًا مـن الحذاء، ألقى نفسه عليه واعتلى "قيصر" ولم يدعه يفلت، النهاية.

وأسفل ذلك، كان هناك رسم لرجل ثمين عارٍ يعتلي كلبًا.

لم أستطع الكلام، ونظرت المرأتان إليّ، لم أعرف ماذا أقول:

- هل يشاهد "خوانيتو" التليفزيون كثيرًا بمفرده؟

نعم، دائمًا ما شاهد التليفزيون بمفرده، منذ صغره.

- هل شاهد قناة للكبار، من دون علمِك؟

- ليس لدينا وصلة هوائي "دِش".

- هل من عادته الكذب بشأن تلك النوعية من الأشياء، أم أنها المرة الأولى؟

- لا أعلم.

- هل راجعتِ تاريخ جهاز الكومبيوتر؟

- ما هو "التاريخ"؟

لم تكونا متأكدتين أيضًا، ولكن أستاذ الكومبيوتر اقترح أن تسألاني:

- هل شاهد أي موقع إباحي؟

- لا أعرف، ليس لدينا كمبيوتر في المنزل، أستخدم واحدًا في وكالة العقارات.

- وماذا عن منزل صديقه؟

- هل يشرب الكثير من الكوكاكولا قبل النوم؟

- هل هناك مشكلة عائلية مؤثرة عليه؟

بدأت أشعر بالدوار، انخفاض ضغط الدم، ارتباك، شك، أو كل هذا مجتمعًا خيَّم على رؤيتي وأثَّر على توازني.

- أتودين كوب ماء؟

- لا، شكرًا.

نصحاني بحجز ميعاد مع طبيب نفسي، وبدت لهجتهما كأمر أكثر منها نصيحة:

- نظرًا لخطورة الموضوع، من الضروري التصرف بسرعة، ففي مثل تلك الحالات، الوقت مهم، ويجب علينا إيجاد حل في أسرع وقت ممكن، قبل أن يتقدم أحد بشكوى.

- مَنْ سيفعل هذا؟ "فرناندز لوينجو"؟

- لا، لن يتم إخبار "فرناندز لوينجو"، ليس من السهل إخباره بمثل ذلك الأمر، هو أو غيره، ولكن بعض أصدقاء "خواني" رؤوا الرسم، ولسنا متأكدين من أنهم لن يخبروا أحدًا بها، يرتعب الآباء من نوعية تلك الأمور، يخشون أي شيء يهدد أطفالهم، وعلينا أن نطمئنهم بأن أبناءهم الصغار بمنأى عن الخطر.

هل قالت "الصغار"؟:

- وما الخطر الذي سيحدث؟

- ليس من تلك المخاطر التي لن نستطيع السيطرة عليها، حتى الآن، إلا إذا فكرنا في فصل "خواني" من المدرسة.

لفظ ذلك التهديد كان بمثابة صفعة حادة.

- أخطرينا بمجرد تسلمك لتقرير الطبيب النفسي، هل لديكِ أية أسئلة أخرى تودين طرحها؟

شكرتهما ونهضت لأرحل، فنصحتني الأخصائية النفسية أثناء خروجي من الغرفة:

- ضعي عينك عليه قليلًا.

قفزت في عقلي رسمة "فرناندز لوينجو" وهو يعتلي كلبه.

لم أذهب للعمل في ذاك اليوم، شعرت بالذنب والعار، ومع الوقت، أصبحت غاضبة جدًّا أيضًا، أخرجت الورقة التي كتب فيها "خواني" ما فعله ولم أصدق عيني، حفظت اسم الطبيبة النفسية، ولكنني لم أستطع حمل نفسي على الاتصال بها، لم أعرف كيف سأبدأ في شرح ما حدث، حتى إلى "روني"، وبدأت لعدة مرات أتصل، ثم أغلق الخط، ثم لم أكن متأكدة إن كان المفترض استشارة أخصائي نفسي تربوي أم طبيب نفسي عادي. تناولت الغداء وحدي مع "خواني"، حيث عاد "روني" متأخرًا، وحتى عندما وصل، لم أستطع فتح الموضوع، راقبته، وتساءلت ما الخطأ الذي ارتكبته، أم أنه خطأ "روني"؟ ما الذي ارتكبناه؟ أشياء كثيرة بالتأكيد.

ذهب "خواني" للنوم، "ضعي عينكِ عليه قليلًا"، حسنًا، الحقيقة أنني لم اعتنِ به كثيرًا مؤخرًا؛ فأنا أعمل طوال اليوم، إلى وقت متأخر، أعرض منازل، أتغنى بمدح الأراضي الخالية، أنظم صكوك الرهن العقارية، وكبر الصبي وحده، "متروكًا لرحمة الله" كما كانت تقول أمي، وهذا حقيقي جدًّا، ويختلف التخلي في مكان مثل "كاسكايد هايتس" عن التخلي في أي مكان آخر، فهنا بإمكانك ترك الأطفال أكثر إلى إرادتهم من دون القلق من المخاطر التي تسيطر على الأمهات في العالم الخارجي، فليس هناك احتمالية للخطف داخل حيِّنا، أو

أن يقتحم لص بيتك، وبإمكان طفل في سن "خواني" أن يأتي ويذهب إلى النادي بالدراجة، بمفرده، في أي وقت من اليوم، وإذا ما ذهبوا إلى مركز الشباب، فهناك دائمًا مدرس يراقبهم وحراس أمن يتجولون، ولقد اعتادوا أن يزوروا الجيران - حتى أولئك الذين لا يعرفونهم - أو أن يأخذهم أحد في سيارته، الجو هنا آمن جدًّا، وشعار "لا تتحدث مع الغرباء" ليس مطبقًا هنا، فلا أحد ممن يعيشون في "كاسكايد هايتس" يُعتبر غريبًا، أو على الأقل، لن يظلوا كثيرًا غرباء، ويتم تفتيش أي زائر عند بوابة الدخول ويعزز هذا الإحساس بالأمان، أو وهم الأمان، وبمرور العشر سنوات الأخيرة من القرن الجديد، بدأنا نحمي أنفسنا بصرامة أكبر خلف القضبان، وتم فرض المزيد من الإجراءات الشكلية قبل السماح للزائر بالدخول، وتزايد عدد حراس الأمن عند البوابة، وظهرت المزيد من الأسلحة، ولعدة أشهر أصبحت القاعدة الآن أن يتم طلب الفيش الجنائي من الجنائنية، والبنائين، وعمّال الزخرفة، وأي عامل يتردد بانتظام على نادي بلدتنا، وتم طرح هذا النظام بعد اكتشاف أن كهربائيًّا متعاقدًا مع فريق الصيانة كان قد قضى عقوبة بالسجن نظير حادثة اغتصاب ارتكبها من عشر سنوات، ولكن لم يكن لأي منا أي دليل على هذا.

الخطط على قدم وساق لاستبدال السور المحيط بحائط صلب، بارتفاع عشر أقدام، وكان هناك كلام بشأن إقامة سور مزدوج؛ أسلاك شائكة من الخارج، وبداخله سور من الطوب، ولكن معظم السكان اعتقدوا بأن هذا ليس في محله، حيث كان كل ما أردناه هو سور، وبالتالي لن يستطيع أي مار رؤيتنا، أو يدخل إلى منازلنا أو سياراتنا، وبالتالي لا يتوجب علينا الحذر، ومع ذلك، ما زال موضوع السور قيد الموافقة، لأسباب جمالية، حيث ظلوا يتجادلون لخمسة أشهر حول مزايا السور الطوبي مقابل السور الخرساني.

الشيء الأكيد الوحيد، هو أن "خواني" يشاهد التليفزيون بمفرده كثيرًا ويشرب الكثير من الكوكاكولا.

بمجرد عودة "روني"، أخبرته، انطلقت في البداية، ولكنه لم يدعني أنهي كلامي، لم أخبره أبدًا بخصوص قلق الناظرة، أو العلاج الذي نصحتني به، أو الكافيين الذي تحتويه الكوكاكولا، أو الكلب، وخصوصًا الكلب.

حيث ضحك وقال:

- لا تخبريني بأن "فرناندز لوينجو" يستمني أمام الكومبيوتر!

ثم جلس ليأكل.



14



سجلت "كارمن إنسوا" أسماء المشتركين في قائمتها وأخـذت مـنهم العـشرة بيـزو مـصاريف التسجيل، وجاهدت كي تبتسم لكل وجه جديد، ولكنها لم ترد أن تـأتي، فهـي تـستطيع بالكـاد تحمُّل جلوسها من دون حركة، حيث يحثها جسدها على الذهاب والمجيء، عـلى التـدخين، أو على تناول القهوة، وخطر في بالها في صباح ذلك اليوم أن تختلق عذرًا ولا تظهر، ولكن ليس في استطاعتها هذا، فلا أحد يضيع دورة "البوراكو" السنوية لـ"كاسكايد هايتس"، والتي سـتذهب جميع عائداتها لدعم مركز الأطفال في الحي المجاور، فبالتأكيد لن تفوتها، فهي ليـست مجـرد منظمة، ولكن عضوة مؤسسة لـ"سيدات هايتس".

وبين تسجيل كل مجموعتين من المـشاركين، كانـت تحـاول الاتـصال بتليفـون "ألفريـدو"، ولكنه مُغلق، اهتزت ساقيها باضطراب أسفل المنضدة الصغيرة المستخدمة كمكتـب اسـتقبال، ومن دون قصد، ركلتها، وكان عـلى "تيريـزا سـكاليا" أن تنـدفع لتلحـق الأوراق وأقـلام "البـول بوينت" قبل وصولهم إلى الأرض، أتت إحدى المشاركات وقالت:

- لو سمحتِ لا تجعليني ألعب ضد "ريتا مانـسيلا"، لقـد قلنـا لبعـضنا أشـياء لا تـصح في مباراة التنس منذ عدة أيام مضت.

بالكاد ركزت فيما قالوا، فعلى الأقل إن كانت ضـمن قائمـة لاعبـي "البوراكـو"، لا تشغل عقلها بشيء ما، فهي تحـب اللعـب، لعـب "البوراكـو" و"الرَمْـي"، ومـع ذلك، فلن تستطيع اليوم القيام ولو بأبـسط شيء فـيهما، وعـادة مـا تحـب عمـل "إسكاليرا"- "سُلم" من القواشيط تبين الأرقام المتعاقبة، وتفضل القواشيط المكتوبة بـاللون الأحمـر، ولا يهمهـا المكـسب بقـدر مـا يهمهـا عمـل تلـك الـسلاسل،

الأطول، والأفضل، ولكنها لن تلعب هـذه المـرة، اتـصلت بــ"ألفريـدو" مـرة أخـرى، مـا يـزال تليفونه مغلقًا، طلبت سيجارة من إحدى الحاضرات، أقلعت عن التدخين منـذ عـدة سـنوات، ولكنها ما تزال تشعر بالحاجة إليه، وكأنها لن تقلع عنه أبدًا، ودّت أيضًا أن تـشرب كأسًـا مـن النبيذ، ولكن هذا غير مناسب هنا. أثنـاء انتظارهـا للاعبتـين حتـى ينهيـا مبـاريتهما، أخرجـت كشف حساب بطاقة ائتمان "ألفريدو" من حقيبتها وتصفحتها مرة أخرى، آملة أن تكـون قـد أخطأت في قراءة التفاصيل، "فندق شيراتون"، ثلاثة آلاف دولار، 15 أغسطس.

شعرت بنفس الفراغ في معدتها الذي شعرت به صباح اكتشافها لهـذه الفـاتورة أول مـرة، عندما وجدته متروكًا لأي أحد يراه على كومود "ألفريدو"، وبعد تلك المرة الأولى، قرأتـه عـشر مرات، خمسًا وعشرين، آلاف المـرات، وكـان بـه نفـس الـشيء: "فنـدق شـيراتون"، ثلاثـة آلاف دولار، 15 أغـسطس، نفـس التـاريخ الـذي ذهبـت فيـه لــ"قرطبـة" للعـب مبـاراة "بوراكـو"، لمساعدة ماذا أو مَنْ لم تتذكر، ولكنها اتصلت بالمنزل في تلك الليلة ولم يجبها أحد، حيـث كـان أطفالهما في "بينامار" مع آباء بعـض أصـدقاء المدرسـة، والمربيـة التـي كانـت لـديهم في ذلـك الوقت قدمت ورقة استقالتها فجأة، وقال "ألفريدو" إنه نـام مبكـرًا بـسبب الـصداع الـشديد، وبالطبع لم يذكر أين نام، أو مع مَنْ، وصدقته، حيث كان هذا اليوم هو العطلة الرسمية التـي تُقام فيها أهم دورة جولف لنادي البلدة، ولم يكن "ألفريدو" ليفوتها من أجل أكثر نساء العالم جاذبية، أو ربما فعل.

- سجلينا بألف وخمسمئة وسبعين نقطة، مَنْ سيلاعبنا الدور القادم؟

نظـرت "كـارمن" إلى القائمـة، ولم تجـد المكـان الـصحيح، حيـث تـداخلت أسـماء اللاعبـين المختلفة مع بعضها البعض، ولكنها سجلت الرقم، وقالت وهي غير متأكدة:

- ستلاعبان الفريق رقم تسعة، بمجرد أن ينهيا لعبهما على الترابيزة رقم عشرة.

فأخذت "تيريزا" التي كانت تراقبها القائمة التي سـجلت فيهـا النتيجـة، وشـطبت "الثلاثـة آلاف" التي سجلتها "كارمن"، وسألت اللاعبتين قبل أن تتركا المكتب:

- هل قلتما ألف وخمسمئة وسبعين؟

نهضت "كارمن"، بينما تنظر إليها "تيريزا"، ولكنها لم تبرر سبب عصبيتها، ثم قالت:

- سأخرج لأدخِّن.

وذهبت آخذة معها تليفونها المحمول وكشف حساب بطاقة الائتمان.

ومن البلكون المقابلة للحفرة التاسعة، اتصلت بالفندق، مُدعية بأنها سكرتيرة السيد "ألفريدو إنسوا":

- يقول السيد "إنسوا" أن الثلاثة آلاف دولار المستقطعة من بطاقة ائتمانه غير صحيحة، ولذلك يريد كشف حساب بالمبلغ.

فأجابوها بأنهم سيرسلون نسخة من الفاتورة عبر الفاكس، فأعطتهم "كارمن" رقم منزلها، وأغلقت الخط وعادت لتجلس مع "تيريزا". سألتها صديقتها:

- أكل شيء على ما يرام؟

- نعم، كل شيء عظيم.

اشتكت امرأة تلعب على الترابيزة المجاورة للنافذة المطلة على الحديقة الشتوية من أن منافستيها تومئان لبعضهما البعض، وهو ما يضايقها. نشب جدال، راقبه الجميع، ولكن لم يتدخل أحد. اتصلت "كارمن" بـ"ألفريدو" مرة أخرى. انتفضت إحدى السيدات ورحلت غاضبة، ورن التليفون هذه المرة. حاولت رفيقة المرأة المتضايقة أن تثنيها عن الرحيل، قال "ألفريدو":

- مرحبًا.

ولكن لم تفكر "كارمن" في ماذا ستقول وأغلقت الخط. انتهى الأمر بأن رحلت المرأتان، المتضايقة ورفيقتها. سيعرف "ألفريدو" بأنها هي التي اتصلت

به. توجهت اللاعبتان المنسحبتان الآن إلى المكتب، حيث كانت "كارمن" بمفردها، لأن "تيريـزا" تركت المقهى لتنظم توزيع الجوائز.

- وقاحتهما غير معقولة، أرأيتِهما؟ سجلي أننا فزنا بالانسحاب، بإمكانِك الفـوز بالانـسحاب هنا، تمامًا مثل التنس، أليس كذلك؟

رنّ تليفون "كارمن" وردت عليه من دون أن تجيب السيدة، وكان "ألفريدو" هو المتصل:

- نعم، انقطع الخط، لا بد أن الشبكة سيئة هنا.

أخبرها "ألفريدو" بأنه سيعود متـأخرًا للمنـزل وأنـه عليهـا ألا تنتظـره، شـطبت "كـارمن" اسمي السيدتين المنسحبتين من قائمتها:

- نعم، صحيح، لديَّ الكثير لأفعله هنا على أية حال، ثم يجب أن نحصي الإيرادات... نعـم، مرّ كل شيء على ما يرام جدًّا.

رحلت السيدتان الفائزتان بعُقد مصنوع من الفضة وحجر "الزركـون"، مُهـدى مـن محـل "توليدو" للمجوهرات، ونال استحسان الجميـع، بيـنما سـاعدتهما "تيريـزا" و"كـارمن" في ربـط العُقدين، ووقفن لأخذ صورة، صورة بمفرديهما، وصورة لهما مـع المنظمـين. اتـصلت "كـارمن" بـالمنزل وتحـدثت إلى الخادمـة التـي تعمـل لـديهم منـذ عـدة أشـهر، ولكـن منـذ أن جعلهـا "ألفريدو" تطرد "جابينا" التي عملـت لأجلهـا دائمًـا، لم تعـد قـادرة عـلى الثقـة في أي خادمـة أخرى، ولأسباب مختلفة لم تستمر معهم أي خادمة لمدة طويلة:

- هل اتصل أحد وسأل عن إشارة الفاكس؟... حسنًا... إذا ما اتصلوا وسألوا لإرسال فـاكس، ابقِ بجانب التليفـون، وبمجـرد إرسـال الورقـة، اقطعيهـا، واطويهـا وضـعيها في درج الكومـود المجاور لسريري، فهمتِ؟ حسنًا، أعيدي ما قلته لو سمحتِ.

أعادت الخادمة تعليماتها، ولم تسمع "كـارمن" جـزءًا منهـا لأن إحـدى المـشاركات جـاءت لتطالب بباقي أموال لها، أغلقت الخط، وبحثت عن الباقي، وكان ناقصًا بمقدار اثني بيزو:

- حسنًا، اعطيهما لمركز الأطفال.

وفيما بعد، تركت القاعة خالية تفوح منها رائحة دخان السجائر. قامت سيدتي تنظيف بمسحها وترتيب الترابيزات، بينما جلست "تيريزا" و"كارمن" لعد المال، رنّ تليفون "كارمن". كانت خادمتها، وصل الفاكس، وظلت بجانب التليفون أثناء خروج الورقة، لا، لم يكن الأولاد بالمنزل، قطعت الورقة، وطوتها ووضعتها في درج الكومودينو. وضعت "كارمن" الإيرادات بسرعة في الصندوق المعدني وأغلقته، وكانت الإيرادات أكثر بكثير مما توقعن، وأكثر بقليل مما صرفه زوجها تلك الليلة في الفندق، قالت "تيريزا":

- من المشجع معرفة أن هناك الكثير جدًّا من الكرماء حولنا، أليس كذلك؟

- نعم، هناك كرماء كُثُر حولنا.

أغلقتا الأضواء وخرجتا، كانت على وشك أن تركب سيارتها، ثم جاءتها فكرة وذهبت إلى سيارة "تيريزا":

- أتودين الذهاب لأكل شيء ما؟ سيعود "ألفريدو" متأخرًا الليلة.



15



كان عام 1998 عام حوادث الانتحار المريبة، فهناك الرجل الذي دفع رشاوى للبنك الوطني البرتغالي، وقبطان الملاحة الذي توسط لبيع أسلحة للإكوادور، ورجل أعمال البريد الخاص الذي صوره المصور القتيل، ولم تؤثر أي من تلك الحوادث مباشرة على حياتنا، أو على حياة "كاسكايد هايتس"، مجرد لفت انتباه سريع لمن يقرأ عنهم في الجريدة، أو يشاهدها في نشرة الأخبار بالتليفزيون.

فلدينا أشياؤنا الخاصة التي نتحدث عنها، مثل "روني جيفارا" على سبيل المثال، فالآن جميعنا يعلم ما لن تعترف به "فرجينا"، تمامًا مثل ذلك الذي دائمًا ما يكون آخر مَنْ يعلم؛ لم يعد "روني" يساهم بأي شيء للعائلة باستثناء أحلامه المستحيلة، فهي مَنْ يعول الأسرة، وبقاء وكالة العقارات سرًا كان يدمرها، حيث مال الناس لخلط عملها بـ"المحاباة"، وفي أكثر من مناسبة، يعرب الزبون عن دهشته، أو حتى يهينها عند محاولتها لتحديد ثمن العمولة:

- أعرف المالك أيضًا، فلماذا يجب أن أعطيكِ عمولة؟

وذات مرة، قام رجل بإعطائها حقيبة يد مصنوعة يدويًّا في مصنعه لم تغطِ حتى جزءًا صغيرًا من عمولة "فرجينيا"، كما كانت "قبيحة جدًا"، كما وصفتها "تيريزا سكاليا".

وفيما بعد كتبت "فرجينيا" في دفتر مذكراتها الأحمر:

- عندما تحين لحظة وضع المال على الطاولة، يدخل "الصديق" مباشرة في فئة أخرى، لم أجد بعد اسمًا مناسبًا لأطلقه عليها.

ارتفـع سـعر الأراضي مـع النـشاط الاقتـصادي لفـترة التـسعينات، وأرادت "فرجينيـا" أن تستفيد، الكل أراد هذا، حلمنا جميعًا بالمبالغ الذي سترتفع إليها قيمة منازلنا كل يـوم وخمنَّـا أعلى قيمة قد تصل إليهـا، وعنـدما ضـاعفنا مـساحة سـطح منازلنـا بتقييمهـا بالقـدم المربـع، شعرنا بنشوة لا يضاهيها أي شيء آخر؛ مبدأ لذة العمليـات الحـسابية، لأننـا لم نكـن نخطـط لبيـع منازلنـا لأي أحـد، وإنمـا الرياضـة وحـدها، تلـك المـضاعفة البـسيطة، هـي مـا أشـعرتنا بالمتعة.

حان وقت تأسيس "فرجينيا" لوكالة عقارات رسمية، لكن تمنع قوانين "كاسـكايد هـايتس" سكانها من تنفيذ أي نشاط اقتصادي في الحيّ نفسه، وعلى الـرغم مـن أن الكثـيرين يقومـون بهذا فإنه أصبح مفهومًا ضمنيًا أن مثل تلك الأنشطة هي أنشطة سرية، وفي أمـاكن مثـل تلـك يؤدي الحسد إلى الشكاوى، وتؤدي الشكاوى إلى العقوبات، فإذا ما وضعت لافتة خارج منزلها مكتوبًا عليها "وكالة عقارات مافي جيفـارا" سـتنتهك حينهـا الاتفـاق الـضمني، وعـلى الجانـب الآخر، العمل السري لم يعد كافيًا لها، وكان الحل في أن تعلق لافتة خارج السور المحيط للحي، وأن تكون قريبة بما يكفي حتى يراها القـادمون بحثًـا عـن عقـار في "كاسـكايد هـايتس"، وأن تكون كافية لتوسيع نشاطها بتلك الطريقة.

وافق "روني" على هـذه الخطـة، وكـان مـن الممكـن حينهـا سـماعه يتحـدث بحـماسٍ إلى تجمعات من أصدقائه عـن وجـود وكالـة العقـارات في المنطقـة وعـن النمـو المحتمـل لعمـل زوجته، ولكن هذا كان بنفس مقدار استمرار التزامه بأنه لن يصاحبها في البحث عن عقـارات قد تساعدها في "تحقيق قفـزة" في عملهـا، فكانـت تركـب الـسيارة وتأخـذ جولـة في المنطقـة متفحصة كل مبنى بحثًا عن أقرب شيء صـالح ليكـون أرضًـا تجاريـة، جميعنـا نـروح ونجـيء خلال هذه الشوارع على الأقل مرة واحدة يوميًا، ولكننا لم نبدِ اهتمامًا بهـم أبـدًا إلا إذا أردنـا منهم شيئًا، والآن، وللمرة الأولى، بدأت "فرجينيا" في النظر باهتمام.

تختلـف المنطقـة الواقعـة خـارج الـسور المحـيط بــ"كاسـكايد هـايتس" عـن الحيّ التجاري، حيث توجد أراضٍ شـاغرة، ومنـاطق خربـة، وفي بعـض الحـالات،

يتم ترك المنازل نصف مبنية، ثم تُترك ليبليها الزمن والإهمال، وللناس الذين يسرقون منها أي شيء قد يجدونه نافعًا. هناك ثلاثة عقارات متجاورة، تم هجرها بسبب أعمال السطو وتكاليف الصيانة الأعلى بكثير من استخدامهم البسيط. وأمام مدخل "كاسكايد" بميل بسيط، هناك منزل صغير لزوجين شابين لم يتحملا العيش داخل الحيَ المُسور. بنيا بيتهما على أمل أن التطور الذي يجري داخل "كاسكايد هايتس" سيطول المناطق المحيطة به كذلك (وهو ما لم يحدث بعد)، وحتى مع وجود كشك حارس الأمن الذي كان يواجه منزلهما، لم يشعرا بالأمان.

وبعد مسافة قليلة من الطريق المؤدي للطريق السريع، يقع حيّ "سانتا ماريا دو لوس تيجرسيتوس"، وتتميز تلك المقاطعة بالمنازل البسيطة ضعيفة الأساس، والتي بُني معظمها على يد مَنْ يعيشون فيها، أو على يد أقاربهم وأصدقائهم، ويعتمد سكان تلك المنطقة على العمل الذي نوفره لهم في "كاسكايد هايتس"، وتشير إليها التقارير التي نشرتها لجنة أمن الحي بـ"الحي الفرعي" وأوصت بدعم هؤلاء الجيران، وتتأرجح فرص عملهم تماشيًا مع معدل نمو مجتمعنا، ويؤثرون بالتالي مباشرة على أمننا كما تفيد التقارير.

أخذت المنازل في "سانتا ماريا دو لوس تيجرسيتوس" منظرًا فوضوي يشبه شكل الشجيرات غير المهذبة في "كاسكايد هايتس"، ولكن تبعثرهم ليس نتيجة تصميم خفي كما هو الحال في حدائقنا، ففي "لوس تيجرسيتوس" يفعل الناس ما في وسعهم؛ فهم يقومون ببناء منزل لا يحمل أي صلة بالمنازل المجاورة، وفي بعض الحالات لا توجد صلة حتى بين الغرف وبعضها، وبإمكانك تمييز المراحل المختلفة للبناء من الخارج؛ الشبّاك الذي صُنع بعد تشطيب الغرفة، والذي لا يتناسب مع الجدار الفاصل، الطابق العلوي المبني على قمة ما كان مُخططًا بالأساس ليكون سطحًا، الحمام الذي تمت إضافته أخيرًا، ولكن من دون تهوية كافية، وقد يجاوره بيت من الطوب غير المطلي، وللمنازل الأكثر أهمية مواقف سيارات أمامها، بينما تحتوي المنازل المتواضعة على جراجات في

الطوابق الأرضية، وينتظر أصحابها الوظائف التـي سـتوفر لهـم المـال الكـافي لـشراء الأسـمنت اللازم لبناء الجراج.

وهناك سوق صغيرة: جزَّار، خبَّاز، وحانة بها ترابيزة بلياردو وترابيـزة لعبـة كـرة القـدم. لا يتعدى عدد البنايات السكنية في حيّ "سانتا ماريا دو لوس تيجرسيتوس" أكثر من ست بنايات على جانبي الشارع المُمهد المؤدي إلى الطريق السريع، وقد دفعنا لرصف هذا الشارع بأنفسنا من خلال رسوم إضافية على نفقاتنـا، وعـلى جـانبي الـشارع، تـتلاشى الكثافـة الـسكانية كلـما غامرت بالدخول في الطرق الجانبية القذرة، وبين الحين والآخر يفيض النهر بمجرد خروجه مـن "كاسكايد" ويغمر الطرق القذرة.

أمَّا في الشارع الرئيسي المؤدي للطريق السريع، هناك عدة أرصفة، ولكنها ليست أمام كـل منزل، ولم تدفع البلدية تكاليفها، حيث دفعها أصـحاب المنـازل، ولـذلك تـرى بعـضها مُكـسَّرًا، والآخر مُرمَّمًا ببلاطات مختلفة الألوان، وخارج محل الجزَّار، المجاور للافتة التي يعـرض عليهـا أنواع اللحم الرخيص الذي لا نأكله أبدًا في "كاسكايد هايتس"، يجلس السكَّان معًا على مقاعد خشبية ويشربون مشروب "المتَّـة"، وأمـام المبنـى المجـاور هنـاك المزيـد مـن الـسكان، الـذين ينتظرون شيئًا ما، أو لا شيء، ويجلس الكثير منهم على الجانب الآخر من الطريـق، يـشاهدون السيارات المارة، ويستطيع بعضهم إخبارك في الحال مَـنْ الـسائق مـن خـلال موديـل الـسيارة ولوحة أرقامها:

- تقود سيارة BMW 367، أليس كذلك؟

سـأل مـساعد النجَّـار الـذي يعمـل عنـد "إدواردو أنـدرادي" هـذا الـسؤال، وهـو مـا دفع بـ"إدواردو أندرادي" إلى تقديم تقرير لمجلـس الإدارة، لتنظـر فيـه لجنـة أمـن "كاسـكايد هايتس".

وفي قلب الحيّ، عن طريق المركز المحلي، يوجد ملعب كـرة القـدم، والمدرسـة والكنيــسة التابعــة لــنفس الأبرشــية التابعــة لهــا كنيــسة "كاسـكايد هــايتس"، والتي يرأسها نفس القس الذي يرأس القداس، وفيما بعـد يوجـد المركـز الـصحي،

المشتمل على عيادة التطعيم والحضّانة، وفي جميع أنحاء المكان تنمو المنازل طوعًا أو كراهيـةً مثل نبات عيش الغراب بعد سقوط المطر، المزيد من المنازل، وتنحشر منازل كثيرة في مـساحة صغيرة، هي منازل عائلات كبيرة، تجيء إحداها عبر المباني العشر كل يـوم إلى حاجزنـا الأمنـي، ليعملوا لدينا كجنايانية، ومساعدين للاعبي الجولف، وخدم، وبنَّائين، ونقَّاشين، أو طبَّاخين.

تقع الشقة التي وجـدتها "فرجينيـا" في مبنـى مجـاور للمركـز الـصحي، وكانـت تُـستخدم كصالة عرض فيديو، وعلى نافذتها لافتة مُقتبسة من ملصق إعلاني قديم لأحد أفـلام "سلفـستر ستالوني"، وأضاف عليها شخص ما شاربًا أزرق وكتـب "للإيجـار". كـان حجـم الـشقة وحالتهـا مناسبين لوكالتها، وقال البعض إنها فكرت في هذا الأمر بجدية، لدرجة أنهـا كانـت عـلى وشـك ترك بياناتها للتواصل، ولكن "تيريزا سكاليا" جعلتها تعيد النظر في الموضوع حينما سألتها:

- هل تعتقدين فعلًا أن أحدًا ما يمتلك سيارة مثل نوعية السيارات التي نقودها سيذهب ويقف هناك ويجرؤ على الخروج من سيارته؟

كان لينصحها بذلك أي أحد منا، ولكـن ربمـا بطريقـة ملتويـة بعـض الـشيء، مـستخدمين العبارات اللطيفة، أو خافضين من أصواتنا، حيث إننا أقل وقاحة مـن "تيريـزا سـكاليا"، ولكنـه كان من الواضح أن هذا المكان غـير صـالح، فمـن غـير المعتـاد أن يقـف أي أحـد مـن سـكان "كاسكايد هايتس" في "سانتا ماريا دو لوس تيجرسيتوس"، فعمومًا نخـرج منهـا بأقـصى سرعـة تسمح بها لنا المطبات هناك، فسكَّان المنطقة فقط هم مَـنْ يـذهبون للمتـاجر، ولـيس نحـن، وإذا ما كنا نحافظ على المسافة بيننا وبينهم، فهذا بسبب قذارة الشوارع، ونقص أماكن الـركن الكافية، وبُعد كشك الأمن عند مدخل "كاسكايد هايتس"، وكل يوم تسمع عن أعمال الـسرقة في "سانتا ماريا دو لوس تيجرسيتوس"، ويقول البعض إنهم يسرقون من بعضهم البعض، بيـنما يقول سكان الحي إن اللصوص يأتون من خارج المنطقة. من الصعب معرفة الحقيقة بالتأكيد.

في النهاية، انتهت مشكلة "فرجينيا" بضربة حظ، هـجّ زوج المـرأة التـي تعـيش في الكـوخ المقابل لبوابة الدخول والتي تولي ظهرها لمكتب الأمن، هجر الرجل زوجته وأطفـالهما الثلاثـة الصغار، فقررت المرأة أن تنتقل لتعيش مع أمها، وهكذا قامت "فرجينيا" بتـأجير الكـوخ منهـا بأقل إيجارٍ ممكن، مع الاتفاق بأنها ستتركه بمجرد ظهور مشترٍ، قد يكون مشتريًا عـن طريقهـا هي شخصيًا في حالة عثورها على مكان أكثر ملاءمة لوكالتها. كـان الكـوخ صـالحًا للـسكن، بـه مطبخ مقبول، وغرفتان ستتجاهلهما الآن، وغرفة معيشة ستضع فيها المكتـب، مكتـب وثلاثـة كراسي، وأريكة، وترابيزة من الخوص كانت فائـضة عـن حاجـة "تيريـزا سـكاليا" وأعطتهـا لهـا، ودولاب بأدراج، حولته إلى خزنة ملفات، وسجادة لم تعد تستخدمها في المنزل وفازتين أصليتين أعطيتـا للمكتـب روح حـي "كاسـكايد هـايتس"، وقبـل الانتقـال، بـدّلت المـصابيح المحترقـة، ودهنت المكتب بالأبيض وغيّرت الفـرن القـديم ببوتاجـاز متحـرك، وكـان البـاب الأمـامي هـو الشيء الوحيد الذي لم تستطع تغييره قبل افتتاح المكتب، وكان من الخشب، ثقيلًا، ومتـضخمًا بفعل الرطوبة ولا ينغلق إلا إذا قمت بركله.



16



ظهر أخيرًا منافسٌ ملائمٌ لـ"إلتانو سكاليا"، بعد أن يئس الناس من احتمالية هذا. إنه "جوستافو ماسوتا"، توقف أمام مكتبي المفتوح حديثًا، المقابل لمدخل "كاسكايد"، وبعد ساعات وجدني أركل الباب الأمامي المعوج اللعين لأغلقه. ما أردته هو توجيه ضربة عنيفة للترباس وركلة إلى أسفل الباب، في نفس الوقت غالبًا، ثم أدير المفتاح، الذي يتحرك بيسر داخل القفل، وكأن العائق لم يوجد، وهذا طقس يومي، أؤديه كثيرًا وبشكل تلقائي لدرجة أنني نادرًا ما أهتم بتأخر حضور النجّار لإزالة الخشب الزائد، وإلى حد ما استمتعت بهذا جدًّا، بنفس طريقة الاستمتاع بالتعرف على خلل في شخصيتك وإبقاء هذا سرًّا عن الجميع، وخداعهم بالمظاهر الكاذبة.

حتى ظهيرة ذلك اليوم، كانت الخدعة ناجحة، حيث كنت حريصة على عدم ركل الباب أمام أي عميل، ولذلك شعرت بالغيظ الشديد عندما شعرت بوجود "جوستافو ماسوتا". رأيته أول مرة عندما أتى ليساعدني بالتقاط بعض الأشياء التي تركتها على الأرض، لأفرِّغ نفسي أكثر لطقس الباب، مذكرتي الحمراء، كومة من حافظات الأوراق، تليفوني المحمول، بعض الأوراق، مفاتيح المنازل المعروضة للبيع أو الإيجار، أظرف تحتوي على فواتير مرافق المياه والكهرباء الخاصة بي وبعملائي، كريم ترطيب اليد (أكره أن تجف يداي) وزبادي لم يسمح لي الوقت بتناوله. كل تلك الفوضى كانت عرضًا دقيقًا لفوضويتي المعتادة. تجاهلت المقدمات وأشرت إلى الباب:

- إنه معوج.

فلم يقل حتى "مرحبًا":

- احتاج لتأجير منزلًا لعام أو عامين.

قالها وهو يلتقط أشيائي من الأرض.

"العمولة التي يحصل عليها السمسار تكون في الغالب مرضية جدًّا حتى ولو كانت صغيرة، فهي تكون جائزة سعيدة وغير متوقعة لعملي المتواصل لساعات طويلة".

هذا ما كتبته في دفتر مذكراتي الأحمر، تحت فصل عنوانه: "عمولات ومتاعب أخرى"، ومع ذلك، كان لديَّ ميعاد في مدرسة "خواني" في ظهيرة ذلك اليوم، وكنت قلقة بشأن هذا الميعاد طيلة اليوم، ففي نهاية الفصل الدراسي الأخير عارضوا السماح لي بتسجيله في العام الدراسي التالي، فمن المفترض انتقاله إلى الصف الثالث الإعدادي، ولكن الأخصائية النفسية شعرت بأنه أقل استعدادًا من زملائه، وكانت غامضة بشأن هذا، فلم تقل صراحة في أي شيء يختلف عن الآخرين. أعتقد أن حادثة الرسمة التي رسم فيها "فرناندز لينجو" يعتلي كلبه (والتي مرّ عليها عدة سنوات الآن) ما تزال مأخوذة عليه في الملفات، على الرغم من أنها لم تجرؤ على ذكر هذا، كان عليَّ أن أستمع إلى "روني" في ذلك الوقت، حيث أصر على أن نذهب إلى المدرسة ونخبرهم بحقيقة الأمر، ولكنني لم أرد فعل ذلك، فما فعله "فرناندز لوينجو" في منزله هو شأنه الخاص ولا يوجد مبرر في تلصص "خواني" عليه من خلال النافذة، هذا ما قلته لـ"روني"، ولكن هذا ليس كل الموضوع، كنت خائفة، عرفت أنه ليس من الهين الشجار مع جاري. كتبت اسمه بالخط الأحمر على بطاقته المنزلية، فهو محامٍ قوي، أحد أعضاء السلطات العليا في التهريب الجمركي، القادرين على تجنب السجن بسبب القيام بأعمال التهريب، فهو يعرف كل المهمين في الجمارك والضرائب والمحاكم الفيدرالية، خشيت أن يقوم بشيء ما يضرنا، إذا ما اكتشف ما الذي فعله ابننا، ولا أعرف ما الذي سيفعله، أقصد أنني لا أتسوق في عروض البضائع المعفية من الجمارك، ولكنني خائفة على أية حال، فبإمكانه التشهير بي والإضرار بعملي وسمعته، أو قد يضر "روني" ويخرب فرص عمله القليلة

التي يملكها، أو قد يؤلف شيئًا مفزعًا بخصوص "خواني": "يحوله من مجني عليه إلى جاني". أقنعت "روني" بألا يقول شيء، فعلى أي حال، ليس هناك خوف من "خواني" حتى وإن كرر فعلته. بالطبع عانينا لكي نشرح له خطورة الأمر، وفي النهاية أخبره "روني":

- إذا رسمت أحدًا عاريًا مرة أخرى - أيًّا كان هو - سأكسر أنفك.

نقلناه إلى غرفة نوم أخرى، أصغر، ولكنها تطل على حديقتنا، وبعيدًا عن تلك الحادثة، لم تكن هناك أسباب مادية أخرى تمنعنا من تسجيل "خواني" في العام الدراسي الجديد، فربما لا تكون درجاته في اللغة الإسبانية مبهرة، ولكنها لا تحتاج إلى مثل تلك العقوبة، ولديه مشاكل في اللغة الإنجليزية فقط في الجغرافيا والتاريخ، وعليّ الاعتراف بأنني لم أهتم كثيرًا بتلك المادتين؛ فأنا لم أرَ أهمية أن يعرف أي ملك خلَّف أي ملك في انجلترا، أو أحوال الطقس في أيرلندا الشمالية، ما أهمية هذه المعلومات وحيويتها في تربيته، لكن إخراجه من تلك المدرسة ليس بالأمر المقبول، لأن هذا التغيير - سواء كان للأفضل أو للأسوأ - يعني إقصاءه عن العالم الذي نسكن فيه، وفنيًّا لن يستطيعوا جعله يعيد السنة لأنه نجح في امتحان اللغة الإسبانية، ولذلك وبعد العديد من المحاولات، اقترحوا نقله لمدرسة أخرى:

- وبالتالي لن تعانيا أنتما وهو من التضحية بجعله يذاكر خلال العطلات الرسمية.

لم أوافق أنا و"روني" على هذا، لقد جعلناه يذاكر الجغرافيا والتاريخ الإنجليزي طيلة الصيف. رفض "خواني" أن نُحضر له مدرسًا خصوصيًّا واعتمد على مساعدة "رومينا" - ابنة "أندرادي" - التي كانت من أذكى فتيات فصلها وهو ما أثار دهشة أمها. فهي و"خواني" أصبحا صديقين مقربين منذ ظهور الفتاة لأول مرة في الحيّ وفي المدرسة، علّقت أمها ذات يوم:

- الطيور على أشكالها تقع.

لم أكن جريئة بالقدر الكافي لأسألها عن تفسير تعليقها.

في اليوم الذي ظهر فيه "جوستافو ماسوتا" عند باب مكتبي، كنت في طريقي لحضور اجتماع سأحصل فيه على الإجابة النهائية بخصوص إعادة قيد "خواني"، انتظرت تلك الإجابة بقلق أكثر من أي قلق شعرت به خلال إنهاء أي صفقة عقارات. غالبًا، تأخري في دفع المصروفات المدرسية لن يكون عاملًا مساعدًا في حالتي، ولكنني دائمًا ما أدفع في النهاية، بإضافة الفائدة.

أخبرني "ماسوتا":

- سأنتظرِك.

- في الحقيقة إنني لا أعلم متى سينتهي الاجتماع.

في الواقع، لم أكن قلقة كثيرًا بشأن الوقت الذي سيستغرقه الاجتماع، ولكنني قلقت أكثر بشأن الحالة التي سأكون عليها عند عودتي، فلم يكن مزاجي جيدًا بشكل خاص، ولكن هذا أمر متوقع، فلم أكن على استعداد لتقبل تغيير "خواني" للمدرسة، فأنا بالفعل أشعر بشيء من الغربة تجاه أصدقائنا، ولا أريد زيادة الفجوة. مدرسة "ليكلاندز" تتفاخر بأنها "تضمن أفضل تعليم للغة الإنجليزية من بين كل مدارس المنطقة". أردت أن يتحدث "خواني" الإنجليزية مثل كل الأطفال الذين يعيشون حولنا، ويذهبون جميعًا إلى مدرسة "ليكلاندز". كثيرًا ما أسأل نفسي إن كان عدم تحدث "روني" الإنجليزية بطلاقة هو سبب الصعوبة التي يلاقيها في الدخول للسوق مرة أخرى. أنا كذلك لا أتحدث أي كلمة إنجليزية، ولكنها غير ضرورية لمجال بيع العقارات، وأنا لا أريد أن ينتهي الحال بابني كسمسار عقارات جيد لي، فأنا أحب هذا المجال، ولكنه ليس جيدًا لـ"خواني"، حيث تخيلت له مستقبلًا مختلفًا، لم أعرف ما هو، ولكنه شيء ما مختلف عن حالي.

أعطاني "جوستافو" آخر حافظة أوراق. أظافره مقضومة، وهو ما لا يتناسب مع مظهرٍ مهندمٍ، إضافة إلى أن ظافر إبهامه كان ينزف.

- بصراحة، يمكنني الانتظار، أحتاج لتسوية هذا الأمر.

تساءلت حول ماذا يعني بـ"هذا الأمر"، فلا يبدو أنه يتحدث فقط عن تأجير منزل، ولكـن موضوعي كان يشغلني أكثر.

- لماذا لا نتقابل في العطلة الأسبوعية؟ فلقد أظلمت الدنيا الآن و"كاسكايد هايتس" تبـدو أفضل كثيراً في ضوء النهار، الأضواء الصناعية لا تنصف هذا المكان، فهو فريدٌ بحق.

أعطيته الكارت الخاص بي. لم أعطه أية خيارات إلا تأجيل ميعادنا إلى وقـت أكـثر ملاءمـة، ثم ركبت سيارتي ورحلت.

غالبًا خسرتُ هذا العميـل، وإن لم أخـسره الآن، فسأخـسره بـلا شـك عنـد عـودتي، لأننـي سأكون غاضبة من أن أحدًا قد لمَّح إلى عيوبي أو عيوب مَنْ يقعون تحـت مـسؤوليتي؛ عيـوب ابني. تلك العيوب التي حولت غضبي مع مرور الوقت إلى ألم، ليس ألمًا وجـدانيًا، ولكنـه كـان ألمًا بدنيًا، وخزٌ في منتصف صدري، وكأن عظام صدري ستنشق.

هكذا، وأثناء ابتعادي بسيارتي، رأيت عميلي المحتمـل في مـرآة الرؤيـة الخلفيـة، وكـان مـا يزال هناك، واقفًا خارج مكتبي، حرَّك يـده عـلى رأسـه بطريقـة خاصـة، وكأنـه غاضـب أيـضًا، أغضبه شيء أعظم من رفضي لإعطائه ميعادًا، ثم انحنى في طريقه باتجاه "ليكلانـدز" ولم أعـد قادرة على رؤيته.

أخذ الموضوع كله ساعة ونصف، جعلوني أنتظر، ثم تحدثوا أكثر مما توقعت، انتهى الأمـر بنجاح "خواني" في الامتحانات التي وضعوها له، وكنت على وشك أن ألكـم الهـواء تعبـيراً عـن سعادتي، ولكنني سمعت كلمة "ولكن"، حيث أخـبروني بـأن "خـواني" ولـد متوسـط المـستوى، ومستوى بقية الفصل مرتفع جدًّا، ولذلك يعتقدون أن المطلوب منه سيكون كثيراً جدًّا:

- لأن في هذه المدرسة نظام الصف الثالث الإعـدادي شـاق جـدًّا والـسرعة مطلوبـة جـدًّا، ولـن يكـون متاحًـا أي نـوع مـن المـساعدة الفرديـة في تلـك المرحلة، فهم لم يعودوا صغارًا، ونحن نبحث عن المجهود الفردي، فإذا ما كان

باستطاعته مجاراة السرعة، فحسنًا جدًّا، ولكن إذا لم يستطع، فمن الأفضل أن يترك المكان وينتقل لبيئة أقل في مطالبها. الأمر يشبه مفهوم الانتقال الطبيعي، ونحن ننقله هنا، هل تفهمين؟

وفهمت.

قالت الناظرة مبتسمة:

- لا نريد الاضطرار إلى الأخذ في اعتبارنا اختلاف الصبي عن الآخرين لكي ينجح. نحن نبحث عن تكافؤ الفرص بين الجميع.

سارعت بالقول:

- أريد لـ"خواني" أن يحاول.

- لا أعلم إن كان هذا للأفضل...

- لن يعرف أحد ما ستنتهي إليه الأمور حتى يحاول ونرى بأعيننا، وأعتقد أن من حقه إعطاءه الفرصة.

- لا أوافق.

غضبت وقلت لها:

- دوني رفضك وأسبابه في ورقة ولن أطلب منِك أي شيء آخر، أريد شيئًا ما رسميًّا يمكنني عرضه... في أي مكان.

وافقت الناظرة على إعادة تسجيل "خواني". خرجت مسرعة من الاجتماع، متشوقة لإخبار "روني" بأنهم سمحوا لابنه بالبقاء في المدرسة، ولكنني لم أجد تليفوني المحمول، وعندما وصلت لمدخل "كاسكايد"، أوقفني الحارس:

- هذا المحترم في انتظارِك.

وأشار باتجاه "جوستافو ماسوتا":

- يقول إنه وجد تليفوني المحمول، ولكنه يفضل أن يعطيه لكِ بنفسه.

ركنت وخرجت من السيارة. رأيت "جوستافو" بعيدًا ممسكًا بالمحمول ويلوح به إليّ لأراه، إنه تليفوني المحمول:

- بعد أن غادرتِ مباشرة استدرت وكدت أدوس عليه، كان على الرصيف، لا بد أنكِ تركته عليه أثناء غلقكِ للباب.

وقلَّد طقوسي في ركل الباب:

- لم أكن متأكدًا من أنه من الأمان تركه في حجرة الحرَّاس.

- لو أنه ليس من الأمان تركه هناك، فنحن لسنا بالذكاء الكافي، لأننا ندفع لهم الكثير. آسفة لتسببي في كل تلك المتاعب لك.

ساد الصمت، وبدا كل منا منتظرًا الآخر ليبدأ الحديث، وتكلم أخيرًا:

- تمام، حسنًا، سنتقابل في نهاية الأسبوع، أليس كذلك؟

أريته ما أراد رؤيته في الليلة نفسها، كنت في مزاج جيد بفضل إعادة تسجيل "خواني" في المدرسة، بالإضافة إلى أنه انتظرني لأكثر من ساعة ونصف ليعيد إليَّ تليفوني المحمول وشعرت بأن أقل شيء عليَّ فعله هو عرض منزلين عليه وتخفيف حدة استعجاله الظاهرة. ظننت أنه انفصل حديثًا ويبحث عن مكان جديد ليبيت فيه. نادرًا ما يختار المنفصلون العيش في "كاسكايد"، إلا إذا كان لديهم أطفال ولا يعرفون ماذا يفعلون بهم في عطلات نهاية الأسبوع، أو إذا كانت امرأة منفصلة تُركت للاعتناء بنفسها في منزلها الذي أصبح "منزل الزوجية السابق". لا يميل العزَّاب للإقامة في حيِّنا، ولا شك في أن "كاسكايد" يمكن أن يكون مكانًا صالحًا للعزلة، وهو بالضرورة ليس بالأمر السيئ، أحيانًا ما يكون العكس تمامًا. لكن علينا الاعتراف ببُعده عن العالم الآخر، بالنسبة للبعض يعتبر بعده أفضل ما فيه، ولكن هناك أيضًا من يعتبرون بعده وعزلته هذه كابوسًا.

من دون أن ننتبه، كسرنا الحواجز بيننا ووجدت نفسي أخاطبه بشكل ودي، وأناديه بـ"أنت".

وأثناء تجولنا في شوارع "كاسكايد" سألته:

- ما حجم العقار الذي تبحث عنه؟ ألديك أطفال؟

- لا، إنه لنا نحن الاثنين، أنا وزوجتي، فنحن متزوجان منذ خمسة أعوام، لكن ليس لدينا أطفال بعد.

- ربما ستجدان الدافع هنا، فهذا مكان رائع للاستمتاع به مع الأطفال.

لم يجب، بل أدار رأسه للشباك وحدَّق في الشارع. وأثناء تحركنا بالسيارة، بدأت أفكر في اللحظة التي وافقت فيها على أن يكون "خواني" هو طفلي الوحيد، فقبل الزواج، كنت أحلم بأن يكون لديَّ ثلاثة أطفال على الأقل، ولكن بمجرد أن فقد "روني" وظيفته، تركزت جهودنا على الحفاظ على ما لدينا، بدلًا من حمل أي شيء جديد على عاتقنا، وممتلكاتنا يمكن قياسها بالقدم المربع؛ الإجازات، الراحة، التعليم الخاص، السيارة، الرياضة، وليس الأطفال. على الأقل هناك طفل ليحافظ على نسل العائلة.

- أراهنك بأن زوجتك ستحمل هنا، فـ"كاسكايد هايتس" مثل فقعة خصوبة.

لم أكن متأكدة إن كان منصتًا لي، حيث راودني شعور بأنه لا ينصت إليّ.

خلال عدة لحظات من سيرنا هذا، كان مصممًا على إيجاد منزل ليؤجره في تلك الليلة، حيث ظل يلتقط التفاصيل التي أهملتها واعتبرتها غير مهمة أثناء تجولنا في الشوارع من أولها لآخرها، وبدا واضحًا أن أي شيء سأقوله لصالح أو ضد العقار لن يؤثر على قراره:

- لا تحب "كارلا" الحوائط الداكنة.. تكره "كارلا" الأبواب المزينة بالزجاج.. لا تحب زوجتي الأرضيات المطلية بالورنيش.. إذا ما رأت "كارلا" شكل هذا الحمام، ستموت.

كانت تلك هي بعض الحجج التي استخدمها لرفض عدة منازل.

وأخيرًا ظهر البيت المناسب، حيث عرضت عليه منزل "جاريبوتيس"،قال:

- أعتقد أنها ستحب هذا.

كان مبنيًّا من دور واحد، وأصغر من متوسط أحجام منازل "كاسكايد هايتس"، ولكن بمميزات جيدة جدًّا؛ تجهيزات مُوصى بها، وأرضيات خشبية، وتحف معدنية. لم يكن مثاليًّا لحيّ مثل "كاسكايد"، وإنما كان أكثر ملاءمة لتجده في "بوسطن" مثلًا.

- لديَّ منزل آخر يمكنك رؤيته، وبنفس السعر، لكنه أكثر حداثة وحديقته أكبر.

- لا، هذه الحديقة فسيحة، سأؤجر هذا البيت، إنه جيد، كم سأدفع كعربون؟

- ولكن ألن تلقي زوجتك عليه نظرة أولًا؟

- لا.

قالها وفي عينيه نظرة تحمل قوة وضعفًا في الوقت نفسه. تلعثم ليقل شيئًا آخر، وكأن كلمة "لا" تحتاج لتوضيح:

- لا أريدها أن تعلم. إنها مفاجأة، هدية مفاجأة.

كان واضحًا أنه يكذب، لكنني سايرته:

- أوه، مفاجأة، ستسعد زوجتك سعادة غامرة إذن.

خلال السنوات التي قضيتها هنا في "كاسكايد"، رأيت الكثير من المفاجأت، ربما لهذا السبب فقدت قدرتي على الاندهاش؛ فمثلًا هناك السيارة الجيب ماركة "مارسيدس بنز" التي أعطاها "إنسوا" لـ"كارمن" في حفل عشاء دعا فيه العديد من الأصدقاء لمنزله وظهرت السيارة أثناء تناولهم للعشاء، واقتربت من الحديقة، يقودها السائق، وعليها الفيونكة البيضاء وكل شيء، وبدت السيارة أنيقة بالفيونكة البيضاء، وليس السائق، وهناك شركة الإنتاج التي

أسسها "فيليبي لاجوس" لزوجته الثانية، في نهاية الـدورة الدراسـية التـي أخـذتها في التـصوير السينمائي، وهناك رحلة التسوق إلى "ميامي" لـ"تيريزا سكاليا" وإحدى صديقاتها، والتي موَّلها "إلتانو" كهدية عيد ميلادها، بالإضافة إلى الرحلة البحرية التي أخذها إليها، ولكن تأجير منـزل يبعد عن منزلك الحالي بثلاثين ميلًا من دون استشارة زوجتك؟ يبـدو هـذا شـيئًا غريبًـا بعـض الشيء، ربما شراء منزل يعتبر مفاجأة، أمَّا "التأجير"؟ فمستحيل.

أثناء تحضيري أوراق عربون "جوستافو ماسوتا"، رأيته يركض إلى الخارج، ويتـنفس بعمـق وكأنه يود أن يسحب كل الهواء المتاح إلى رئته. رجـل بمفـرده، اختـار منـزلًا ليعـيش فيـه مـع زوجته، ولا يحتاج إلى مشورتها في قراره هذا، وهو يدقق في كل شيء حتى أدق التفاصيل، مـن المفترض أن يستشيرها ويحصل على موافقتها.

دخل البيت واستلقى على الكرسي المجاور لي، ووقعنا العقد، أخذت العربون منه وأخبرتـه بقيمة عمولتي، أراد أن يدفعها على الفور، فرفضت، حيث إنني لن أتحـدث إلى المالـك الليلـة أو حتى اليوم التالي، وإذا ما جرت الأمـور عـلى مـا يـرام، سـيتمكن مـن توقيـع عقـد الإيجـار الأسبوع المقبل ويدفع الباقي:

- أريد أن أنتقل إلى هنا نهاية هذا الأسبوع.

- حسنًا، نحتاج إلى ترتيب الأوراق وتنظيف المنـزل تمامًـا، سـيحتاج المالـك إلى نقـل بعـض المتاع.

- سأتولى أمر التنظيف، وبإمكانه ترك ما يريد، فهذا لا يزعجني.

- سأرى ما بوسعي فعله.

- أحتاج أن أنتقل بأسرع ما يمكن.

لم يكن هـذا طلبًـا، أوضـحت نغمـة صـوته هـذا، ذكرتنـي بالطريقـة العنيـدة التي طلب بها "إلتانو" قطعة أرض معينة لمنزله، فكلاهما متأنٍ، ولكن من ناحيـة أخرى فقدرتهم على الاحتمال مختلفة جدًّا، فـ"جوسـتافو" يفتقـد الثقـة الهادئـة

في الحصول على ما يريد، هناك شك وألم في قراره، ليسا موجودين في قرارات "إلتانو"، وهناك شيء ما في "جوستافو ماسوتا" ذكرني بـ"إلتانو سكاليا"، شيء ما يجذبهما معًا كالمغناطيس، على الرغم من اختلافهما الكبير.

سألته أثناء رحيلنا عن المنزل:

- هل تلعب التنس؟

- اعتدت على لعبه منذ زمن بعيد، قبل أن أتزوج، كنت مصنفًا عالميًّا.

- في هذه الحالة، بمجرد أن تستقر، أخبرني. أود أن أعرِّفك على "إلتانو سكاليا"، أحد سكان الحي الذي يلعب التنس بشكل مذهل، حتى إنه لم يعد قادرًا على إيجاد أحد في مستواه ليلاعبه.

- آمل ألا أحبطه.

وبدا هذا تواضعًا مزيفًا:

- ولكن سيكون هذا جيدًا لي، أحتاج لمقابلة أُناس جدد.

- نعم، عندما تأتي للعيش هنا ستحتاج دائمًا للتعرف على أُناسٍ جدد، فهذا حالنا جميعًا. نحتاج لأي شخص آخر، فأصدقاؤنا القدامى بعيدون جدًّا الآن.

نظر إليَّ وابتسم، ثم امتد نظره ثانية وحدَّق عبر الشباك، ومن جانب عيني راقبته وتساءلت إذا ما كنت قد نسيت فعلًا تليفوني المحمول، أم أن "جوستافو" واستعجاله جعله يدبِّر كل شيء لاستئجار المنزل في تلك الليلة بالتحديد، ليس لديَّ شك في الإجابة.

17



كانت الساعة الحادية عشرة صباحًا وما تزال "كارمن" في السرير، لم تستطع استجماع طاقتها لتنهض، ظلت مستيقظة الليلة الماضية بسبب الأخبار التي عرضت فشل طائرة في الارتفاع ثم تغيير مسارها على طول الساحل قبل وقوعها في أحد ملاعب اتحاد الجولف، نفس المنطقة التي يلعب فيها "ألفريدو" الجولف كل يوم جمعة، كما اعتقدت هي. لقي حوالي مئة شخص مصرعهم، كما تخيلت أنها سمعت. نعست في النهاية، لكن الآن يقترب منها النهار، واضطرارها لتحمله. طرقت الخادمة الجديدة على الباب، ومن دون أن تدخل للغرفة، قالت للمرة الثالثة هذا الصباح:

- هل أجلب لكِ الفطور سيدتي؟

نهضت "كارمن"، تركت السرير وذهبت لأخذ حمّام:

- اجلبي كأسًا من "الروتيني" إلى الحمام.

كانت تحاول الإقلاع عن التدخين مرة أخرى، وبدلًا من أن تكثر في الأكل مثلما فعلت في المرة الأولى، لم تستطع بدء يومها من دون كأس الخمر، ولا سيما هذا اليوم. فتحت الدش ووقفت تحت المياه الساخنة، لسعت القطرات الأولى جسدها. في الخارج كانت الشمس قد أذابت بالفعل الصقيع الصباحي في الحديقة. لم تعرف كيف ستقضي بقية اليوم، لم يخطر ببالها فكرة خاصة مغرية، فالشيء الوحيد الذي تعلمته أثناء سنواتها في "كاسكايد" هو لعب "البوراكو" أو الدومينو، التي أحبتها، ولكن فقدت اللعبة سحرها مؤخرًا، فلم يعد عمل تلك الأشكال التي تشبه السلالم يغريها، فكان لها بمثابة الحياكة بالنسبة للنساء الأخريات؛ شيء ليشغل وقتها فقط، فوضع القواشيط على

الطاولة أسكت خداعها لنفسها، كان بمثابة شيء غير مُفيد تنكَّر في هيئة شيء مُنتج، حيث أخذت تؤجل مشاريع عديدة لعدة سنوات، مُقنعة نفسها بأنها ستعود إليها عندما يذهب أطفالها للمدرسة ويقضون اليوم كله فيها، وأخبرت نفسها، أنه حينها ستولي نفسها الأولوية وتركز على عملها، ولكن الآن أوشك التوأمان على ترك المدرسة الثانوية ولم تحاول "كارمن" عمل أي شيء. أحبت الديكور الداخلي، لكن "ألفريدو" قال إن الدورات التدريبية المتاحة للمستوى الثالث لم تكن "ذات جودة عالية، ومضيعة للنقود"، أحبت الرسم والتلوين، وربما حان وقت التسجيل في أحد دروس الرسم التي تعطيها "ليليانا ريتشاردز"، أو من الأفضل ترك هذا الأمر لعدة شهور قليلة، لم تكن متأكدة، أحبت أيضًا علم النفس، لم تقم بتحليل نفسي أبدًا، ولكنها بدأت بالشعور بالاهتمام بالموضوع أثناء جلساتها مع الطبيب النفسي عقب عمليتها، حيث قال لها الطبيب:

- استئصال كامل للرحم.

على الرغم من أنها لم تسمع تلك الكلمات من قبل، فإنها فهمت ما تتضمنه، ومنذ إجراء العملية، لم تعد تساعد في مركز الأطفال بحيّ "سانتا ماريا دو لوس تيجرسيتوس"، نصحها "ألفريدو":

- استمري في الذهاب، سيشعرك هذا بالتحسن.

ولكنها لم تعد، ربما أحبت أن تصبح أخصائية نفسية، أو دراسة إعطاء المشورة، وهي دورة أقصر، مثل "ساندرا ليفيناس"، ووافق "ألفريدو" على هذه الفكرة، حيث كان معجبًا بـ"ساندرا ليفيناس"، ويصفها بأنها "فاتنة"، ولكن أي اختيار مما سبق سيتطلب بأن تخوض امتحانات في المواد التي لا تزال مُؤجلة من المرحلة الثانوية، وحيث إنه لا يعلم أحد بأنها لم تنهِ دراستها بعد، حتى "ألفريدو" لا يعلم، ويجب ألا يعلم، سيكون من الصعب جدًّا أن تخوض تلك الامتحانات من دون إثارة الشكوك.

في الظهر، خرجت إلى الحديقة، وضعت "الشيزلونج" تحت الشمس واستلقت عليه تقرأ مجلة الديكور التي تأتي كل شهر، وبحلول الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرت الخادمة وسألتها:

- أتريد السيدة الغداء؟

فطلبت "كارمن" سلطة الخس والجرجير، وصاحت عليها أثناء دخولها للمنزل:

- اجلبيها هنا.

عادت الخادمة بالصينية بعد عشر دقائق، وعليها سلطانية سلطة متوسطة الحجم وبها الخضراوات المحددة بزيت الزيتون والخل الإيطالي، "على الطريقة التي تحبها السيدة"، كما اعتادت أن تقول، بالإضافة إلى أدوات المائدة، ومنديل من القماش، وكأس، وإبريق مياه وطبق شريحة لحم مشوي أيضًا، "في حال أرادت السيدة تناولها".

أعادت "كارمن" قطعة اللحم، وصدمتها وقاحة الخادمة بتدخلها في نظامها الغذائي، فهي ليست "جابينا"، خادمتها السابقة، فهي حتى لا تعرف كيف تطبخ، أمرتها بقسوة:

- أحضري "الروتيني" الذي تناولته في الصباح. أحضري الزجاجة كلها.

أخذت الخادمة قطعة اللحم، ثم عادت بالخمر، ولم تعلِّق بأي شيء.

بعد الغداء، نامت تحت الشمس، وحلمت، حلمًا ثقيلًا، جميلًا ودافئًا مثل الشمس التي خدرتها، تشبث بها النوم، ولم يسمح لها بالصعود للسطح، حلمًا لونه أحمر، ولكن من دون صور، ولا قصة، وأيقظتها الخادمة باتصال تليفوني:

- سيدتي، "تيريزا سكاليا" على التليفون.

وعلى الأرض بجانب "الشيزلونج"، انقلب الكوب على المجلة ولطختها بقايا الخمر، أخـذت "كارمن" التليفـون. كانـت "تيريـزا" تـدعوها لحـضور نـدوة لنظـام "فيـنج شـوي"[5] للتـصميم الداخلي خلال ساعة في مدرسة أطفالها:

- لمساعدة منزل أطفال فقراء، ألم تسمعي بهذا؟

فسألتها "كارمن" إن كان هذا لأجل مركز "لوس تيجرسيتوس":

- لا، أطفال فقراء آخرون، ليس أطفالنا.

كان مع "تيريزا" تذكرة إضافية، وتكلمها بشأنها:

- تحبين الديكور، وأخبرِك أن سعر تلك التذاكر مئة بيزو للتذكرة، ولـذلك سـيكون سـعرها جيدًا، حتى وإن كان من أجل عمل خيري.

أثناء تغيير "كارمن" لملابسها، حاولت الاتصال بـ"ألفريدو". كان في اجتماعٍ ولم يستطع الرد عليها، دائمًا ما يكون في اجتماعٍ أثناء الظهيرة ويغلق تليفونه المحمول، لم تجـد أدلـة أخـرى في كشف حساب بطاقة الائتمان، ولم تحتج لهذا، فقد بدا واضحًا أن "ألفريدو" يخونها مع امـرأة أخرى، وأنه لا يهتم إن كانت تعرف هـذا أو لا تعـرف، ربمـا أراد أن تعـرف، هكـذا اعتقـدت، ولكن ماذا كان توقعه لرد فعلها؟ لم تكن لتتجاهل فعلته تلك.

حاولت أن تصل إليه عبر التليفون، لأن دفتر شيكاتها انتهى وتحتـاج إلى أن يعطيهـا دفـتر شيكات جديدًا. لم تكن السكرتيرة موجودة أيضًا، فاعتقدت، "لا بد أنهـما في فنـدق مـا"، أثنـاء وضعها لمساحيق التجميل أمام المرآة.

وفي تمام الساعة الثالثة مساءً، سمعت صوت كلاكسات سيارة "تيريزا سـكاليا" "الفـور بـاي فور". خرجت "كارمن"، وأثناء ركوبها للسيارة الجيب أخبرتها "تيريزا" بحماسة:

---

(5)- (**الفينج شوي** أو **الفنغ شوي**) بالإنجليزية (Feng Shui) : هي فلسفة صينية نشأت منذ حـوالي 4000 سـنة مضت وهي فن التناغم مع الفضاء المحيط وتدفقات الطاقة من خلال البيئة والتـصالح مـع الـنفس ومـع الطبيعـة المحيطة بالإنسان وبذلك يستطيع التعايش بشكل إيجابي بدون توتر.

- "لالا" آتية أيضًا، و"ناني بيريز أييرا".

تفاجأت "كارمن" باهتمام "ناني" بهذا النوع من الأمور، فهي رياضية جدًّا وتقضي معظم اليوم في لعب التنس أو الجيم:

- لا، لم تعرف تفاصيل الموضوع، ولكنها في فترة راحة بسبب شد عضلي في ساقها، ولذلك فكرت في أن تأتي معنا.

امتلأت قاعة احتفالات مدرسة "ليكلاندز" عن آخرها، وأحصت "كارمن" ثلاثة رجال فقط من بين الحضور، بينما الباقي كان من السيدات. انتشرت روائح العطور الأجنبية المستوردة في المكان، ومنعت رائحة الهواء المنعش، فشعرت بالاستسلام مرة أخرى لخدر قيلولتها السابقة، ولكن هذا الإحساس هذه المرة لم يكن لذيذًا أو أحمر اللون.

صعد المتحدث على المسرح وسط تصفيق مدوٍ، وصفقت "كارمن" أيضًا. لم تكن له أية ملامح شرقية، ليس صينيًّا بالتأكيد. وصف نفسه بـ"رئيس فرع فينج شوي في بالو ألتو، بكاليفورنيا"، طبقًا للترجمة الفورية التي سمعتها "كارمن" بأذنها اليمنى، وتلفتت حولها فرأت نساء قليلات تضعن سماعات الأذن، لم تكن "تيريزا" من ضمن هؤلاء النسوة، وهي التي تعرف اللغة الإنجليزية معرفة سطحية، اكتسبتها من رحلتها إلى "ميامي".

قال المتحدث:

- لن أعلمكم طريقة "فينج شوي" التقليدية المُتبعة في الشرق، ولكني سأعلمكم الطريقة الغربية.

وتوقف من أجل التأثير الدرامي، تمامًا مثل العروض التليفزيونية قبل الفاصل الإعلاني، ثم قال:

- فلن أجرؤ على تحويل المنازل الرائعة التي رأيتها هنا إلى منازل بوذية الطراز.

فضحك الجمهور مستحسنًا إطرائه:

- فلنأخذ من "فينج شوي" ما هو مفيد لنا، ونترك الباقي للآخرين.

ركزت "كارمن" على كلمة "الآخرين" وتجاهلت الجملة التالية، واحتارت إن كانت كلمة الآخرين تشير إلى الصينيين، أو إلى أولئك الذين لم يحضروا لسماع هذا الخبر، أم إلى أبيها، الذي عاش وحيدًا في شقة من غرفة واحدة في "كاباليتو" بعد أن تركته أمها، وتكلف "ألفريدو" بدفع ثمنها، والآن مدفون في أرض بالمقبرة التذكارية والتي دفع "ألفريدو" أيضًا تكاليفها، وقد تشير كلمة "الآخرين" أيضًا إلى سكرتيرة زوجها، وفي هذه الحالة ستصبح "المرأة الأخرى"، أو إلى أمها، والتي لم تتحدث إليها منذ جنازة أبيها، فهي تعتبرها ميتة منذ جنازة أبيها، أمَّا السيدات اللاتي شاركن في دورات "البوراكو" التي نظمت إحداها مع "لالا" أو "تيريزا" فهن لسن بـ"الآخرين" لأنهن من ضمن الحضور، وتعرفوا عليها، فكلمة "الآخرين" لم تُعرَّف أبدًا، أو ربما أُغفل تعريفها في الترجمة.

والسطر الثاني الذي جعلها تفقد تركيزها هو:

- البيت مثل طبقة جلد البني آدم الثانية.

ارتعشت "كارمن"، اقشعر جلدها ودعكت ذراعيها، وشعرت بالسخونة والبرودة في نفس الوقت، مثل شعورها أثناء إصابتها بالحمى في طفولتها، مثل القشعريرة التي انتابتها ووبختها أمها لترتدي "سويتشيرت"، مثل اللحظات الأولى لها مع "ألفريدو"، بحثت عيناها عن الرجال الثلاثة بين الحضور، واعتقدت أنهم غير مهتمين بالموضوع، فإذا ما أردت اتخاذ حبيب من سكان الحيّ، فإن أفضل الاختيارات هي أن يكون مهندسًا معماريًّا مسؤولًا عن التحسينات في منزلك، بينما يكون الجنايني أسوأ اختيار، وفي المنتصف يوجد مدرسو التنس، ومساعدو ملاعب الجولف، والمدربون الشخصيون، ومدرس بيانو ابن صديقتك. من الأفضل تجنب الرجال المتزوجين. في "كاسكايد هايتس" كل الرجال متزوجون، ويستلزم البديل تعقيدات لن تستطع "كارمن" تحملها، وإذا ما تم اكتشاف تلك العلاقة، فإن أسوأ السيناريوهات سيتمثل في

رحيل أحد الطرفين من الحيّ، مثل خروج "آدم" و"حواء" من الجنة، هكذا اعتقدت بينما لم تعد تستمع لمتحدث "الفينج شوي". في الحقيقة لقد كان "ألفريدو" على علاقة غرامية داخل "كاسكايد"، ولكنها كانت مع امرأة في"مرحلة الانفصال"، حيث قامت هذه المرأة بتأجير بيت "أورافيتش" أثناء الصيف، وعادت إلى المدينة بحلول الخريف، وأراحت "كارمن" من الحاجة إلى الاستمرار في التظاهر بجهلها بشأن تلك العلاقة.

- العيش في منزل يعني أنك في وطنك، والشعور بالسعادة والأمان في بيئة مألوفة صممتها أنت بنفسك بدرجة كبيرة.

استوعبت "كارمن" تلك الملاحظة في صمت، فقد أنفق "ألفريدو" على تصميم البيت بنوعٍ من التردد، ولكنها هي التي صممت منزلهما، فهي التي اختارت كل قطعة أثاث واختارت كل الألوان، وبالتالي سواء ارتاحت أو لم ترتح للنتيجة الأخيرة فإن هذه مسؤوليتها وحدها، فهي لم تعد فتاة صغيرة، وقد تعلمت منذ زمن طويل أن الشكوى والبكاء لا يجلبان الراحة، أو يبعثان الموتى، أو يعيدان الرحم الذي فقدته. أنهى خبير "الفنج شوي" حديثه المعسول عن الشعور بالراحة داخليًا. كان يقصد الشعور بالراحة داخل المنزل، وليس الداخل الآخر، الذي تشعر بالوحدة فيه. شارك "ألفريدو" بالقليل جدًّا في تصميم منزلهما، اهتم فقط بغرفة المكتب والقبو، حيث كان دقيقًا في كل شيء، واختار بنفسه أجهزة ترطيب الهواء، ومقاييس الحرارة ومكان الرفوف. "ألفريدو" هو من علَّمها استنشاق رائحة الخمر، وانتظار رائحتها لتنتشر، ورفض الخمر غير الجاهز، "والآن يشتكي" هكذا فكرت.

وسمعت السيد يقول:

-القلق في أنماط النوم، ونقص التوازن، والتوتر الزوجي وحتى الأمراض يمكن أن تعود جميعها إلى أساليب "فينج شوي" السلبية.

مُعقبًا على ملاحظة أخرى تاهت الآن وسط الضباب المُخدر الناتج عن العطور الممتزجة داخل القاعة.

وفي الخامسة والنصف، رن تليفونها المحمول، ففتحت عدة نساء حقائب اليد الخاصة بهن للتأكد من أنها ليست تليفوناتهن هي التي ترن. استغرقت "كارمن" لحظة لتخلع سمَّاعة الترجمة، فتأخرت في الرد على تليفونها، فاستدارت امرأة تجلس أمامها ورمقتها بنظرة استهجان. انتهز خبير "الفينج شوي" هذه الفرصة ليخبر جمهوره بألا يشحنوا تليفوناتهم المحمولة على الكومودينو المجاور للسراير، لأن هذا ينشر السلبية في حجرة النوم.

كان "تادو" على التليفون، وهو أحد التوأمين، وكان بانتظارها لتأخذه لشراء ملابس، كما اتفقا، ولكن "كارمن" اعتذرت:

- ظهر شيء ما في آخر دقيقة، ألم تخبرك الخادمة بهذا؟

تضايق "تادو"، فقالت له:

- إن أردت الذهاب، فخذ تاكسي واذهب معها.

أغلق "تادو" التليفون بحدة، وعادت هي إلى قاعة المحاضرات، حيث كان السيد يقول شيئًا ما بالإنجليزية، الكلمة الوحيدة التي فهمتها هي "بيل كلينتون"، فوضعت "كارمن" سمَّاعات الأذن في الحال لتسمع هذا:

- أثاث المكتب البيضاوي في البيت الأبيض مُرتب بطريقة سلبية جلبت العديد من المشاكل الزوجية للرئيس الأمريكي.

اعتقدت أنه من الأفضل محاولة تفسير طريقة فرش مكتب زوجها، وعلى الرغم من ذلك، ليس بمقدورها المساعدة في تغييره.

وقف أحد الرجال الثلاثة ورحل. راقبه الخبير أثناء تركه للقاعة، بدا وكأنه سينقض عليه ليضربه، ولكنه عاد ليقول:

- قادة الإمبراطوريات الاقتصادية الغربية العظيمة يستشيرون خبراء من تايوان، وهونج كونج، وسنغافورة، لضمان نجاح صفقاتهم.

فتذكرت "كارمن" جدها، الشيوعي القادم من "جاليسيا" بشمال غربي إسبانيا، والذي هرب إلى الأرجنتين مختبئًا في سفينة. تساءلت عمَّا استفاد به جدها من أسلوب "فينج شوي" الغربي، وبالنظر حولها، لاحظت أنها لم تقابل أبدًا جيرانًا أو حتى - في معظم الحالات - آباء أي من صديقاتها المتواجدات معها، ثم إنها أيضًا لم تجلب أبيها إلى "كاسكايد هايتس"، مفضلة أن تزوره في شقته مرة كل شهر، أثناء تسليمها الإيجار له، وهناك إشاعة بأن أبا "ناني" مسجون في قضية تزوير في أمر ما، ولا يعلم أحد بالتفاصيل الدقيقة، ولكن الحقيقة الأكيدة هي أن منزلها بـ"كاسكايد" مكتوب باسم أمها، على الأقل هذا ما أسّرت لها به "مافي جيفارا".

والآن رَفعت "ناني" يدها وأكدت للجمهور أنه:

- في شركة زوجي، نظموا دورة تدريبية بكل التجهيزات مع مستشار "فينج شوي" وكانت النتيجة وضع حصيرة "تاتامي" في البلكون لتبديد الطاقة السلبية.

وسعد الخبير بهذا "التدخل المناسب والمتلألئ جدًّا".

وقالت "ناني":

- يجب أن يلقي أحدهم نظرة على منزل "جيفارا"، أليس كذلك؟

فضحكت "تيريزا" و"لالا" التي أضافت:

- لا تضيعي الفرصة، على أية حال، إن لم يجد "مارتن" عملًا سريعًا، سأكون أنا المُجبرة على إعادة ترتيب الطاقة في منزلي.

فأضافت "تيريزا" مستهزئة:

- أو تُجبرين على العمل.

فضحكت "لالا":

- موت يا حمار!

وأصرت "ناني":

- الأمر قصير المدى في حالتِك، ولكن كم عاشت عائلة "جيفارا" على نفقة "فرجينيا"؟ ربما لم يحصل "روني" فعلًا على عمل بسبب نمط "فينج شوي" السيء.

فوافقتها "تيريزا":

- لن تضر إعادة ترتيب الأثاث، ففي هذه الحياة يجب أن تجربي كل شيء.

فكرت "كارمن" أنها في هذه الحياة تود تجريب الماريجوانا، لم تجرؤ على فعل هذا من قبل والآن لا تعرف كيف تحصل عليها. ذات عصر يوم ممطر قضته في سريرها لأنها لم تستطع النهوض، رأت على التليفزيون صبيًا في برنامج حواري يشرح أنه دخّن حشيش لأنه ينتج نفس تأثير الخمر أو أكثر، ولكن دون أن يسبب دوارًا ما بعد شرب الخمر، وكانت قلقة قليلًا بشأن حالات ثمالتها، حيث شاهدها أطفالها مرتين وهي سكرى، لأن الخادمة الجديدة لم تعرف كيف تدير الموقف كما كانت "جابينا" تفعل، وفي كل مرة تمشي فيها مترنحة، تجري الخادمة الجديدة إلى أبنائها صارخة.

كانت هناك استراحة لنصف ساعة تم تقديم النبيذ والجُبن فيها، لم تشرب "كارمن" أي شيء، فالمحاضرة في مدرسة أبنائها، وخشيت من عواقب ما قد تفعله، وكان الخمر من نوع "فالمونت"، المحظور وجوده في قبو "ألفريدو": "إنه خل، أي شيء أقل من اثني عشر بيزو يُعتبر خلًا"- مُحاط بأطباق الجبن الأبيض الطري وجبن الروكفورت. تجمَّعت النساء حول الخبير وأخذن يلوحن بأياديهن يحاولن وصف بيوتهن له. انصدمت "كارمن" من أن خبير "فينج شوي" يستحق أعضاء من طبقة أعلى أكثر بكثير من المهندسين المعماريين، ليس فيما يخص المناظر، ولكنها الغرائبية المثيرة، ووزع المنظمون منشورات بفعاليات مجدولة لبقية العام: "كيفية زرع بساتين الفاكهة" في سبتمبر، "فن تذوق الخمر" في أكتوبر، "فهم نيتشه" في نوفمبر، "الحدود والأطفال" في نهاية العام، في أول أسبوع من ديسمبر، وسيحاضر فيه نفس الأخصائي النفسي الذي قدَّم البرنامج الحواري الذي رأت فيه "كارمن" الصبي مُدخن الماريجوانا،

نظرت حولها، كان الناس يتحركون جيئة وذهابًا، ممسكين بكاسات ما تزال ممتلئة تقريبًا، وتمايل السائل عنابي اللون مع إيقاع الضحك والدردشة، وتساءلت إن كان بإمكانها أن تبل شفتيها، لكنها لم تجرؤ على هذا.

بدأ الجارسونات في لَم الكاسات قبل بدء النصف الثاني من المحاضرة بخمس دقائق، وبقي بعض الخمر فيهم جميعًا تقريبًا، وقليل منهم لم يُمسوا حتى. كانت "كارمن" تجهز نفسها لانتظار دخول الجميع، ثم شرب نصف كأس في المراحيض، وكانت مصممة على ذلك، ولكن "تيريزا" سحبت ذراعها واقتادتها إلى داخل القاعة، وقالت وهي تقضم قطعة من جُبن "الجروبير" السويسري:

- إنه شيق، أليس كذلك؟

فأجابت "كارمن" التي ما يزال عقلها مُعلقًا بالكؤوس نصف الممتلئة المتروكة على الطاولة:

- شيق جدًّا.

قضى خبير "فينج شوي" بقية الندوة يحلل عينة من المنازل، وتم تقديم آراء مختلفة بخصوص صور المنازل التي تم عرضها عليهم. كُتِب على كل صورة منهم "طريقة با كوا". تكررت تلك العبارة عدة مرات أثناء الحديث، ولكن لم تعد "كارمن" تتذكر ماذا تعني، وكان الخبير يشرح أهمية الأركان المختلفة في المنزل، أثناء إظهار تدفق الهواء بمؤشر خشبي، وتحدث عن المكان المخصص للعمل أو الحرفة، وركن المعرفة، وركن الأطفال، وعندما تحدث عن المنطقة المخصصة للثروة، قالت "ناني":

- دائمًا ما اعتقدت أن المهندس المعماري الخاص بنا أبله، وما يزال يشتكي من أننا لم ندفع له للإضافات التي قام بها. لقد وضع دولابًا مُغلقًا دائمًا في ركن الثروة! أتتخيل هذا؟

فاقترحت "لالا":

- عليكِ أن تهدميه أو أن تبني "تا تا مي" في البلكون.

وقالت "تيريزا":

- لماذا لا تعطيه فرصة أولًا؟ سيكون من العار جدًّا أن تبدئي بعمل تعديلات في منزلِك الآن وقد تسلمته جميلًا جدًّا وكل شيء به مكتمل، ألم أخبرِك بأنهم سيصورون منزلنا لنشر الصور بملحق مجلة "الأمة" المعماري؟

- حقًّا؟

استخدم الخبير الكاليفورني آخر صور عرضه ليوضِّح بالتفصيل الركن الذي خصصته "فينج شوي" للأحباء والزواج، وهو في الجزء الخلفي من المنزل على اليمين، في نفس المكان الذي بنى فيه "ألفريدو" قبو خمره، شرح مدى أهمية هذا المكان وأن الطاقة فيه يجب أن تكون إيجابية، "ين ويانج"، ولكن الإيجابية تلك التي يجب أن تتدفق بلا عائق، ويتم إبطال مفعول التأثيرات السلبية بالمرايا، والبلورات، وخشب الخيرزان، وتشير جميع التقارير، إلى أنه يجب اجتناب وجود الطاقة المسدودة أو الطاقة الحيوية، حيث توجد الطاقة التي لا تتدفق في المناطق التي يصعب الدنو والتحرك فيها؛ المناطق الرطبة، أو الفوضوية، الخالية من الهواء، المتربة، المظلمة والكئيبة، مثل قبو الخمر.

كانت الساعة حوالي العاشرة عندما أوصلت "تيريزا سكاليا" "كارمن" إلى المنزل، ولم تكن سيارة "ألفريدو" موجودة. كان الوقت مبكرًا جدًّا لعودته. علمت "كارمن" أن ابنيها لن يخرجا من غرفتيهما، ولن يتركا الإنترنت، وأن الخادمة ستكون في غرفة الخدم تقرأ الإنجيل. أخبرتها "تيريزا" عندما رشحت لها تلك الفتاة منذ أشهر قليلة:

- أتعلمين، أفضل شيء بخصوص الخادمات الإنجيليات هو أنهن لا يسرقن، فدينهن يمنعهن.

ولكنها ما تزال تفضل "جابينا"، ذهبت إلى المطبخ، أخرجت كأسًا ومفتاحًا لولبيًّا واتجهت للقبو، فتحت الباب، وفي الداخل كان الجو أكثر رطوبة وبرودة من جو الليلة الخارجي، بحثت في الزجاجات، ليس كما يفعل أي شخص آخر،

مرت عيناها على "الروتيني"، ثـم توقفـت عـلى "فينكـا لا أنيتـا"، وأخرجـت الزجاجـة، تعتيـق 1995، ترددت، ثم أعادتها مكانها، وبعد ستة زجاجات أخرى اسـتقرت عـلى إحـدى زجاجـات "فيجا سيسلياس" الثلاث التي أحضرها "ألفريدو" من رحلته الأخـيرة إلى مدريـد، تلـك الرحلـة التي أراد أن يقوم بها بمفرده، حيث كان عنده صفقة مهمة جدًّا ليتمها ولم يرد أي إزعـاج. مـا يزال عليها بطاقة السعر؛ مائتان وسبعون يورو، تقريبًا نفس سعر تكلفة الليلة التي قضاها في الشيراتون، ذلك الرقم المُسجل إلى الأبد في كشف حـساب بطاقـة ائـتمان زوجهـا، الليلـة التـي قضاها مع امرأة ما، تقريبًا نفس المرأة التي اشترى معها هذه الخمرة في إسبانيا، وربما اشتراها مع امرأة أخرى. فتحت الزجاجة، كانت على وشك أن تصب بعض الخمر في الكأس، ثم فكرت في شيء أفضل. رفعت الزجاجة، وقالت:

- في نخب صحة "فينج شوي" والصينيين في كل مكان.

ثم شربت بعمق من الزجاجة، وتوقفت فقط لالتقاط نفسها.



18



خطف "إلتانو" نظرة سريعة لأعلى قبل ضرب الكرة. رأى منافسه ينتقل خلسة إلى اليسار مثل الظل. فقط عندما بدت الكرة وكأنها توقفت في الهواء للحظة واحدة، حينها فقط قام بضربها. كانت ضربة موجهة إلى الركن الأيمن من الملعب، وبالكاد لمست خط التماس، حيث لا يوجد أحد. ضربة مُحكمة، غير متكلفة، ولكنها منخفضة ومؤثرة، جعلت كل جهود خصمه لحماية خلفية الملعب وصد الكرة لا فائدة منها. احتفل "جوستافو" بتلك النقطة. دائمًا ما يصفق بنفس الطريقة، حيث يصفق بيده على مضربه. نحب جميعًا مشاهدة "إلتانو" و"جوستافو ماسوتا" يلاعبان زوجي، الأمر أشبه بمشاهدة رقصة مُصممة جيدًا. دائمًا ما يكون هناك حشدٌ يشاهد مبارياتهما، ودائمًا ما تكون هناك واحدة منا حاضرة لتنقل للأخريات آخر الأخبار. قال "جوستافو":

- لعبة جيدة "تانيتو"، عادتك ولا تشتريها.

أمَّا مديح "إلتانو" لشريكه كان أكثر تحفظًا؛ مجرد إيماءات محسوسة، يميزها فقط مَنْ يعرفه.

يلعب "إلتانو" و"جوستافو" معًا كل يوم سبت في العاشرة صباحًا. كانا زوجًا غريبًا من ناحية الجسد: فـ"إلتانو" قصير وممتلئ الجسم، بجلد شفاف تقريبًا وشعر مجعد كان أشقر يومًا ما، بينما "جوستافو" طويل، نحيف شعره أسود فاحم. عرَّفتهما "فرجينيا جيفارا" على بعضهما وفي نفس اليوم تنافسا على الفوز بمباراة تنس، وبعد أن أجهزا عمليًا على بعضهما البعض، لم يقل أي منهما مَنْ الذي فاز، وتقول الأسطورة إنهما أوقفا اللعب عمدًا في الشوط الثالث، عندما تعادلا بفوز كل منهما بخمس مباريات، وبالتالي ليس

هناك فائز واضح. حدث هذا عندما حان الدور على "جوستافو" ليضرب الـضربة الاسـتهلالية، وفاز، ظهر هذا من ارتفاع وقوة الكرة. قوتها كانت مخيفة، ولكـن لا بـد أن هنـاك سـببًا وراء موافقته في أن يكون غامضًا حول مَنْ كان اللاعب الأفضل.

ومنذ ذلك اليوم أصبحا فريقًا زوجيًا لا ينفصل. يستيقظ "إلتـانو" مبكـرًا ويحجـز الملعـب، ويأتي "جوستافو" متأخرًا، في خلال ساعة، أو عدة دقائق متأخرة. عادة ما يغير كـل لاعـب مـن يلعب معه، ولكن ليس هما؛ فقد لعبا دومًا معًا، ولم يجرؤ أحدٌ منا على طلب أحدهما للعـب معه. الأمر أشبه بدعوة أجمل امرأة في الملهى أمام زوجها الغيور. اسـتمرت صـداقتهما جيـدًا، تجاوز الاحترام المتبادل بينهما أي اختلاف ولم يكن من الواضح أن "إلتانو" أكبر من "جوستافو" بعشرة سنوات تقريبًا، سواء في الملعب أو خارجه، وقد أضاف كل منهما بطريقته الخاصـة عناصر الشراكة التي جعلتهما زوجًا يصعب هزيمته. كان "إلتانو" دقيقًـا جـدًّا، بـارد الـدم، غزير الخبرة، أسلوب لعبه خـالٍ مـن الأخطـاء، سـيقانه دؤوبـة، يعتمـد نهجـه أكـثر عـلى الاستفادة من أخطاء خصمه من اعتماده على لعبـه الخـاص، وهـي خطـة واضـحة، فهـو يلعب التنس وكأنه يلعب الشطرنج. أمَّا أسلوب "جوستافو" فهو أكـثر تهـورًا، ولكنـه أكـثر جمالًا، كان بإمكان البعض، إن كانت لديهم الجـرأة الكافيـة، أو كـانوا متأكـدين تمامًـا أن "إلتانو" لن يسمع هذا، أن يقـروا بـأن "جوسـتافو" أفـضل لاعـب في "كاسـكايد هـايتس"، فلديه بنية جسدية رياضـية، ويبـذل كـل شيء في سـبيلها وكـان قـادرًا عـلى تحويـل أكـثر النتائج صعوبة لـصالحه، وكـان مميـزًا في توجيـه الـضربات الاسـتهلالية، والجـري باتجـاه الشبكة، ثم ضرب الكرة مباشرة باتجاه قدم خصمه، وجعله غير قـادر عـلى رد الفعـل. عنـف تلك الضربات مخيـف، ومـع ذلـك، كـان يحـرص عـلى عـدم إصـابة أي مـن خـصومه بـأذى. بإمكانك القول إن ذلك الحرص المبالغ فيه مدروس، ومُحكم ومفروضٌ على رغبته الشخـصية، ومـع اسـتمرار المبـاراة، تقـل كفـاءة تحكمـه في عنفـه، وبالتـالي، إذا مـا ضرب "جوسـتافو"

الكرة وكنت قريبًا من الشبكة، فكل ما بوسعك فعله لتجنب الإصابة هو تغطية نفسك بالمضرب.

وهكذا وعقب كل مباراة، يجلسان في البلكون المطلة على ملاعب التنس، حيث يشرب الرجلان ويتبادلان الحديث مع خصومهما، ودائمًا ما يدفع "إلتانو" الحساب، على الرغم من اعتراض الخاسرين بأن "الخاسر هو مَنْ يحاسب على المشاريب"، ويعلم النادل الذي يجلب المشاريب بأنه يجب ألا يقبل أموالًا من أي أحد باستثناء "إلتانو سكاليا"، الذي أعطى أوامر بهذا، فمن الصعب عصيان أوامر "إلتانو" من دون الخوف من النتيجة. أثناء انتظارهم للمشروبات، يغيِّر "إلتانو" قميصه الغارق في عرقه بقميص جاف، وينشر الآخر على الدرابزين الخشبي، أمَّا"جوستافو" فلا يغيِّر قميصه أو ينشره، ولكنه يبقى في حالة متدهورة على كرسيه، مستمتعًا بإعيائه المنتصر. يشرب "إلتانو" مياهًا معدنية، بينما يشرب "جوستافو" عصير الليمون، ويتحدثان في العمل؛ بيع ودائع حقول النفط الأميرية لشركة "ربسول"، شراء وبيع السيارات، تبذير زوجاتهم الذي ينتقدانه، على الرغم من أن مثل هذا الانتقاد يعزز من إظهار حالتهم كمستهلكين من الطبقة الأولى، ثم يتحدثان عن بطولة للتنس تُجرى في مكانٍ ما في العالم، أو عن تصنيف اتحاد محترفي التنس، ولكن يبدو "إلتانو" أكثر انخراطًا في الحديث من شريكه، بينما يكون "جوستافو" حاضرًا بجسده فقط، حيث يبدو وكأن عقله في مكان آخر، فبين اللحظة والأخرى تتسمر عيناه فجأة، وإذا أشار أحدهم إلى هذا، فإنه يتعلل بالتعب والمجهود، ولكن الأمر ليس كذلك، حيث بدا أن هناك شيئًا ما يُقلق "جوستافو"، حيث تهاجمه الأفكار وتأخذه إلى مكانٍ مظلمٍ. في ذلك الوقت، لم يعرف أحد منا إلى أين كان يشطح بخياله، حتى نحن لم نشك في وجود خطب ما، ففي "كاسكايد" ليس من غير العادي ألا تعرف شيئًا عن جارك، الشخص الذي كان عليه من قبل وأتى للعيش هنا، أو حتى الشخص الذي هو عليه الآن، خصوصياته، خلف الأبواب المغلقة، حتى "إلتانو" لا يعرف حكاية "جوستافو"، ولا يعرف "جوستافو" حكاية "إلتانو".

عادةً ما يلحق بهم "مارتن أوفيتش" في البلكون ليشترك معهم في الحـديث. كـان "مـارتن" شريك "إلتانو" قبل وصول "جوستافو" إلى "كاسكايد هايتس"، وتقبَّـل اسـتبداله بــ"جوسـتافو" بدماثة خلق، حيث لم يكن في كلـيهما، والأمـر لـيس متعلقًـا بأسـلوب اللعـب، ولكنـه متعلـق بالحاجة إلى الفوز، يحتاج "إلتانو" و"جوستافو" إلى الفوز، ولذلك يفوزان، فهما مُبرمجـان عـلى هذا، بينما "مارتن أورفيتش"، "مُبرمجٌ على الخسارة"، كما صرخـت بـذلك في وجهـه زوجتـه في أحد الأيام، أمام بعضٍ منا، ولكن حدث هذا بعد فترة طويلة، عندما مر الوقت وبقي "مـارتن" من دون عمل، وأقنعت "لالا" نفسها بأنه لن يحصل على أية فرصة عمـل، وكـان هـذا قريـب بوقتٍ قصيرٍ من خميس شهر سبتمبر الذي لا نتحدث عنه أبدًا إلا إذا سألنا أحدٌ عنه.



19



ينحـدر أعـضاء أسرة "أورفيـتش" مـن إحـدى العـائلات المؤسـسة لـ"كاسـكايد هـايتس"، فـ"مارتن أورفيتش" هو ابن "خوليو أورفيتش" الذي لم يسأل أحدًا في أيامه عن ديـن الآخـرين عنـدما كـان الحـيّ مجـرد قطعـة أرض مُقـسمة بـين مجموعـة مـن الأصـدقاء. كـان "خوليـو أورفيتش" وحسب، ولكن مع مرور الزمن، أصبح الدين عنـصرًا آخـر يؤخـذ في الحـسبان أثنـاء فحص الاستمارات الجديدة لطلبات الالتحاق بعضوية "كاسكايد"، ولا بـد أن هـذا مـن ضـمن الأشياء القليلة التي لم أجـرؤ أبـدًا عـلى تـدوينها في دفـتر مـذكراتي الأحمـر، فـبعض جيراننـا لا يرحبون باليهود، لم أدوِّن هذا أبـدًا، ولكننـي كنـت مدركـة دائمًـا لهـذا الأمـر، والـذي جعلنـي متواطئة معهم نوعًا ما، وليس الأمر متعلقًا بتشويههم صراحةً، ولكن إذا ما أطلـق أحـد نكتـة عليهم، حتى ولو كانت قاسية تمامًا، فالكل يضحك ويصفق لهـذا المـزاح، ولقـد فـشلت لفـترة طويلة أن أرى الجانب الجاد في هذا، فأنا لست بيهودية، ولست كورية كذلك، وتكونت لـديَّ فكرة محدودة عن كيف تكون حالتك إذا ما كنـت مختلفًـا في أعـين الآخـرين، وهـو ماحـدث عندما بدأت مشاكل "خواني".

وبعد عدة سنوات كثيرة هنـا، احتـل أعـضاء عائلـة "أورفيـتش" دورًا رئيـسيًا في مجتمعنـا المغلق، فهم أولئك الأصدقاء اليهود الذين يثبتون انفتاح مجتمعنا، وعلى أية حال، فلقد تـزوج "مارتن" من "لالا مونتيس أفيلا"، وهي فتـاة عاشـت طيلـة عمرهـا في نـادي البلـدة، وتنتمـي لعائلة كاثوليكية، كاثوليكية جدًّا الحقيقة، لدرجة أن العديد مـن أصـدقائهم عنـدما اكتـشفوا زواجها من ابن عائلة "أورفيتش" قاموا بمواساة والديها بدلًا من تهنئتهما:

- "لا تقفا في طريق رغباتها، وإلا ساء الأمر أكثر من هذا".

- "إذا ما تركتماها تمضي فيما عزمت عليه، فمن المحتمل أن يتشاجرا سويًا في غضون شهرين، وسيصبح كل هذا حينها عبثًا".

- "أرسلاها للدراسة في الولايات المتحدة".

- "عاقباها بشدة".

ولكن "لالا" و"مارتن" تزوجا ولم يعلِّق أي شخص آخر بأي شيء على هذا الموضوع، على الأقل في العلن.

في مساء هذا اليوم الذي أنهيت فيه الصفقة مع عائلة "فيريري"، علمت بأن الأمر محكوم عليه بالفشل، حيث تركتهم في النادي، وبدوا سعداءً وأرادوا أن يتناولوا مشروبًا ويقضون وقتًا أطول قليلًا في "كاسكايد هايتس"، المكان الذي اختاروه ليقيموا منزلهم فيه. عُدت للمنزل، سعيدة أيضًا، وعقلي يحسب المال الذي سأتحصل عليه كعمولة، حيث بعت لهم قطعة أرض تقع على الناصية وتبلغ مساحتها نصف فدان، التي عرضتها عائلة "إسبادينيرو" للبيع عندما قرروا الطلاق، وتقع بجانب منزل عائلة "لافورجي"، وبمجرد دخولي للمنزل، رنّ التليفون، وكانت "ليلى لافورجي" على الهاتف، سيدة في الستين تقريبًا من عمرها والتي عاشت دائمًا في "كاسكايد هايتس"، "عضوة مدى الحياة" كما تحب أن تسمي نفسها (لقب رنَّان بعض الشيء، خصوصًا ونحن جميعًا نعلم بأن منزلهم وإسهاماتهم في النادي جميعها باسمها لأنه قد تم إعلان زوجها فاقدًا للأهلية ومحل شك كنصَّاب محترف):

- أخبريني، هل هم من "المهاجرين"؟

أربكني هذا المصطلح، وفي تداعٍ حر للأفكار انتقل عقلي من "المهاجرين" إلى "رعاة البقر من هنود أمريكا اللاتينية" ومن "رعاة البقر من هنود أمريكا اللاتينية" إلى "الفلاحين"، "مربي الأبقار"، "الأبقار"، "الثيران"، "المجتمع القروي الأرجنتيني"، "الجرار الزراعي"، "الخيل"...

- روس؟ "فرجينيا"، هل هم روس؟

أرجعتني كلمة "روس" إلى الواقع، فسألتها:

- أتعنين أنهم من الجالية الروسية؟

- ليس لديَّ موقف معين ضدهم، بعد كل شيء، فنحن أصدقاء جيدين لأسرة "أورفيتش"، ولكن "الكثافة" هي ما يقلقنا، حيث سيتحول هذا الوجود في غضون سنوات قليلة إلى ما يشبه "الكيبوتز اليهودي"، وهو ملاصق لمنزلنا.

- لا أعتقد هذا، لقبهم "فريري".

- يهود سفرديم، أعرف فتاة كانت يهودية، وشخصًا من "جاليسيا" كان منهم أيضًا، فهم يخدعوكِ بألقابهم وينتهي الأمر بأن يجعلوا منكِ حمقاء.

فخاطرت وقاطعتها:

- ولكن يبدو عليهم أنهم لطفاء، زوجان وابنهما الصغير.

- أجل، رأيتهم، تبدو كأحد الروس الذين وُلدوا في هذا العالم، أخبريني، هل مقاعدة النسبة المئوية سارية إلى الآن؟

منذ عدة سنوات، كانت هناك قاعدة في "كاسكايد هايتس" تحدد تمثيل أي جماعة عرقية بعشرة في المئة من إجمالي مجموع السكان، حينما كان المكان لا يزال ناديًا اجتماعيًا لقضاء العطلات الأسبوعية أكثر منه مكانًا للإقامة الدائمة. من الواضح أن "خوليو أورفيتش" نفسه كان أحد أعضاء المجلس عندما تم إقرار تلك القاعدة، ومع ذلك لم أجرؤ أبدًا أن أسأله بشأن تلك القاعدة، وبمعنى آخر، إذا ما تخطت الأعداد المثلة لجماعة معينة العشرة في المئة، فسيتم رفض الشخص التالي المنتمي لتلك الجماعة والذي يريد الالتحاق بـ"كاسكايد هايتس"، والغرض الواضح من القاعدة هو منع تحوُّل النادي إلى "مقاطعة حصرية" لجماعة سائدة، ومن الناحية العملية، كان يتم رفض المتقدمين اليهود فقط في ذلك الوقت، حيث لم تصل أو حتى تقترب نسبة السود، واليابانيين،

والصينيين من العشرة في المئة (عند تحديد الجماعات العرقية المتميزة)، ولا أعتقد أن أحـدهم قـام أحـد بـسؤال المتقـدمين إن كـانوا مـسلمين، أو بـوذيين، أو أنجليكـانيين. لم أقـم أنـا بهـذا بالتأكيد، ولكن وعند لحظة معينة في تاريخ "كاسكايد هايتس" - أيًّا كـان الـسبب - تـم إلغـاء تلك القاعدة.

أصرت "ليليتا":

- هل أنتِ "متأكدة" من أنها ألغيت؟ لماذا لم يخبرنـا أحـد بتلـك الأمـور؟ ألا توجـد لجنـة اختيار، أو شيء ما من هذا القبيـل؟ لا بـد أن يكـون هنـاك شيءٌ كهـذا، لا أعنـي لجنـة فقـط لانتقاء اليهود، فأنا أكره التمييز العنصري، إنني أتحدث عمومًا، ولكنه سيكون من الأفـضل أن نصبح قادرين على الإختيار، ولو قليلًا، مَن يأتي لينضم إلينا، فليس لدينا عقارات فـوق بعـضها البعض، حيث يتقابل الجيران فقط في الأسانسير، هنا نتشارك في أمور كثيرة، هناك اندماج أكـبر ولا أريد أن أندمج مع نـاس لا أعتـبرهم أصـدقاء، أتفهمـين؟ لم أقـل إنهـم طيبـون أو سـيئون، ولكنني لم أخترهم، وحقي أن أختار، أليس كذلك؟ فهذا حيّ حر.

انتظرت حتى أقول أي شيء، وعندما لم أقل شيئًا، استمرت:

- إنني متأكدة من أنه في النوادي الأخرى هناك نوع ما من آلية اختيار، حتى وإن أظهروا عكس ذلك، سيخبرونكِ بأنه انتقاء طبيعي، ولكنه ليس كذلك، اذهبي وراقبي الـسجلات لـتري إن كان باستطاعتكِ إيجاد اسم "إيزاك" أو "جوديث".

"إيزاك" أو "جوديث"، لدينا هنا "خوليو أورفيتش" وأحفـاده، زوجـة "بـالادين"، التـي تُدعى على ما أعتقد "سيلبربرج"، وأسرة "ليبرمان" و"فيجلمان"، ولكـن لـيس هنـاك يهـود في النوادي الأخـرى، هـذا حقيقـي، فلـديّ أصـدقاء، زمـلاء مـن وكـالات عقاريـة أخـرى، يعملون في بعض من الأحياء المجاورة التي ذكرتها "ليليتا"، ويخبروني بمـا يحـدث، فعنـدما يصل أحد إلى المكتب حاملًا لقبًا يهوديًا، فأول شيء يفعلونه هو إحباطه، وعـدم تـشجيعه عـلى الـشراء، حفاظًـا عـلى الجميـع - مـشترين وبـائعين عـلى حـد الـسواء - مـن الحـرج فيما بعد، فيمرون بهم على كنيسة الحيّ، حتى وإن لم تكن في طريقهم، ويخبرونهم بـأن

جميع أطفال الحيّ يذهبون إلى مدرسة كاثوليكية معينة أو أخرى، ويعرضون عليهم المنازل غير الملائمة لهم أو التي يكون سعرها أعلى من ميزانيتهم، وعند الضرورة يلجأون إلى استخدام عبارات من عينة:

- هذا حيّ آمن جدًّا بالتأكيد، ولكن الأغلبية العظمى للعائلات هنا كاثوليك.

ويتعقد الأمر عندما يكون العملاء أزواجًا مختلطين وتكون الزوجة هي اليهودية، ويميل الأمر إلى أن يكون غير ملاحظ حتى يحين وقت توقيع العقود، حينها ينشغل زملائي بتبديد عمولاتهم، ويقيمون الحفلات ويتباهون، ويكتشفون فقط عند إنهاء أوراق التعاقد اسم المرأة ويدركون أنهم فقدوا زبونًا كان في متناول أيديهم بالفعل، ثم يكون عليهم أن يقرروا إمَّا الإستمرار واختراع العديد من الأعذار لإلغاء عملية البيع، أو أن يخبروا عملاءهم بالحقيقة البشعة مُقدمًا، وغالبًا لا يختار أحدٌ الحقيقة، حيث يسمحون للأحداث أن تأخذ مسارها عقب النسخة الرسمية من الرفض، التي دائمًا ما تكون غامضة ولا يستطيع أحدٌ الشك في صحتها، ولكنك لا تستطيع اكتشاف تلك الحقيقة مُسبقًا بنسبة مئة في المئة، فمَنْ بإمكانه سؤال عميل محتمل:

- عفوًا، سيدي، هل زوجتك يهودية؟

أحيانًا ما تكون هناك علامات بشكل أو بآخر؛ صلبان فضية، خواتم باسكية[6]، اختيار أسماء الأطفال، عدد الأطفال، المدارس التي يخططون تسجيلهم بها، ودائمًا ما يكون هناك أُناس أصحاب حاسة سادسة تجاه تلك الأمور، مفترسون، مثل "ليلى لافورجيه".

وفي يوم توقيع العقد أوضحت لي السيدة "فيريري":

- إنه "ليتمان"، وليس "بيتمان". إنه بحرف "اللام"، من أجل "لورا".

أوضحت لي أن اسمها:

(6)- حلقات من الخشب، قطرها 4 سم.

- "لورا جوديث ليتمان".

دوَّنتُ "ليتمان" من دون أن أرفع نظري، شعرت بسخونة وجهي وأنا أتذكر التحذير بوضوح: "لا نريد أي إيزاك، ولا أي جوديث". كان الخجل هو السبب الرئيسي لشعوري بالحرج. تحدثت فاضطررت لرفع عيني إلى عينيها، قالت لي وهي تبتسم:

- إنني سعيدة حقًا بمجيئي للعيش في "كاسكايد هايتس".

وبعد عدة أشهر اتصلت بي "ليلى لافورج" مرة أخرى:

- إنهم كما أخبرتك، من الريف القديم.

فتظاهرت بعدم الفهم:

- فعلًا؟

- رأيت الصبي يلعب في حمام السباحة عاريًا، كان مختونًا.



20



نادوا عليها حتى تنزل لتناول العشاء للمرة المئة، ولكنها لم تنزل، فـ"رامونا" لا تنزل، لأن هـذا هو اسمها، ويس ذلك الاسم الذي ينادونها به؛ "رومينا". لم يـستطيعوا تغيـيره في بطاقـة هويتهـا، ولكنهم سجلوها في المدرسة باسم "رومينا أندريدي". الجميع ينادونها "رومينا"، ما عـدا "خـواني"، لأنها طلبت منه ألا يناديها به، وأخبرته أنه عند ميلادها، سـمتها أمهـا "رامونـا". هـي الآن تتـذكر وجهها بصعوبة. أطلق عليها "خواني" اسم "راما"، اسمٌ هجينٌ لن تهتم به تلك المـرأة التـي تـصر عليها لكي تناديها بـ"مامي". من الواضح أنها تحب تسمية الأشياء بغير مسمياتها، هكذا اعتقـدت "رومينا"، فأنا لست "رومينا"، و"ماريانا" ليست أمي، تعرف كل منهما الأخرى، على الرغم مـن أن "ماريانا" ترغمها على الإجابة بـ"نعم يا أمي" و"لا يا أمي"، فـلا تـسمح لهـا بـأن تجيـب ببـساطة "نعم" أو "لا"، مثل الأطفال الآخرين، أو أن تهز رأسها. استطاعت "ماريانا" أخيراً اسـتخراج إجابـة كاملة منها عن طريق صفعها على جسدها، ولكن لم يؤلمها الضرب كثيراً، ما آلمها أكثر هو التفكـير في أنهما سرقا "بدرو" منها، حيث لم يعد "بدرو" يتـذكرُ مَـنْ هـي "رامونـا"، ولا يريـدها حتـى أن تخبره بأي شيء مما تتذكره، فهذا يضايقه، حيث يقول:

- لا تكذبي عليّ أكثر من هذا يا أختي.

ثم يجري خارجًا راكلًا كرة الرجبي الخاصة به، ورغم ذلك، فهـي تحبـه أكـثر مـن أي شيء آخر في العالم، حتى وإن لم يعلم حقيقة هويته.

إذا ما واظبت "رومينا" على تسجيل يومياتها، فلن تكتب كل يوم، كانت متأكدة من هذا، حيث ستكون المذكرات اليومية مملة بشكل مميت لأن في هذا المكان تمر أيام لا يحدث فيهـا أي شيء:

"استيقظتُ، وتناولتُ إفطاري مع المرأة التي تبنتني، والتـي سـتذهب للمـشاركة في دورة تنس، وأخبرتني أنها ستأخذ معها مضربين احتياطيًا في حالة كسر تمريرتهـا القويـة لأحـد أوتـار المضرب. لديَّ امتحانان ثم فترة راحة. شعرتُ بالتعب في وقـت الاسـتراحة الثالثـة، فعـدت إلى المنزل مع أم "فاليري"، التي شاركت أيضًا في نفس البطولة مع "أمي" (التي انكسر وتر مضربها فورًا) ولكنها عادت للمنزل مبكرًا لأنها خرجت من الـدور ربـع النهـائي، شـاهدتُ التلفيزيـون، وضايقني أخي الصغير. تناولتُ عشائي بمفردي في غرفتي، ثم نمت. النهاية".

فلا يضيع أحد الوقت بالكتابة عن لا شيء، وهذا مـا لم تـرده "رومينـا"، الـلا شيء، لم تكـن متأكدة ماذا تريد، ولكنها كانت تعرف أنه ليس هذا، "دع شخص آخر يكتـب عـن الـلا شيء"، وعندما بلغت الرابعـة عـشرة، أو الخامـسة عـشرة (حيـث لم يـستطع القـاضي تحديـد تـاريخ ميلادها الفعلي)، عرفت أن القول ليس كالعيش، من الأصعب أن تحكي، فالحياة تُعاش، نقطة، فلكي تحكي، عليك أن تكون قادرًا على ترتيب الأشياء، وهـذا مـا تفتقـده، القـدرة عـلى ترتيـب أفكارها الداخلية، الأشياء التي تحدث لها، ولحـسن الحـظ أن لـديها "أنتونيـا" لتقـوم بترتيـب غرفتها، ولكنها تشعر بأن بقية حياتها فوضى، تشعر بأنها تجلس فوق قنبلـة موقوتـة، ويجـب أن تنفجر تلك القنبلة يومًا ما.

غالبًا سارت الأمور عـلى مـا يـرام الليلـة الماضـية، حيـث كانـت في حفـل بالنـادي الاجتماعي التابع للحي الذي تعـيش فيـه "ناتاليـا وولـف"، عـلى بُعـد مخـرجين عـلى الطريق من "كاسكايد هايتس". شربت بيرة، الكثير من البـيرة، تقريبًـا كـل البـيرة، وفي الرابعة صباحًا، تقيأت، وقد نال الإعياء عددًا قليلًا من الحضور، وليس هـي فقط، لكن لم يحدث شيء لـ"خواني"، لأنه عاد للمنزل مبكرًا. اتصلت بــ"كـارلوس"، سـائق سـيارة الأجرة "الموثوق به" في حيِّهم، والوحيد الذي تسمح لهـا "أمهـا" بالاتـصال بـه. كـان عـلى "كارلوس" أن يحملها إلى داخل السيارة، وتلك ليست أول مرة، حيث تجلـس "رومينـا" في المقعد الخلفي. كان الجو حارًا وتفوح منها رائحة القيء. طلبت من "كارلوس" أن يـشغِّل التكييف، ولكنه لم يحسِّن من الأمر كثيراً، لذلك خلعـت قميـصها، عـلى أي حـال "حمَّالـة

الصدر مثلها مثل المايوه البكيني". ألقت بالقميص خارج نافذة السيارة لتتخلص من الرائحة. نظرت إلى نفسها، "حمَّالة الصدر أكبر من المايوه البكيني، كما أن الفتى أمامه مباشرة، ومَنْ هذا الذي سيهتم بثديي الصغيرين على أية حال!"، شعرت بالنعاس، وعند وصولهما إلى بوابات الدخول، انتبه الحارس واتصل بوالدها، وحذره بأن يستعد:

- السيدة "أندرادي" دخلت لتوها الحيّ ومتجهة إلى منزلكم، عارية وتحت تأثير المخدرات.

عندما واجهتها "ماريانا" و"إرنستو"، قالت "رومينا":

- لم أتعاطَ المخدرات.

- قال الحارس إنكِ عدتِّ للمنزل تحت تأثيرها وعارية.

- كنت أرتدي حمَّالة الصدر، ولم أكن تحت تأثير أي شيء.

- الحارس يقول عكس هذا.

- إنه مُغفل لم يذهب إلا إلى بارٍ صغير متواضع.

صفعها "إرنستو" على وجهها، ترنحت، ولكنها لم تكن تحت تأثير أي مخدرات، شربت الكثير من البيرة فقط، لكنها لم تتعاطى مخدرات، سبق لها وأن دخنت الماريجوانا مرتين أو ثلاث مرات، ولكن آخر مرة أثرت عليها بشدة ولم تحاول تدخينها مرة أخرى. تكفي البيرة بالغرض، ولا تحتاج إلى شيء أكثر من هذا. هي تحب "الجين" أيضًا، ليس كثيرًا، ولكنها تحبه، خصوصًا النوع الذي يخبئه "إرنستو" في دولاب أطباق غرفة المعيشة، ونادرًا ما تشرب "الفودكا" في المناسبات، ولا تتناول شيئًا آخر.

نادوا عليها لتناول الغداء مرة أخرى، أخبرتها "أنتونيا" بأن تنزل لهم، حيث إن:

- مامي غاضبة.

وغضب "مامي" مشهد مُرعب.

21



ذات مرة عقب الانتقال إلى "كاسكايد هايتس"، اتبعت "كارلا" اقتراح "جوستافو" وسجلت في دورة للفنون الجميلة التي تُقام في النادي كل يوم أربعاء في الثانية مساءً. ظل "جوستافو" يضغط عليها طويلًا لتأخذ هذه الدورة. هو لم يكن مهتمًا بأن تطور زوجته أية موهبة خاصة في الفنون - حيث أشارت الدلائل إلى افتقارها للموهبة - ولكنه أمل في أن تحاول الإنسجام مع سكّان الحي، حيث اعتاد أن يقول:

- تكوين صداقات جديدة بمثابة انطلاقة لحياة اجتماعية جديدة.

حياة اجتماعية مختلفة عن الحياة التي أتوا إلى هنا ليتركوها خلفهما. أعطاه "إلتانو" معلومات بخصوص الدورة، لكن "كارلا" أرادت العودة إلى "بيونس آيرس" لتنهي تعليمها في تخصص الهندسة المعمارية، ولكن "جوستافو" لم يوافقها:

- سيتوجب عليكِ تقديم تضحية عظيمة، فدائمًا ما تجدين صعوبة في الحصول على درجة التخرج، وعندما يُولد أول طفل لنا، ستتوقفين عن الدراسة، إنني أعرفِك.

كانت تعلم أنه لا يعدها بطفل جديد، وفي الوقت نفسه، فإن إنهاء دراستها ليس بالوعد الذي تستطيع الحفاظ عليه.

وبينما تعرفت "كارلا" بالكاد على امرأتين أو ثلاث، من زوجات أصدقاء "جوستافو"، كان "جوستافو" قد اندمج بالكامل في المجتمع الجديد. كان الأمر أسهل بالنسبة له، فهو يحب الرياضة، وفي "كاسكايد هايتس" تمهِّد الرياضة الطريق للصداقة، كذلك تفعل الأطفال، ولكنهما بلا أطفال. تختلف "كارلا" عن "جوستافو" كثيراً؛ فهي خجولة، ومنطوية على نفسها، وتخاف الناس، ففي عدة مناسبات، حاول أصدقاء "جوستافو" ضمِّها إليهم عن طريق دعوتها

إلى عدة فعاليات، ولكنها كانت دائمًا ما تجد عذرًا لتبتعد. لم يكن لـديها سـوى صـديقتين مـن أيام الدراسة؛ إحداهما تعيش في "باريلوتشي"، والأخرى لا تعرف أين، لأنهما لم تتقـابلا منـذ أن تشاجر "جوستافو" بعنف مع زوجها على شيء لم تعد تتذكره. أمَّا الآخرون فهي تعرفهم فقـط لأن "جوستافو" يعرفهم. زادت عزلتها بعد إجهاض حملها الذي اسـتمر لخمـسة أشـهر فقـط، وهي أطول فترة عاشها الطفل في رحمها وهو الموضوع الذي لم يُرِد أي منهما التحدث فيه.

في يوم الأربعاء، في تمام الساعة الثانيـة مـساءً، بـدأت "كـارلا" أول دروس الرسـم. قـدمتها المُدربة "ليليانا ريتشاردز"، وهـي مـن سـكان "كاسـكايد هـايتس" أيـضًا، إلى بقيـة المجموعـة. وكأنهن يعرفن بعـضهن طيلـة حيـاتهن، عـلى الـرغم مـن أن "كـارلا" اكتـشفت فـيما بعـد أن معظمهن لا تزيد مـدة إقـامتهن في "كاسـكايد هـايتس" عـلى سـنتين أو ثـلاث. كانـت تعـرف بعضهن بالشكل، فربما قابلتهم في السوبرماركت، أو في مطعم النادي، لأنهـا لا تـذهب إلى أيـة مكان آخر بالحي، وربما تناولت الغداء مع بعض منهن. ذات ليلـة في بيـت "سـكاليا"، أعطـت "ليليانا" شرحًا مُبسطًا لـ"كارلا" عن الطرق التي يتبعونها، مؤكدة على أن في ورشتها:

- لا تشمل أعمال الرسم بشرائح الباتينـا ذات اللـون الأخـضر البرونـزي، ولا الـديكوباج أو استخدام قصاصات الورق، أو الرسم بالتفريغ، أو أية تقنية من تلك التقنيات السيئة.

فهن يرسمن "اللوحات" في ورشتها. تفاجأت "كارلا" مما سمعته، فتدخلت "كارمن إنسوا":

- أوه، بمناسبة الحديث عن اللوحات، يجب أن تأتي لرؤية "اللبـاكي" التـي اشـتريتها يـا "لي لي".

في نهاية الدرس، عرضـت إحـدى الـسيدات عليهـا أن توصـلها للبيـت، حيـث كانت "كارلا" الوحيدة التي وصلت على قدميها، فمنزلها قريـبٌ للغايـة، وأحبـت أن تتمشى تلك المسافة القصيرة، ولكن، بـدا أنـه مـن غـير اللائـق رفـض العـرض.

اعتذرت مضيفتها عن حالة السيارة، موضحة أن لديها ثلاثة أطفال وربما في أي وقت تقرر أن تجلب الرابع:

- وماذا عنكِ؟ كم طفل لديكِ؟

- لا، ليس لدينا أطفال بعد.

فجاءها الرأي:

- من الأفضل ألا تؤجلا الأمر كثيرًا، لأنكِ لا تعرفين مدى صعوبة الحمل مع تقدم العمر.

في الأربعاء التالي، بدأت "كارلا" الرسم على القماش، ومعه بدأت أخيرًا تشعر ببعض الحماس، فعيد ميلاد "جوستافو" بعد أيام قليلة وفكرت في أن تكون أول رسمة لها هدية قيّمة له. قالت المدربة إنها في المرة الأولى يجب أن تسمح بما تريد أن يتدفق إلى رسمها. استطاعت "كارلا" رسم شرائط سوداء فقط، وفي يوم الأربعاء التالي رسمت الشرائط السوداء نفسها فقط أيضًا، شرائط سوداء ذات سُمك متباين. لاحظتها زميلاتها من دون إبداء أي تعليق، وبجانبها، كانت "ماريانا أندرادي" ترسم طبيعة صامتة؛ رسمت طاولة مُزخرفة، ومُغطاة بمفرش عليه بعض التفاحات، وزجاجة، وعنب، وبرطمانًا فارغًا مائلًا على جنبه. أُعجبت "كارلا" بأن هناك امرأة ما تستطيع رسم تفاحة قريبة الشبه بالتفاحة الحقيقية.

سألت "دوريتا إيامبياس" التي ما زالت تعمل حتى تلك اللحظة على قماشتها والتي كانت غير مدركة لتقدم جيرانها:

- ماذا تنقلين اليوم يا "ماريانا"، شيئًا على طريقة "لاسكانو"؟

نظرت إليها "ماريانا" بضيق، ثم رأت "كارلا" الطبق المُلون الذي كان بحوزتها، والتي كانت ترسمه، فحصت "ليليانا" الطبق وقالت:

- هذا ليس "لاسكانو"، إنه نسخ سيئ.

شعرت "كارلا" بالخزي لأنها حكمت على تفاحة "ماريانا" بأنها رائعة، لأن حتى التفاحة الأصلية كانت قبيحة في رأي المدربة، فنادت "دوريتا" من خلف حامل القماش الخاص بها:

- "كارلا"، بما أنك لم تري رسوماتي السابقة، تعالي واخبريني رأيك في تلك الرسمة.

ذهبت إليها "كارلا" ورأت لوحة لسهلٍ ما. أعجبتها ضربات الفرشة عليها، وبين السُحب استطاعت رؤية أشكالًا على هيئة آيادٍ وأقدام بأحجام مختلفة:

- أعلم أنها غريبة، تمامًا كما تبدو الأشياء ليّ، فكل شيء سريالي، لأنني لا أشعر بالحاجة إلى النسخ، أتفهمينني؟

فهمت "كارلا" وعادت إلى شرائطها. وقفت تتأملها. تساءلت عمَّا يمثلون ولماذا خرجت تلك الشرائط منها بدلًا من الأيادي والأقدام المغلفة بالسُحب، لم تعرف حتى إن كان ما رسمته يحظى بأي قيمة جمالية. أخبرتها "ليليانا" بألا تقلق بشأن هذا حاليًا، ولكن بدأ ينتابها إحساس بأن هذا مهم وأنه يتم التعامل معها بلين لأنها مبتدئة. أثناء انشغالها بالتفكير في هذا الأمر، قالت "ماريانا":

- لو كنت مكانِك، لجربت رسم طبيعة صامتة؛ فاكهة مرصوصة بتنسيق ما، أو أي شيء من هذا القبيل، لا أعلم منزلِك، ولكنني أشك في أن هذه اللوحة ستليق مع أي شيء في غرفة معيشتِك.

واقتربت ثم أضافت بصوت خافت:

- انظري إلى "دوريتا"، السريالية تكاد تطفح على وجهها، لكنني مع ذلك لن أتهور وأعلق لوحتها حتى ولو في الحمَّام.

الأربعاء التالي كان الاجتماع الشهري الذي يشربن فيه "فتيات الرسم" الشاي سويًّا. كان الدور على "كارمن إنسوا" لتستضيفهن، كن جميعًا هناك. انتهى الدرس مبكرًا بخمس دقائق عن ميعاده الأصلي حتى يتمكن من ترك كل شيء نظيفًا ومُرتبًا. ركبت "كارلا" مع "ماريانا" ولحقت "دوريتا" بهما، التي كانت تُخضع سيارة الدفع الرباعي الخاصة بها إلى خدمة صيانة ما بعد الثلاثة

آلاف ميـل. لم يتحـدثن طـوال الطريـق، كـل مـا تتـذكره "كـارلا" هـو أن إحـداهن علقـت قائلة:

- آمل أن يكون الشاي شايًا.

لم ترد إحداهن عليها، وإنما اكتفين بتوبيخها بنظراتهن.

أوقفت "ماريانا" سيارتها خلف سيارة "ليليانا"، وركنت الأخريـات خلفهـن؛ سـت سـيارات وتسع نساء. أوقفن سيارتهن بأقرب ما يكون للرصيف، حتى لا يقطع عليهن أحد أفراد الأمـن جلستهن بسبب سد سيارة إحداهن للطريق.

كانت الترابيزة جاهزة على أكمـل وجـه، حيـث تـم وضـع مجموعـة مـن أطبـاق الـصيني المزخرفة وبدت جميلة مع مفرش الترابيزة الأبيض الكتاني. كان يوجد ساندويتشات وساليزون، وكيك الليمون والجبن "تشيز كيك"، وخلـف كـل هـذا توجـد صـينية عليهـا كـؤوس وزجاجتـا شامبانيا داخل دلوي ثلج فضيين ممتلئين بالثلج المجروش، وهو ما ألقت عليه "ماريانا" نظـرة استهجان وهي تشير إلى "كارلا" لتؤكد لها ما خمنته.

سألتهن "كارمن"، وهي تصب لنفسها كأسًا من الشامبانيا:

- ألا تفضلن شيئًا أبرد من الشاي؟

تبادلت "دوريتا" و"ليليانا" النظرات.

فقالت "ماريانا" مشيرة إلى لوحة "لباكي":

- بالمناسبة، أحببت الرسمة، متزنة جدًّا.

في نفس اللحظة، قالت "ليليانا" لـ"دوريتا":

- هل قالت تلك البقرة السخيفة "متزنة"؟ هل تصدقن هذا!

فسألت "كارمن" بقلق:

- ما رأيكِ بها يا "ليليانا"؟

فصمتت "ليليانا" للحظة ثم قالت:

- كعمل فني، إنها جيدة، جيدة.

فبدت على "كارمن" الراحة ثم قالت:

- أتعلمن أن التاجر أخبرني بأنها أغلى عشرين في المئة أكثر من السعر الذي اشتريته بها؟

فقالت "ليليانا" وهي تدخل قطعة "كانابي" إلى فمها:

- نعم، قد يكون هذا، فهناك بعض الناس الذين يحالفهم الحظ في أصغر الأمور لسبب غير مفهوم، ربما لديه موهبة إدهاش الطبقات الثرية، ألا تظنين هذا؟

فسألت "كارمن" ببعض الاهتمام:

- ولكن ألم يفز "لباكي" بالجائزة القومية للرسم لهذا العام، هذا ما أخبروني به عند شرائي للوحة.

فقالت "ليليانا":

- ألا تعتقدين أن هذا الكلام يبدو مخادعًا؟ من فضلِك ناوليني الشاي.

بدت "كارمن" مرتبكة، وكأن هناك شيئًا ما تريد أن تقوله، ولكن منعتها الشامبانيا من نطق الكلمات، فاختارت ألا تقول شيئًا وصبّت لنفسها كأسًا آخر. نهضت "كارلا" وذهبت لتلقي نظرة على اللوحة، يغلب عليها لون أكسيد الحديد (المطابق لدرجة لون فوتيهات صالون "كارمن") ومصنوعة من نسيج غير معتاد مشغول بالخيش ونقوش الأخرى. أُعجبت "كارلا" بها كثيرًا. كانت بها ثلاث أشجار، من دون أوراق، لكن لم يمسسهن الجفاف، جذورهن منغمسة في الرمل، وتتلاقى مع سنابل الذرة وقارب صغير جدًّا. داخل القارب تجلس امرأة ساكنة تمامًا، ولكنها حيَّة، امرأة ساكنة تمامًا، أمَّا على الرمال فهناك سنبلتان متفتحتان لذرة ناضجة. بدت المرأة أصعب في الرسم من

التفاحة. والآن، ومع يقينها بالكثير من الأشياء التي لن تتمكن من القيام بها، شعرت "كارلا" بحاجة مُلحة للبكاء.

فقالت أثناء رحيلها:

- شكرًا جزيلًا على الشاي، فليكن الإجتماع المقبل في بيتي. صحيح، أعجبتني اللوحة.

وأثناء تشغيل "ماريانا" للسيارة، رأت "كارلا" "كارمن" عبر النافذة وهي تصب ما تبقى من شامبانيا في الكؤوس الأخرى في كأسها ثم تشرب.

قالت "دوريتا":

- حالتها تسوء.

أطلقت "ماريانا" تنهيدة، ثم أضافت "دوريتا":

- أتعلمان أنها باعت كل المجوهرات التي أعطاها لها "ألفريدو" لتشتري تلك اللوحة؟

فقالت "ماريانا":

- لا، حقًا؟ بماذا كانت تفكر؟

- لا أعلم، سمعت أن "ألفريدو" كاد يقتلها.

– وهو ما لا يفاجئني.

شعرت "كارلا" بالجرأة، فقالت:

- أعجبتني اللوحة.

فقالت إحداهما:

- لا أعرف، لا أعرف شيئًا بخصوص اللوحات، ولكنني أعلم بخصوص المجوهرات، هل أخبرتكِ بأنني أبيع المجوهرات في منزلي؟ عليكن أن تأتين وتلقين نظرة.

لم تحضر "كارمن" الدرس التالي، فسألت "ليليانا" إن كانت إحداهن تعلم أين هي، لكن، لم تجبها إحداهن، واكتفين بتبادل النظرات، بما فيهن "كارلا"

حتى تشاركهن فقط. قررت "ليليانا" أن لوحتها القماش قد اكتملت، وفي المرة التالية جاءت بسيارتها، لكي تأخذ لوحتها معها المنزل. كانت تشعر بالتوتر، وكأنها تعاني من قلقٍ لم تفهم مصدره. لم يكن "جوستافو" قد عاد للمنزل بعد، أخذت اللوحة إلى غرفة الخزين ووجدت كرسيًا استخدمته كمسند للوحة، تأملتها. كان عيد ميلاد "جوستافو" بعد يومين ولم تكن "كارلا" متأكدة من أن تلك اللوحة ستعجبه، وهي لا تريد أن تغضب "جوستافو" أبدًا. حاولت أن تضيف شيئًا أو شيئين وفكرت في إضافة لمسة من الألوان، ولكنها لم تقتنع بشيء. بكت، وعادت إلى منزلها وبحثت عن رقم تليفون "ليليانا" في دفتر ملاحظاتها، وسألتها إن كان بمقدورهما أن يتقابلا في الصباح التالي:

- حسنًا، تعالِ إلى المنزل في التاسعة صباحًا، عقب توصيل الأطفال للمدرسة.

- ليس لديَّ أطفال.

- أوه، حقًا؟

قادت "كارلا" سيارتها حتى منزل "ليليانا"، رنّت الجرس واستقبلتها خادمة "ريتشاردز"، حيث أخذتها لغرفة المعيشة وقدمت لها القهوة، وظهرت "ليليانا" بعد دقائق قليلة:

- اقترب عيد ميلاد زوجي، ولا أريد أن أعطيه نفس الهدايا المعتادة، ملابس لا يرتديها، كتب لن يقرأها، في هذا العام أريد أن أعطيه لوحة، إحدى لوحاتِك.

بدت "ليليانا" متفاجئة، ففي حياتها كلها، لم يشتر أحد لوحاتها، ولا حتى أقاربها.

- كان هو من شجعني لحضور هذه الورشة، واعتقدت أنها طريقة ملائمة لشكره على هذا، ولكنني لا أعلم إن كنت سأقدر على دفع ما تستحقه اللوحة.

أومأت "ليليانا" بنظرة متفهمة أخفت غرورها بها:

- دعيني أعرض عليكِ أعمالي، ثم نرى ما الذي ستتمكنين من دفع ثمنه.

قادت "كارلا" إلى غرفة خارجية، مبنية من الزجاج، صوبة قديمة تحولت إلى ورشة "ليليانا"، ستائر ثقيلة حمت اللوحات من الشمس، ومنعت نمو تلك النباتات القليلة التي تبقت، عرضت عليها حوالي عشرين لوحة، معظمها مرسوم منذ عدة سنوات، يوجد على بعضهن توقيع تم تغييره بوضوح، لفت أحد تلك التغيرات نظر "كارلا" وسبقتها "ليليانا" في الرد على السؤال الذي لم تكن لتجرؤ أبدًا على طرحه:

- قبل زواجي كان اسمي "ليليانا سيكاري"، والآن أنا "ليليانا ريتشاردز"، غيرت توقيع "ل.س" إلى "ل.ر"، حيث يبدو "ريتشاردز" اسم أفضل للفنان، ألا تعتقدين هذا؟

كان هناك حامل مستند على الحائط الخلفي يحمل لوحة قماشية نصف مكتملة، اقتربت "كارلا" منها، ورفعت القماشة التي تغطيها، ووجدت نفسها تنظر إلى لوحة مرسومة بأكسيد الحديد، بها رمال، وقارب طويل ضيق، بداخله ثلاث نساء، وبعض سنابل الذرة الخارجة من القارب تجاه السماء مرسومة بأكسيد الحديد أيضًا، وشجرتان، صغيرتان، ولكن بجذور طويلة مغروسة في الرمال المرسومة بأكسيد الحديد، وقطع من الخيش، هنا وهناك، متلاصقة بفعل ألوان الزيت، لوحة جديدة، عليها توقيع "ل.ر."، من دون تغييرات، فقالت "كارلا":

- تعجبني هذه.

غطتها "ليليانا" بسرعة بالقماش مرة أخرى، وقالت:

- تلك اللوحة لم تكتمل بعد.

كانت "كارلا" تكذب، فهي لم تكن تنوي شراءها، لأنها إن فعلت هذا لصار الأمر كشراء الفستان نفسه أو المايوه الذي اشترته "كارمن"، ولكن من محل ملابس مُستعملة، ولم تكن أبدًا لتفعل هذا، تفحصت اللوح الأخرى مرة ثانية واختارت لوحة لمنظر جامد غير أصلية، ولكن دقيقة. اكتشفت وجود لوحات "ليليانا" للمناظر الجامدة، ولوحة "ماريانا"، ولوحة "لوسكانو"، والأطباق التي نسختها "ماريانا"، وبالتأكيد هناك المزيد مما لا تعلم عنه شيئًا، عدد لا نهائي من النُسخ على أيدي نساء لم تعرفهن أيضًا، وعلاوة على ذلك، كانت

متأكدة من أن "جوستافو" سيوافقهن بأن المناظر الجامدة تبدو جيدة عند تعليقها على أية حائط:

- لا أعلم، إن كانت لأجل "جوستافو"، فلنقل ثلاثمئة دولار وحسب، هل هذا معقول؟

دفعت "كارلا"، ووضعت اللوحة القماشية في السيارة ورحلت.

في المنزل، حملت "كارلا" اللوحة إلى غرفة الخزين، أزالت لوحتها من على الكرسي ووضعت لوحة "ليليانا" بدلًا منها، أخذت الفرشاة وغيرت بعناية شديدة وبقليل من الحبر الأسود التوقيع من "**ل.ر.**" إلى "**ك.ل.**" إشارة إلى "كارلا لاماس"، ولكنها شعرت بانقباضة فغيرته مرة أخرى إلى "ك.م." إشارة إلى "كارلا ماسوتا"، حيث لم ترد أن يتسبب اسمها قبل الزواج في نشوب نزاع مع "جوستافو"، كانت فخورة بالتغيير، فقد تم التغيير بإتقان، فهي مُتقنة دائمًا.

وفي ليلة عيد ميلاد "جوستافو"، جهزت العشاء له في غرفة السفرة التي يستخدمانها فقط لاستضافة الناس عندما يصر "جوستافو" على هذا ولا تملك "كارلا" أي خيار إلا استقبال ضيوفه، تناولا العشاء على ضوء الشمعدانات، والموسيقى واللوحة مُعلقة على الحائط.

قال:

- أعجبتني!

وقبّلها:

- وكيف حال الورشة؟

- هاك الدليل.

- أقصد زميلاتك، كيف هن؟ هل هناك صديقات محتملات؟

- نعم، أعتقد أنني انسجمت معهن.

رفع "جوستافو" كأسه ليشرب في نخبها، فرفعت كأسها، وشربا في نخب عيد ميلاد "جوستافو"، ونخب الصداقة.

22



في الثامن من ديسمبر من كل عام - عيد الحبل بلا دنـس - تتـزين كـل منـازل "كاسـكايد هايتس" استعدادًا لعيد الميلاد، حيث تُلَف أفرع الأضواء حول الأشجار، والتعريشات وبوَّابـات المنازل الأمامية، ومن خلال النوافذ ذات الستائر المفتوحة ترى أشجار الكريـسماس وأضـواءها اللامعة. يُفضِّلُ الناسَ أنواعًا مختلفة من أشجار الصنوبر، جميعها كبيرة الحجم. لن تجـدَ أبـدًا لمبات مختلفة الألوان، فهم يستخدمون إمَّا لمبات حمراء، أو صفراء، أو فضية، أو زرقاء. بعـض الناس يفـضلون الـشرائط الحمـراء، أو التفاحـات. بيـنما تـضع إدارة الحـيّ مهـد طفـل وسـط الأشجار مُحاطًا بتماثيل قريبة من الحجم الطبيعي. وفي كل عام يضحِّي الجنـايني، أو مـساعد لاعبي الجولف أو أحد العمَّال بالغداء مع عائلته مقابل بقشيش يجمعه الجـيران لـكي يرتـدي زي "بابا نويل" ويقود شـاحنة الـصيانة ويلـف بهـا عـلى المنـازل ليقـدِّم الهـدايا الموجـودة في صندوق الشاحنة. الحقيقة، الثلج هو ما ينقص هذا المشهد.

ذلك العام لم تختلف الزينة عن المعتاد على الرغم من أنه كان آخر كريـسماس في القـرن. السبب هو أنه عندما يعتاد الفرد على عمل مجهود كبير، فعمل مجهود زائد قليلًا عن المعتاد غالبًا ما يكون أمرًا مستحيلًا.

إحساس أن هذه آخر سـنة في القـرن لم يكـن مرتبطًـا بالأشـجار والإحتفـالات، وإنما في الإحساس الذي غمر الأحاديث في "كاسكايد"، حيث كان الكـلام كلـه عـن كل أنواع كـوارث الحوسـبة. قـام أحـدهم بنـسخ وجمـع كـل بطاقاتـه، وأكـواده، وتفاصيل حسابه البنكي، بينما قام آخـر بـسحب كـل شيء مـن البنـك وحفظـه في

منزله قبل حلول العام الجديد، خشية إعلامه بأن حسابه البنكي فارغٌ بحلـول الأول مـن ينـاير عام 2000.

في صباح الكريسماس، تأكدت "تيريزا" كعادتها كـل عـام مـن أن إدارة الحـيّ قـد سـلّمت الألعاب النارية التي سيطلقونها عقـب منتـصف الليـل عنـد الحفـرة التاسـعة، حيـث يتـبرع "إلتانو" كل عام بكميات من الألعاب النارية من أجل إمتاع أصـدقائه في "كاسـكايد هـايتس". هو لا يقوم هذا لأنه يحب الألعـاب الناريـة، ولا لأنـه يحـب الـشعور الممتـع الـذي يـصاحب إطلاقها، ولكن سعيه للكمال جعله خبيراً في إطلاقها. في إحدى الـسنوات جاءتـه فكـرة تقـديم تلك الهدية لأصدقائه في "كاسكايد" ل يملأ سماء ليلة الكريسماس بالألعاب النارية، ومنذ ذلك الحين، أخذ يزيد من قيمة الهدية كل عام. أخذ يبحث عن أفضل الأنواع ليشتريها، وإجـراءات الأمان التي يجب اتباعها، الأماكن التي ترى فيها أفضل عروض الألعاب النارية في العالم، وكـان يُفضِّل العروض المُقامة في "سـيدني" و"طوكيـو". حـاول تقليـدهما، فاسـتخدم أفـضل الألعـاب الناريـة المُتاحـة في "الأرجنتـين"، وذات مـرة اسـتورد بعـضًا منهـا مـن "ميـامي" واضـطر إلى استرجاعها من الجمارك بدفع رشوة لموظف مـن معـارف "فرنانـدز لوينجـو" لأن "النـاس عـلى استعداد لفتح زجاجات الخمر، وما زلنا من دون تصريح المرور بعد!".

عادت "تيريزا" للمنزل. تم تجهيز الخيمة من اليوم السابق. دائمًا ما تنصب عائلة "سكاليا" خيمة ضخمة للحفلات التي يحضرها أكثر من ثلاثين شخصًا. قرروا هذا منذ حفل تقـديم ابنتهم الصغرى للمجتمـع، والـذي لم تتوقـف الأمطـار فيـه عـن الهطـول، وانتهـى اليـوم بانتشار الوحل على أرضية منزلهم الخشبية وعـلى الـسجاد الفـرو بالـدور العلـوي. قـاموا بتأجير أوانٍ فخارية، وترابيزات وكراسي بيـضاء اللـون، وتتوسـط كـل ترابيـزة فـازة مليئـة بالياسمين، وأرضية من الخشب الـصناعي، لحمايـة العـشب. كـما تـم التعاقـد مـع شركـة لتقديم الأطعمـة اعتـادت "تيريـزا" التعامـل معهـا في أعيـاد مـيلاد وحفـلات سـابقة، أمَّـا الخادمة فتم إخبارها أن لها حرية الانصراف بعد الخامسة مساءً. ودت "تيريزا" لـو تقـوم الخادمة بتنظيف حمَّامهـا الخـاص قبـل أن ترحـل، فهـي لم تجـد الفرصـة المناسـبة التـي ستتمكن فيها مـن الاسـتحمام، وهـو مـا لـن تفعلـه قبـل لـف الهـدايا، ولكـن مزاجهـا لا

يسمح لها بسماع شكوى الخادمة من مدى ازدحام الأتوبيسات أيام الإجازات، وكيف أنها لم تتمكن من العودة لمنزلها الكريسماس الماضي حتى قام الجميع بشرب نخب منتصف الليل. ستحضر شركة تقديم الأطعمة طاقم خدمها الخاص، وستعود الأواني الفخارية متسخة. في الحقيقة، وبعيدًا عن الحمَّام الذي لن يراه أحدٌ سواها، لم يكن هناك الكثير لتقلق بشأنه حتى تلك اللحظة.

صعدت الخادمة إلى الطابق العلوي، غيَّرت ملابسها واستعدت للرحيل، بينما "تيريزا" في غرفتها تلف الهدايا:

- سيدتي، أتريدين مني أي شيء آخر؟

- قبل أن تخرجي من الحي، اذهبي إلى منزل "باولا ليموري" وأخبري "صوفيا" أن تعود للمنزل بحلول الساعة السابعة على أقصى حد، لتغير ملابسها.

- حاضر سيدتي، وكريسماس سعيد.

- شكرًا لكِ "مارتا"، لا تنسِ أخذ التفويض الذي تركته لكِ على الترابيزة، وإلا لن يسمح لكِ الأمن بأخذ خبز "البان دولتسي".

بمجرد انتهائها من لف كل شيء، اتصلت "تيريزا" بسرعة بإدارة الحيّ لتطلب منهم المجيء وأخذ طرود الهدايا، بلغت "صوفيا" السابعة لتوها ولا تزال تؤمن بـ"بابا نويل". قال "ماتياس" البالغ من العمر خمسة عشر عامًا أنها تفعل ذلك لأنها لا تريد أن تتوقف عن تسلم كل تلك الهدايا، ولكن "تيريزا" أكدت له أن هذا ليس السبب، حيث كانت ساذجة تمامًا مثلها عندما كانت في سنها وربما أكبر، والآن رنّ الجرس، وكان الطارق "لويسيتو"، الفتى الذي يرش ملاعب التنس، حيث حان دوره ليقوم بدور بابا نويل لهذا العام، لم يكن متحمسًا جدًّا، ولكن زوجته أصرت على أن يقوم بهذا، فهما يحتاجان للمال، فإذا لم يلحقا شُرب نخب العام الجديد في منتصف الليل، سيشربانه في أي وقت آخر. طلبت منه "تيريزا" أن يصعد ويساعدها في إنزال بيت "باربي" من أجل "صوفيا"، فاستأذنها "لويسيتو" في ترك حذائه المغطى بالطين الأحمر أسفل

السلم. كانت قد اشترت لوحًا للتزلج على الرمال لـ"ماتياس"، ولكنه لم يكن ضروريًا أن يعطيه "بابا نويل" له شخصيًا، على أية حال، سيقتلها "ماتياس" لو أنها فعلت هذا، بسبب مزاجه السيئ هذه الأيام.

حضر الضيوف تمام الساعة التاسعة، ما عدا "إلتانو"، الذي جاء متأخرًا بعشرين دقيقة، لأنه ظلّ في نادي الجولف يتأكد من أن الألعاب النارية قد وُضعت متباعدة بشكل مناسب وجاهزة للانطلاق عند منتصف الليل. لم يقوما بدعوة أيٍّ من أفراد عائلتيهما باستثناء والد "إلتانو" وزوجته الجديدة، وشقيق "تيريزا" وزوجته وأبنائهما، أمَّا بقية الحضور فكانوا من سكَّان "كاسكايد هايتس"، الذين مثلهم تمامًا كانوا يفضِّلون قضاء "الكريسماس" مع أصدقائهم من الجيران؛ "جوستافو ماسوتا" وزوجته، عائلة "إنسوا" وقليل من الآخرين. تمت دعوة عائلة "جيفارا" ولكنهم أرادوا قضاء الليلة مع والدي "روني"، بينما تحتفل عائلة "أورفيتش" بعيد الميلاد مع الفرع الكاثوليكي لعائلتهم. دار الجارسونات بصواني فواتح الشهية، ولحم الخنزير المُدخن والشامبانيا، وعلى كل ترابيزة، قائمة صغيرة تشرح كل طبقٍ بالتفصيل، فالطبق الاستهلالي: "فيتيل تون"- طبق لحم بارد تقليدي، والطبق الرئيسي: بط بالبرتقال، والحلو: آيس كريم بصلصة التوت، والختام: تشكيلة من الفواكه المُجففة، والمعلبات والخبز الحلو "بان دولتسي".

تم تقديم الطبق الأول بالفعل عندما لاحظت "تيريزا" أن "ماتياس" لم ينزل بعد. نظرت إلى شباك غرفة نومه، ووجدت أن النور مُضاء، فطلبت من "صوفيا" أن تناديه، فهبَّتْ "صوفيا" لتنفذ مهمتها. وجدت باب أخيها مُغلقًا فدقّت عليه بقبضتها:

- تقول لك أمي أن تنزل الآن!

لم تتلق إجابة، فدقّت مرة أخرى:

- تخبرك أمي بأن تنزل أو...

فتح "ماتياس" الباب:

- قفي عن هذا، هل أنتِ مجنونة؟

- ما هذه الرائحة؟

- أية رائحة؟

سألها وهو يفتح شبَّاك غرفته، ثم خرج وهو يدفعها أمامه:

- هيا يا فتاة، تحركي.

من حين لآخر، يعلو صوت صاروخ فوق صوت ثرثرة حفل العشاء، فسأل "إلتانو":

- ألم يلحظ هؤلاء الناس أن الألعاب النارية من المفترض أن تبدأ منتصف الليل؟

فأجابه "ألفريدو إنسوا" وهو يحدِّق في زوجته التي كانت تتحدث مع "كارلا" مُمسكة بزجاجة خمر وتضحك على شيء ما:

- هناك أنواعٌ كثيرة من الأشياء البسيطة التي لا يفهمها الناس يا "تانيتو"، لا تُقلق نفسك بشأنها.

في الحادية عشرة والنصف، رنّ "لويسيتو" الجرس، فجفلت "تيريزا" ونظرت من خلف شجرة الأكاسيا فرأت البدلة الحمراء، فبدأت في الصياح:

- "سانتا" هنا! تعالوا جميعًا!

جرت "صوفيا" خلف أمها، ولكنَّ الأطفال الآخرين أتوا على مضض. جميعهم أكبر من "صوفيا". كان "ماتياس" أول مَنْ اقترب، فصفع "لويسيتو" على ظهره وقال:

- إذًا، صديقي القديم؟

فعبست "تيريزا" له:

- اذهب الآن "ماتي"، تريد "صوفيا" رؤية "سانتا".

فتنحى "ماتياس" جانبًا، وأصبحت "صوفيا" الواقفة على بُعد خطوات قليلة وجهًا لوجه مع "بابا نويل" الذي استعد لها. ظلت واقفة أمامه تتفحصه. شعر "لويسيتو" بالضيق، ربما كان عليه أن يفعل كما أخبرته الإدارة ويصيح قائلًا: "هوه هوه هوه"،

ولكنه كان يكفيه شعوره بالسخافة وهو يرتدي ذلك الزي الأحمر، ولن يضيف أي مؤثرات صوتية تزيد من سخافته. نظر إلى الطفلة الصغيرة التي ظلت تحدِّق فيه فعرف أنه فشل في مهمته، وعلى الرغم من هذا، استمر في القيام بدوره، فأنزل هدية "صوفيا" من على الشاحنة وحملها إلى المنزل، وتحت تصميمها بإشراك "صوفيا" بالمشهد، ظلت "تيريزا" تطرح أسئلة بصوت عالٍ جدًّا:

- هل أتيت من مكان بعيد يا "سانتا"؟ هل أنت مُتعَب؟

لم يشعر "لويسيتو" بالرغبة في الإستمرار في التمثيلية، فلم يقل شيئًا. في الوقت نفسه، كان "ماتياس" يتظاهر بأنه ذاهب ليلقي نظرة على الهدايا التي ما زالت في الشاحنة. عادت بنات وأبناء أخت "تيريزا" إلى الترابيزة، وبدأ أبناء عائلة "إنسوا" بركل الكرة التي كانت منسية أسفل شجرة الأكاسيا. نظر "لويسيتو" إلى "صوفيا" مرة أخرى وشعر بالحاجة للاعتذار، ولكنها كانت منشغلة جدًّا ببيت "باربي" لتعيره أي اهتمام.

أثناء عودة "لويسيتو" للشاحنة، سألت "تيريزا" "صوفيا":

- ألن تعطي قبلة لـ"سانتا"؟

فتركت "صوفيا" هديتها للحظة وأتت إليه، انتظرته حتى يعدل من قبعته ولحيته ثم قبّلته، وعندما رحل "لويسيتو"، أسّرت "صوفيا" لـ"ماتياس":

- رائحة "بابا نويل" تشبه رائحة غرفتك.

فأجابها أخوها بدهشة:

- حقًا؟

- ما هذه الرائحة؟

- انسيها يا سخيفة، ليس هذا من شأنك.

- أهي رائحة الألعاب النارية؟

- ليس هذا من شأنك.

شرب الجميع نخب العام الجديد عند منتصف الليل، الجميع ما عدا "إلتانو"، حيث ترك المكان مبكرًا عشرة دقائق ليكون في مكان إطلاق الألعاب النارية قبل إطلاقها، فهو المسؤول عن سير كل شيء على ما يرام. بعد منتصف الليل بخمس دقائق، تحرَّك الجمع إلى نادي الجولف، وتمشت "تيريزا" والطفلان، حتى يعودوا مع "إلتانو" في السيارة الجيب "اللاند روفر". في طريقهم رأوا ألوان الألعاب النارية الأولى منطلقة في السماء، وهو ما يعني أن "تيريزا" فاتتها مرة أخرى الكلمة التي يلقيها زوجها كل عام، وعند وصولهم إلى ملعب الجولف، خرج الجميع لتحيتهم. إلى حدٍ ما، كانت أسرة "سكاليا" هم المضيفين، لأنهم دفعوا ثمن الألعاب النارية. جلسوا مع الآخرين ليشاهدوا العرض، واختارت "تيريزا" الصف الأول بجوار "إلتانو" وأبيه. اختفى "ماتياس" فجأة. اتجه إلى شجرة "الكينا" البعيدة عن الجميع، والقريبة من الطريق؛ مكان يتأكد فيه من أنه بمفرده تمامًا كما كان في غرفته، فلا أحد يختار شجرة مورقة ليجلس تحتها ويشاهد عرض الألعاب النارية في السماء. وضع يده في جيبه وبحث عن السيجارة الملفوفة. رقد على الأعشاب وأغلق عينيه. ومن بين أوراق الشجرة، استطاع رؤية السماء المليئة بالأضواء التي يتغير لونها وشكلها مع كل فرقعة جديدة. صفَّق الجميع. في البداية ظهرت زهرة زرقاء سيطرت على السماء كلها تقريبًا، ثم تبعتها ثلاث زهرات وردية اللون، أصغر حجمًا، لكنهم أكثر أناقة، ثم كان ما يشبه شلالًا مائيًّا ذهبيًّا لا متناهيَ، وتقريبًا لم يتذكر أحد ما الذي ظهر بعد ذلك.

بدّل "لويسيتو" الزي الأحمر بملابسه وكان في طريقه للمنزل عندما جذبت الأضواء الملونة عينيه، وتوقف للحظة ليشاهدها. على أية حال هو لن يستطيع اللحاق بأبنائه قبل أن يذهبوا للنوم. كاد أن يتعثر بـ"ماتياس"، الذي كان جالسًا تحت شجرة "الكينا". ظلا للحظة على تلك الوضعية، أحدهما واقفًا والآخر مستلقًا على الأرض.

عرض "ماتياس" عليه السيجارة وسأله:

- أتريد نفسًا؟

لم يقل "لويسيتو" شيئًا، ولكنه قبل السيجارة المشتعلة وأخذ نفسًا عميقًا منها.

23



أنهى رضّ الصناديق الممتلئة بالأوراق في صندوق سيارته "اللاند روفر". يستطيع الآن أن يدعوها سيارته بكل ثقة، فعندما كان أصدقاؤه بـ"كاسكايد هايتس" يهنئونه قائلين:

- سيارتك "اللاند روفر" جميلة بالفعل يا "تانو".

لم يصحح لهم، لكن شعوره بأنها ليست ملكه كان يسيطر عليه طوال الوقت، فهو يمتلك سيارة "تيريزا"، لكن ليست "اللاند روفر".

والآن أصبحت ملكه أخيراً، احتفظ "إلتانو" بالسيارة كجزء من صفقة فسخ التعاقد مع "تروست"، شركة التأمين الهولندية التي ظل يعمل بها منذ عام 1991 حتى ذلك اليوم، وفي نهاية صيف عام 2000، وحتى خمس دقائق مضت تقريبًا، عندما أفرغ أدراج مكتبه الذي لم يعُد مكتبه بعد الآن، قرر مالكو الشركة من المساهمين الهولنديين الذين اعتاد مقابلتهم مرة أو مرتين في العام، أن يقللوا استثماراتهم في الأرجنتين مقابل زيادتها في البرازيل، حيث رأوا فرصًا أكثر للربح على المدى القصير والمتوسط. لم تتم استشارة "إلتانو" أو حتى إبلاغه بالقرار، على الرغم من أنه المدير العام للشركة، حيث اكتشف أن القرار صدر وتم إرساله - ليس له - للمحامي الذي سيتولى إجراءات إقالته. قام ثلاثة هولنديين يتحدثون بالنيابة عن أغلبية المساهمين بشرح الملابسات له عبر مكالمة تليفونية مُجمَّعة "Conference Call"، وأخبروه بأنهم ينوون ترك مكتب إداري فقط في الأرجنتين بفريق عمل متوسط ومنخفض الكفاءة، بينما ستتم إدارة العمل كله من "ساو باولو". قد أبلى "إلتانو" بلاءً حسنًا، فقد كان دائمًا عند حُسن ظنهم وحُسن ظن المساهمين الذين يمثلونهم وشكروه على خدمته

وإخلاصه، ولكنهم لا يملكون وظيفة له، فكل شيء في الهيكل الوظيفي الجديد سيكون أدنى من قدراته، واستخدموا كلمات مثل "فائق المهارة"، و"تخفيض العمالة"، و"يستحق تحديات أكثر"، تحدثوا بلغة إنجليزية ذات لكنة هولندية يفهمها "إلتانو" تمامًا، وكان من السهل فهمها، لأنها كلمات شائعة الاستخدام، لم يتحدث "إلتانو" كثيرًا، وعندما لم يكن لديهم المزيد ليقولونه له، قال:

- أعتقد أن هذا هو القرار الصحيح، كنت سأتخذه أنا أيضًا.

وبدأ في نفس اليوم يرتب إجراءات رحيله مع المحامين الذين كانوا بانتظار مكالمته.

لم يكن هناك حفل وداع، حيث لم يرد "إلتانو" هذا، وعلى أية حال، فسوف يظل مرتبطًا بالشركة كمستشار خارجي لمدة شهرين، فبإمكانه استخدام التليفون، والحصول على بطاقات جديدة مطبوعة مكتوب عليها "مستشار" أو"رئيس الموظفين" أو شيئًا من هذا القبيل، بدلًا من "المدير العام"، وبإمكانه أيضًا أمر سكرتيرته السابقة القيام ببعض الوظائف الصغيرة والعمل بدوام جزئي في أحد مكاتب الشركة، ليس في مكتبه القديم، ولكن في مكتب آخر، أصغر ولكنه مقبول تمامًا، حتى يتفادوا إرباك الموظفين الباقين في المكتب بشأن إبعاده من منصبه، أو هكذا قالوا له. على أية حال، ومن هذا المنطلق، يستطيع تدبير إعادة دخوله السوق مرة أخرى، وكان هذا جزءًا من التسوية المُتفق عليها، حيث قال المحامي:

- من السهل الحصول على وظيفة إن كانت لديك وظيفة أخرى بالفعل.

حيث اعتاد الارتياب في المتقدمين للعمل في الشركة الذين لا يعملون بالفعل في مكانٍ آخر، فيظل يحاول تخمين الأسباب الحقيقية لاستقالتهم أو إقالتهم والتي تكمن خلف النسخة الرسمية التي يقولونها عند سؤالهم عن السبب. اعتاد أبوه الذي كان من المهاجرين وامتلك مصنعًا كبيرًا لاستخراج المعادن، أن يقول:

- إن لم يستطع الناس الحصول على عمل فهذا لأنهم لا يريدون هذا أو أنهم يفتقرون القدرة على القيام به.

كان "إلتانو" قادرًا، ودرس جيدًا، وأحب عمله، فهو مهندس كفاءة إنتاجية، وبكى أبوه أمامه للمرة الأولى والوحيدة عندما تسلم شهادة حصوله على الدبلومة، وهذه هي المرة الأولى في حياة "إلتانو" التي يترك فيها وظيفة من دون وجود وظيفة أخرى ينتقل إليها، وهي المرة الأولى أيضًا التي شعر فيها بالرغبة في البكاء، لكنه لم يفعل.

انطلق ب"اللاند روفر" خارجًا من الجاراج إلى الطريق، تمامًا كما اعتاد أن يفعل خلال الثمانية أعوام الأخيرة، وعند وصوله لحاجز الخروج، لوّح له الحارس:

- مساء الخير سيد "سكاليا".

كانت نفس التحية الودودة كما هو الحال دائمًا، ومع ذلك شعر "إلتانو" بأنها مختلفة، ربما كانت الطريقة التي نظر بها إليه، أو نغمة الصوت، ربما فقط طريقة مختلفة للتنفس، لم يعلم، ولكنه لم يعرف أن هناك شيئًا قد تغير، ولِمَ لا يحدث هذا؟ فلدى الحارس الآن شيء لا يمتلكه هو، وكلاهما يعرف كنهه.

قاد السيارة، كما يفعل كل ليلة، باتجاه "لوجونيز"، "جينيرال باز"، ثم إلى الطريق السريع. هناك فقط شعر بأن الهواء بدأ يتغير، جرب كل محطات موجة "إف إم"، ولكنه لم يجد أي موسيقى، فانتقل إلى موجة "إيه إم": "أعرب الرئيس عن بالغ قلقه بشأن الفيضانات في "سانتياجو ديل إسترو" و"كاتاماركا".

حرّك "إلتانو" أصابعه بقلق على بكرة المؤشر وضبطه على ملاحظات المحلل السياسي على الانتخابات الوشيكة لاختيار رئيس الوزراء في مدينة "بيونس آيرس"، وتذكر أن عليه التصويت خلال أيام قليلة، فعلى الرغم من أنه يعيش في "كاسكايد" منذ عدة سنوات الآن، إلا أنه لم يغير أبدًا عنوانه في القوائم الإنتخابية، فلا يزال يصوت في "كاباليتو"، كما فعل طيلة حياته. استمع إلى كلمات وزير الاقتصاد السابق المترشح لرئاسة الوزراء. اعتقد "إلتانو" أنه سيصوت له، فرأس المال الأجنبي يثق في هذا الرجل، كما اعتقد، وهذا جيد له، لأنه ربما ستعود شركته - شركته السابقة منذ عصر ذلك اليوم - إلى المنافسة

من جديد، وإن لم تعد تلك الشركة، فربما تعود شركة أخرى، فالأمر المهم هو إبقاء ثقة العالم الخارجي في هذا البلد، والحفاظ على الاستثمار. كان متأكدًا من أنه لن يستغرق وقتًا طويلًا في البحث عن وظيفة أخرى، الأمور ليست سهلة، ولكنه لديه اتصالات كثيرة، وشهادة ماجستير من الخارج، وسيرة ذاتية ممتازة، ولا يزال في الحادية والأربعين، فلم يَشِخْ بعد. ضغط على زر الراديو فجاءه صوت المحلل السياسي مرة أخرى مستضيفًا هذه المرة مرشح تشير جميع استطلاعات الرأي إلى خسارته المؤكدة. بدأ "إلتانو" يفكر في هذا الرجل؛ شخص متأكد من خسارته، ولكنه يبدي عكس ذلك، تصوَّره مع زوجته وأبنائه، إن كان لديه زوجة وأبناء، تخيَّله يحاول النوم ولا يستطيع، فكر فيه أثناء ذهابه للتصويت، أثناء حديثه عن برنامج ما لا يجد مرشحًا واعدًا بدرجة كبيرة، متظاهرًا بأنه غير مدرك لحقيقة خسارته.

لن يخبر "تيريزا" بشيء بعد، فليس هناك حاجة لذلك، فهو سيستمر في الذهاب للشركة على أية حال، يستطيع الانتظار قليلًا، ثم ربما سيخبرها بأنه قد تسلم عرضًا رائعًا للعمل، أو حتى وظيفة جديدة، فـ"تيريزا" تقلق من أقل شيء، كما يعتقد. كما أن مكافأة نهاية الخدمة التي حصل عليها ستسمح لهم بالحفاظ على أسلوب الحياة التي يعيشونها الآن، من دون المساس بمدخراتهم. لن يكون من الجيد أن يكتشف الأبناء ما حدث أيضًا، كما أن "تيريزا" لا تعرف كيفية الحفاظ على هذا النوع من الأسرار. أدار البكرة مرة أخرى: "صرَّح الرئيس بأن الوضع في المناطق التي ضربها الفيضان يحظى باهتمام كبير".

أخذ يبحث عن أي موسيقى على موجة "إف إم".

مدخل "كاسكايد" الرئيسي مغلقٌ الآن. على بُعد مئة ياردة، وضع بطاقته مروره في المكان المخصص لها، فارتفع الحاجز ليسمح له بالمرور، لوَّح لحارس الأمن المتمركز عند المدخل، وبمجرد دخوله للحيّ، شعر بالراحة لأول مرة في مساء هذا اليوم، لأول مرة منذ أن سمع: "إنني آسف ولكن، البيزنيس هو البيزنيس".

كانت الأشجار ما زالت كثيفة الخضرة، على الرغم من حلول الخريف. خلال أيام قليلة، سيصطبغ هذا البستان الذي مرّ عليه بطيئًا بسيارته "اللاند روفر" باللون الأصفر. فتح نوافذ السيارة وخلع حزام الأمان، ليلقي نظره على تلك المباني الأخيرة قبل الوصول لمنزله. كان مساءً هادئًا ودافئًا. سيذهب ليجري كالعادة قبل العَشاء، ولن يقول شيئًا لـ"تيريزا"، فهذا أفضل، والآن يقود عبر الشارع الرئيسي الذي يمر بملعب الجولف، والذي بدأت أشعة الغروب تسقط عليه. بعض المراهقين كانوا بالخارج يقودون درَّاجاتهم، وخادمة تكافح مع طفلٍ صغير لا يريد أن يركب درَّاجته ثلاثية العجلات. مرّ على "كارلا ماسوتا" التي كانت خارجة من النادي. لن يُخبر "جوستافو" أيضًا بما حدث له، لن يخبر أحدًا. ربما يعطي "جوستافو" بعضًا من سيره الذاتية، فلديه علاقات مع قليل من مكاتب التوظيف، وقد يكون هذا خطأً جيدًا، لكن ليس الآن. سمح لعينيه بأن تنهلا من الخضار المنتشر حوله على جانبي الطريق، علم بأنه ليس هناك تغيير، فـ"كاسكايد" على حاله كما تركه صباح هذا اليوم، عندما انطلق ليمارس وظيفته كمدير عام لشركة "تروست إس إيه" للمرة الأخيرة.

لم يكن هناك أي سبب لإخبار أي شخص بأي شيء.



24



يتحول لون حشائش "برمودا" إلى الأصفر في الخريف، لا تجف، ولا تموت، تبقى ببساطة هامدة حتى حلول الصيف، عندها يخضرُّ لونُها مرة أخرى، وتبدأ الدورة من جديد. في الوقت نفسه هناك خياران، على الأقل لدينا خياران في "كاسكايد هايتس"؛ الأول، أن نبحث عن الألوان في مكان آخر؛ في الأوراق الحمراء والذهبية لأشجار "الليكويدامبار"، وأشجار البلوط البنية، وأوراق شجرة "الجنكة" الصفراء، وأشجار "السمَّاق القرني" نارية اللون، ولكن يجب أن نبحث جيدًا، فإذا كانت العين دائمة الانجذاب إلى الأعشاب ذات الألوان الذابلة، فهو أمر يُصيب بالقلق، والغضب، وتصيب المتأمل بالإحباط، أمَّا الاختيار الثاني، فهو زرع نجيلة "الزيوان" التي تعيش لفصل واحد فقط وتزخر بلون زائف كزيف حيويتها، تمامًا مثل التفاح أو الدجاج المجمد، ولكن منظرها رائع، فهي تشبه السجادة أكثر منها بالعشب.

لم يكن هذا عام حشائش "الزيوان" بمنزل عائلة "أورفيتش"، حيث بدأ عام 2000 وقارب على الإنتهاء، وأصبح لدينا رئيس جديد، وفي ديسمبر 1999، وأثناء خطابه الافتتاحي - أول خطاب من ضمن عدة خطابات قالت الشائعات إن ابنه هو الذي يكتبها - أكد الحاجة إلى التحكم في العجز المالي ووعد بأن هذا سيقلل من البطالة خلال الاستثمار الجديد، ولكن حل الخريف، ولم يجلب الاستثمارات أو حتى العمل، وما زال "مارتن" عاجزًا عن إيجاد وظيفة، أخبرت "لالا" "تيريزا" بهذا بعد ظهر ذات يوم وهي تكاد تبكي، عندما ذهبت الأخيرة مع عمالها لإزالة الحشائش الضارة من مشتل الأزهار.

- لم أعد أحتمل هذا على الإطلاق، إنه يظل بالمنزل طوال النهار، لم أعد أحتمل.

تفهمت "تيريزا" هـذا، ولكنهـا تعـرف أن الأمـور ستـسوء إذا مـا تحـوَّل لـون العـشب إلى الأصفر، فأخذت "لالا" على جنب بمسافة كافية لكي لا يـسمعهما أحـد العـمال الـراكعين عـلى الأرض يقطعون الأعشاب الضارة:

- افعلي ما ترينه الأفضل يا "لالا"، ولكن خلال ثلاثـة أسـابيع سـتجف أعـشاب "البرمـودا" وتفسد منظر حديقتِك.

ثم عادت للعامل:

- لا! يا إلهي! "خوسيه"، هذا ليس بعشب ضار! هذه عشبة الجليل!

دفعته "تيريزا" بعيدًا ثم مشطت أوراق النبات بأصابعها، أتت "لالا" لـترى عـشبة الجليـل معها. ابتسمت "تيريزا" لها وهمست:

- إنها معركة، تشرحين له الأمر خمسًا وعشرين مرة ولا يزال يجهله.

سارت المرأتان حول مـشتل الزهـور، بيـنما بقـي العامـل خلفهـما بعـدة خطـوات، يزيـل الأعشاب الضارة، قامت "تيريزا" بعمل بعض العمليات الحسابية:

- اسمعي، لا بد أنكِ تمتلكين تقريبًا نصف فدان من الأرض.

فصححت لها "لالا":

- حوالي ثلث فدان.

- بالضبط، وبالتالي يقع العمل في مساحة مئة وخمسين قـدمًا مربعًـا بالإضـافة إلى تكلفـة البـذور، مـع تكلفـة دولار أو دولار ونـصف الـدولار للقـدم المربـع الواحـد، مـع كـل هـذه التقليبات، كم سيكلف هذا؟

- لا أعلم، لن أتمكن من الحساب من دون آلة حاسبة.

- لا، ولا أستطيع أنا أيضًا، فأنا لست جيدة مع الأرقام، ولكننا نتحدث في متوسـط مئـة، أو مئة وخمسين دولار، لأن هذا هو المبلغ الذي دفعته "فرجينيا"، فحديقتها لها حجـم حـديقتك نفسه تقريبًا.

- هل أعادت "فرجينيا" بذر حديقتها؟

- نعم، لا بد أنها حصلت على عمولة جيدة مؤخرًا.

جلست "تيريزا" القرفصاء، وسحبت كتلة تراب من الأرض وفحصتها، وقالت وهي تعرض لها الأرض الجافة والمغبرة:

- عزيزتي، تلك المنطقة تحتاج للماء بشدة.

ذهبت "تيريزا" لتجلب الخرطوم، وانتظرتها "لالا"، حيث اعتنت "تيريزا" بحديقتها لعدة سنوات وتعلم جيدًا أين توجد أدوات ومواد الزراعة. كانت أسرة "أورفيتش" هم أول عملائها عندما أنهت دراستها للبستنة والتي استمرت ثلاثة أعوام في مشتل بـ"سان إسيدرو"، وحتى قرارها هي وقليل من النساء الأخريات بالبدء في دراسة وتكريس أنفسهن لموضوع النباتات، فقديمًا كل ما كان يمكننا إيجاده في هذه المنطقة هو رجل ما عاطل من "سانتا ماريا دو لوس تيجرسيتوس"، أو تاجر غريب يتظاهر بأنه بستاني أو حارس أراضٍ، يأتي إلى "كاسكايد"، بدرَّاجته، ساحبًا خلفه جزازة عشب كهربائية، أو أداة تشذيب، ومقص، وكلور للحفاظ على نظافة حمام السباحة طوال العام. أمَّا "تيريزا" فقدمت لسكَّان الحي شيئًا مختلفًا تمامًا، فهي تغيِّر الأزهار كل فصل، وتنسِّق الألوان، وتجعل الأشكال تتمم بعضها الآخر، وتتأكد من نمو النباتات بشكل كافٍ، وتبحث عن النباتات الميتة أو أي شيء متعفن، تضع النباتات ذات أفضل الروائح بالقرب من المنازل، وتضع النباتات التي تسقط أوراقها بعيدًا عن حمام السباحة، وتحب أن تقول لنفسها:

- تحتاجين إلى نزعة فنية لهذا النوع من العمل.

وكل هذا بسعر أعلى بقليل مما يتقاضاه قصاصو الأعشاب:

- عندما تبدو أرض الجميع رائعة، بأعشاب "الزيوان" رائعة الخضرة هذه، ستريدين قتل نفسك، أليس كذلك؟ فأنت ستقودين سيارتك عبر مساحات

خضراء، وخضراء، وخضراء، ثم صفراء، أوه! لقد وصلنا إلى أرض عائلة "أورفيتش"! لا- سيكون هذا مرعبًا.

تركت "تيريزا" الخرطوم جانبًا وحاولت فرد ورقة بردي مالت بشدة تجاه الشمس، وأفسدت تناسق الزهور، انحنت "لالا" لتساعدها.

- اسمعي يا عزيزتي، أعرف أن زوجك بلا عمل، وكل شيء محبط، ولكن الأمر أكثر من هذا، لا تسمحي لنفسك بالتدهور بفعل إحباطه.

وتركت "تيريزا" ورقة البردي ناهضة، معتدلة:

- يجب ربط هذه النبتة، وإلا لن تبقى، إنها تحاول التمرد، أعني، هذا سبب امتلاكنا للمدخرات، أليس كذلك؟ للطوارئ ومثل تلك الظروف.

وأخرجت "تيريزا" من جيبها بكرة من خيط بلون أكسيد الحديد، وربطت النبتة بمساعدة "لالا":

- خيط ليف مُعاد التصنيع، لا تجعلي أي شيء غير قابل للتحلل في حديقتِك.

ساعدتها "لالا":

- فكري بالأمر؛ فالقرون تنتهي، وسننتهي معها، ولكن البلاستيك لن ينتهي، وبالحديث عن البلاستيك، ألن تذهبي لضبط نهديكِ هذا العام؟

- أجل، ولكن ليس الآن سأنتظر قليلًا حتى يتوقف "مارتن" عن لفت انتباهي للمال، فلقد أصبح متوترًا جدًّا.

- يستطيع السليكون الانتظار، لكن الأعشاب لن تستطيع. في خلال شهرين سيحصل على عمل جديد، بينما ستصبح أعشابك عارًا.

فكَّت "تيريزا" الخرطوم من عربته الأوتوماتيكية، وركَّبت به الفوَّهة المناسبة، ليخرج ماءً معتدلًا هادئًا، ثم أشارت إلى عاملها ليفتح الصنبور، وعندما بدأت المياه في التدفق، رشّت الحواف:

- أعلم أنكِ تفكرين في سببٍ مقنع لإنفاق كل هذا المال سنويًّا، بينما تموت أعشاب "الزيوان" في نوفمبر؟ وهذا حقيقي، إنها تموت، ولكن، حسنًا، الأمر يتعلق بالأولويات، فعلينا دائمًا القيام بأفضل الاختيارات في هذه الحياة.

- إنكِ تعرفينني، سأفعلها. المسألة تتعلق فقط بموافقة "مارتن".

- ولماذا يجب أن يعرف؟

- منذ فقدانه وظيفته، وهو يستحوذ على كل شيء. لا تخبري أحدًا أرجوكِ، ولكنه يحتفظ بتسجيل لكل مصروفاتنا على الكمبيوتر وهذا يغضبني.

- لماذا لا ترسلينه لجلسات معالجة؟

- تريدين لـ"مارتن" الذهاب إلى جلسات علاج ليدفع أموالًا هناك أيضًا؟ مستحيل لن يذهب، أقسم بهذا، إنه بخيل جدًا هذه الأيام، لقد منعني حتى من تناول شاي "توينينجز"، أتصدقين هذا؟

- هناك طريقة وحيدة للتعامل مع الرجال في هذه الحالة، وهي الكذب. لا تشعري بالذنب، لأن هذا في مصلحته، ألا تعتقدين أن رؤية الأعشاب خضراء حينما ينظر من نافذته ستبهجه؟

ناولت "تيريزا" الخرطوم لـ"لالا":

- رشي هنا قليلًا، سأذهب لإحضار قليل من الحديد من سيارتي لتلك الياسمينة، تبدو ذابلة قليلًا، ألا تعتقدين هذا؟

ذهبت "تيريزا"، وظلت "لالا" تروي الأرض، وعندما أمطرت المياه الأوراق الخضراء، أقنعت "لالا" نفسها بأن الأعشاب الخضراء لن تحسّن الحالة المزاجية لزوجها بالتأكيد.

25



وصلت "رومينا" و"خواني" إلى الملعب ذات ليلة، ليسا صغيرين بعد الآن، لكنهما لا يـزالان يذهبان للملعب، حيث تقابلا أول مرة عندما كانـا صـغيرين. خلعـا حـذاء التزحلـق، وأخرجـا البيرة من حقيبة الظهر؛ زجاجتين بحجم لترين ونصف لكل منهما، أو ثلاثـة لـترات، أحيانًـا مـا تكون زجاجة بحجم لتر، أو أي ما يمكنهما الحصول عليه، شربا، وضـحكا، مـرّ الحـارس، فلوحـا له، انتظراه حتى مضى، وشربا المزيد من البيرة، وضحكا، سألته:

- هل نبدأ؟

- هيا إذن.

بحثت "رومينا" عن عصا غليظـة لتـستخدمها كقلـم رصـاص، وعـلى الرمـل رسـمت خطًـا منحنيًا.

فقال "خواني":

- حيَّة.

- لستُ بهذا الوضوح.

- مكرونة حلزونية.

فضحكت:

- لا يا أحمق.

- فرع شجرة صفصافة.

- لا.

- زنبرك.

- لا، شيء ما أهدى من ذلك.

فكر "خواني"، ونظر إليها، ظل ينظر إليها:

- هذا ليس شعرِك لأن شعرِك مفرود.

لمسه، وترك يده على شعرها:

- لقد استسلمت، ما هذا؟

- هذا ما أشعر به في معدتي، لا أعلم اسمه، ولكنه كذلك.

ثم رسمت الخط المنحني على الرمل مرة أخرى، نظرا لبعضهما، شربا قليلًا من البيرة وهم ينظران لأحدهما الآخر. اقترب "خواني" وقبَّلها. فمها به طعم البيرة. مسحت بأناملها على وجهه وقالت:

- إننا أصدقاء.

- أصدقاء.

- لا أريد أن أصبح مثلهم.

- لستِ مثلهم.

- أخاف ألا نظل أصدقاء؟

- نعم.

- والآن حان دورك.

وأعطت له العصا، رسم دائرة وبداخلها نقطتان.

- زرار.

- لا.

فصاحت متأكدة من صحة تخمينها:

- أنف خنزير!

- خطأ أيضًا.

تفحصت "رومينا" الرسم من زوايا مختلفة:

- قبس كهرباء؟

- لقد اختلط الأمر عليكِ.

فانتظرت للتفسير، فقال "خواني" مشيرًا للنقطتين:

- إنه نحن الاثنين، خلف السور.

- خلف السور أم أمامه؟

- النتيجة واحدة.

- لا، ليست واحدة، أتعلم الصورة التي يعرضونها عليك ويكون عليك أن تقول إن كنت ترى امرأة عجوزًا أم امرأة شابة؟

- نعم، إنني أرى امرأة شابة.

- سور "كاسكايد" الأمر نفسه.

ورسمت الدائرة بعصاتها:

- بإمكانك النظر إلى ما يضمه محيط الدائرة أو إلى ما يتركه خارجه، أليس كذلك؟

- لا.

- ما الذي بالداخل، وما الذي بالخارج؟

استمع "خواني" ولم يقل شيئًا.

- هل نحبس أنفسنا بالداخل، أم أننا نحبس الآخرين خارجًا حتى لا يدخلوا إلينا؟

- ما الذي تقصدينه، هل سكرتِ؟

ووكزها "خواني" بزجاجته، التي كانت فارغة تقريبًا، ضحكت "رومينا"، وشربت المزيد من البيرة.

فسألته وهي تصف شكل الملعقة بيديها في الهواء:

- إنك غبي جدًّا يا "خوانو"، ما رأيك بالملعقة، هل رأيت الملعقة؟ هل الملعقة مقعرة أم محدبة؟

ضحك "خواني" واندلقت الجعة من فمه:

- لم أفهم ذلك اللغز اللعين.

فأوضحت وأشارت إلى كف وظهر يدها:

- إنه يعتمد على الجانب الذي تنظر منه، مقعَّر.. محدَّب.

فقال "خواني":

- آه...

وضحك لأنه لم يفهم، ضحكت هي أيضًا، وأفرغت الزجاجة في فمها ثم قذفت بها جانبًا، محت الدائرة بكف يدها، ثم نهضت وذهبت للأرجوحة، تبعها "خواني" وركب الأرجوحة المجاورة لها، انقلبت أقدامهم العارية فوق رأسيهما، وكل مرة يرتفعان للقمة، ينظران لبعضهما البعض، ليريا مَنْ يتأرجح أعلى، لا يزال أعلى منها بقليل، قال "خواني":

- سأنطلق.

وقذف بنفسه مـن الأرجوحـة، سـقط عـلى الأرض ونهـض منتظـرًا سـقوطها عـلى الرمـل، تأرجحت "رومينا" مرة أخرى، وقذفت بنفسها من الأرجوحة أيضًا، سـقطت عـلى الرمـل عـلى ركبتيها بجانبه، هبطت على زجاجة البيرة الفارغة، تهشمت الزجاجة، وصرخت "رومينـا"، بـدأ الدم يتدفق ويمتزج بالرمال، لم يعرف "خواني" كيف يتصرف، ارتعب كلاهما، رفعها على كتفـه، ضغط على فخذيها بشدة وشعر بدماء "رومينا" على صدره، صرخت "رومينا" وبكت، تـشبثت برقبة "خواني"، وتدلى رأسها فوق ظهره، طار شعرها الأسود من جانب للآخر أثناء عـدوه وهـو يحملها، سعى للنجدة بأسرع ما يمكن، شعر بـدفء قميـصه وابتلالـه، ملتـصقًا بـصدره، أخـذ يجري، بدأ ينهج، وبدأ يشعر بالذعر، بطأ سرعته ولاحظ أنه لم يكن يعرف إلى أين يذهب.



26



ذهبتا في سيارتين مختلفتين. اقترحت "لالا" أن يذهبا سويًّا، لتتحدثا، لكن "كارلا" فضّلت أن تكون وحدها، كانت مستعجلة: فعليها الذهاب إلى السوبر ماركت، روتين يومي يضغط على أعصابها، لكن الثلاجة فارغة و"جوستافو" سيبدأ بالشكوى مُجددًا، لا تحب شكواه. كانت خائفة من ألا يتوقف عن الشكوى. هي تعرف جيدًا كيف يصبح عندما يعجز عن إيقاف نفسه، ففي كل مرة يعجز فيها عن إيقاف نفسه، ينتهي بهما الحال بالانتقال لمنزل آخر. كما أنها كانت ترد أن تحافظ عليه في مزاج معتدل، لأنه هناك بعض الأمور المهمة التي عليها إخباره بها، أشياء لن يحبها. احتاجت أن تخبره بأنها قررت البحث عن وظيفة، أي شيء يبقيها خارج المنزل. بدأت بالفعل في إجراء الاتصالات وإرسال الإيميلات، لكنها لم تخبره بعد. ستخبره قريبًا. من الأفضل ألا ينزعج من شيء لا يتعلق بها. هي متأكدة من أنها إذا ذهبت مع "لالا" فستضيع الكثير من الوقت. في طريقها إلى الطبيب البيطري، سمعت "كارلا" على الراديو أن نائب الرئيس قد استقال لتوه. شعرت بالحزن، فهي تحبه، لكنها تعرف أن الكثيرين في "كاسكايد هايتس" لا يحبونه، لذا لم تتحدث كثيرًا بالأمر. أحبت لثغته أثناء نطق حرف "الراء". استقال بسبب فشل التحقيق في قضية الرشوة داخل مجلس الشيوخ، أو هكذا قالت الأخبار إنه السبب وراء استقالته، فليس سهلًا معرفة سبب واحد لاستقالة شخصٍ ما.

وصلتا إلى محل الحيوانات الأليفة في الوقت نفسه تقريبًا. أتت "لالا" بصحبة ابنها الأكبر "أرييل"، ذو السبعة عشر عامًا، بدا الصبي مستاءً، ظنَّت "كارلا" أن الصبي ربما لا يحب أن تقترض أمه بطاقة ائتمان لتشتري كلب بالتقسيط. فعن نفسها، هي بالتأكيد لم تكن لتحب هذا. لكنها ظلّت بلا أم

لفترة طويلة تسمح لها بأن تغفر لأمها فعلة كهذه، فقط لو أنها تستطيع استرجاع أمها، كانت ستغفر لها هجرانها لها وتركها مع أبيها الذي نفَّس عن حزنه فيها، بسبب غياب زوجته التي تركته. الحقيقة هي أنها تزوجت من "جوستافو" عندما كانت لا تزال صغيرة جدًّا، وبالكاد تعرفه، فقط لتهرب من الرجل الذي هربت منه أمها منذ عدة سنوات.

حتى الآن لم تفهم سبب قبولها الذهاب مع "لالا" بهذه السرعة، بعد اتصال الأخيرة بها:

- لا يمكنك تخيُّل كم هو جميل! أحبته "أريانا"، وأريد أن أعطيه لها كهدية عيد ميلادها.

قالت لها هذا، قبل أن تطلب استعارة بطاقتها الائتمانية:

- أخبرت "مارتن" بأننا لن ندفع الثمن كله مرة واحدة، ولكن على ستة أقساط لن نشعر بها أبدًا، ووافقني على ذلك ولكنه أخبرني بأن هناك مشكلة ما مع بطاقة ائتمانه، والبنك وأنهم قد جمَّدوا حسابه. أخبرني بأنهم سيحلون المشكلة في أي وقت، ولكن الأيام تمر ولا يحدث شيء، هذا حال موظفي البنك. بالطبع ليسوا على عجلة من أمرهم، ولماذا يهتمون بأمرنا من الأساس؟

لم تهتم "كارلا" كذلك، لكن ها هي الآن. عندما أخبرت "جوستافو"، كاد يقتلها حرفيًا:

- إن كانت لشراء دواء أو طعام فحسن، ولكن لشراء كلب.. "كارلا"، هل قول "لا" صعبًا لهذا الحد؟

كان يعلم أن الأمر صعب عليها، لأنه كثيرًا ما سمعها تقول "لا"، و"كفى"، و"لا أستطيع الاستمرار"، لكنها كانت تستمر:

- ألا تعلمين أن "مارتن" قد أفلس؟

أخبرها "جوستافو" بهذا، ولم تكن تعلم، وكانت متأكدة من أن "لالا" أيضًا لا تعلم، فأخبرها "جوستافو":

- بالطبع هي تعرف، إنها زوجته.

حينما أجابها بهذا، لم تستطع سوى التفكير في كيف يمكن أن تكون لإجابته هذه علاقة باقتراض "لالا" لبطاقتها الائتمانية، لكنها لم تقل له أي شيء مما يدور في بالها.

أخبرها "جوستافو" بأن عائلة "يوروفيتش" لعدة شهور الآن، تدفع فقط النفقات الضرورية؛ شراء احتياجات البيت يوميًّا، الخدمات التي سيتم قطعها إذا لم يدفعوا: الكهرباء، والغاز، والتليفون. أخبرها كذلك أن "إلتانو سكاليا" ظل يدفع لهم التأمين الصحي منذ أن أصرّ على دفع فاتورة عملية استئصال الزائدة الدودية لـ"أريانا"، قال لها:

- من الأفضل والأرخص بالنسبة له دفع الأقساط شهريًّا.

أمَّا الآن، فقد مر بعض الوقت الذي لم يدفع فيه "مارتن" تكلفة الخدمات التي تقدم في "كاسكايد". لكنه يدفع مصاريف المدرسة، على الرغم من أن "إلتانو" نصحه بعدم سدادها:

- لأنهم لن يجرؤوا على طرد أبنائك في منتصف العام الدراسي، فهذا مخالف لقانون ما أصدرته وزارة التربية والتعليم، فطالما سددت مصاريف التسجيل وربما القسط الأول، فبإمكانك إرسالهم للمدرسة حتى نهاية العام من دون قلق. لن يحدث شيء. هذا ما فعله "بيريز آيبرا" ذات عام عندما أصابته ضائقة مادية، وانتهى به الحال بالتفاوض على دفع نصف المصاريف.

لكن "مارتن" رفض فعل هذا. قالت "كارلا":

- ربما خشي أن تعرف "لالا" بالأمر.

- إن كانت لم تكتشف الأمر بالفعل، فهذا فقط يرجع إلى أنها لا تريد أن تعرف به.

- احنا هنهزر! هي بالتأكيد لديها ولو فكرة صغيرة عن مصدر تلك الأموال التي تأتيهم.

- بالتأكيد هي لا تتعمد هذا، ربما هو الطيش. ما أقصده هو أن الفتيات أحيانًا يحببن التصرف وكأنهن لا يفقهن شيئًا.

قررت "كارلا" ألا تستمع له أكثر من هذا، فهي قالت "نعم" بالفعل، وفي هذه المناسبة، كان أسهل لها كثيراً أن تخرج البطاقة وتدفع من أن تخلف وعدها.

يحتل محل الحيوانات الأليفة مساحة كبيرة عند مدخل "المول". بدا وكأنه سوبر ماركت، برفوف طويلة تستطيع أن تشتري منها أي شيء بنفسك من دون مساعدة من صاحب المحل، وعلى هذه الأرفف كل شيء، بدءًا من الطعام الصحي إلى الأجراس الصغيرة، والعظام البلاستيك، وأسلاك من مواد وألوان مختلفة، وبطاطين صوفية كاروهات، ولوحات برونزية يمكن نقش اسم الحيوان عليها.

انتظرت "كارلا" و"أريبل" بينما ذهبت "لالا" مباشرة للقفص الذي يحتوي على جراء "اللابرادور" و"الجولدن ريتريفير"، ألوانهم أسود وذهبي.

قالت "لالا" بحماس مُشيرة إليهم:

- كلبي هو الذهبي، أليس حالمًا؟ ستطير "أريانا" من الفرحة!

ثم أشارت إلى "أريبل" الذي لم يعبِّر وجهه عن أي انفعال:

- فقط انظروا إلى هذا الإنسان. وجهه ليس به ذرة واحد من الإحساس، هو بالتأكيد ليس محبًا للحيوانات مثلي.

أخرج المساعد الكلب وأعطاه لها، فرفعته في حضنها وقالت أمام المساعد:

- هل تعلم ماذا قال لي؟ قال: "لماذا لا ننفق المال على رحلة تزلج من أجله، أتصدق هذا؟".

قال الصبي:

- وما المشكلة في هذا؟

ثم اتجه إلى حوض به سحلية من نوع "الإيجوانا".

قالت "كارلا":

- إنه مجرد صبي.

- نعم، ولكن الغضب يصيبك عندما يقلل أحدهم من أهمية ما تحبين. نحن لم نربِّه ليصبح هكذا.

- كنت لأقول الشيء نفسه لو كنت في عمره.

- إذًا، أنت كذلك لستِ بمحبة للحيوانات، ستتحسن أحوالكِ كثيرًا إذا ما امتلكتِ قطة صغيرة أو شيئًا ما آخر. هم يشعرونكِ بالأُلفة. لا أقول هذا بسبب مشاكل حملِك، تذكري هذا، الحيوانات تجعل الجميع يشعرون بالراحة.

ذهبت المرأتان (الكاشير)، وتبعهما "أرييل". كانت "لالا" تحمل الجرو بين ذراعيها، وكأنه طفل رضيع:

- حسنًا، يجب عليّ أن أحصل على سجله الصحي، فوالداه أصيلان، ولكن الجرو لا يملك أية أوراق، أتعلمين هذا؟

فضحكت "كارلا":

- نعم، أو لنقل، إنني لست من نوعية الشخصيات التي تدفع تسعمئة دولار لشجرة العائلة الخاصة بكلب.

فأجابتها "لالا" وهي تطلق عليها نظرة متآمرة:

- فنلدع هذا للناس الذين يملكون مالًا ليس له أوَّل من آخر، أليس كذلك؟

كان الطبيب البيطري يستعد لملء السجل الصحي وإعطاء بعض التعليمات الخاصة بالتطعيم.

حاولت "كارلا" أن تتدخل:

- هل تمانعين في أن ننهي أمر البطاقة أولًا، لأنني مستعجلة قليلًا؟

- لا، بالطبع لا أمانع، هل يمكنك أن تأخذ البطاقة لدفع ثمن الجرو بعد إذنك؟

فسألها الطبيب البيطري:

- كم عدد الأقساط التي ستودين دفع الثمن عن طريقها؟ ثلاثة؟

فأجابت "لالا":

- ستة أقساط كما اتفقنا من قبل.

عندما قارب الطبيب البيطري الانتهاء من ملء استمارة بطاقة الائتمان، قاطعته "لالا":

- لا، انتظر دقيقة، ما نوع الطعام الذي يجب أن أشتريه لهذا العزيز الصغير؟

خرج الطبيب البيطري من خلف الكاشير، واقترب من أحد الرفوف، ثم أشار إلى الطعام الخاص بنوع الكلب وحجمه، تبعته "لالا"، بينما انتظرت "كارلا" عند الكاشير:

- وما الفترة التي ستكفي استخدام هذا النوع؟

- حوالي ثلاثة أسابيع.

- حسنًا، ضع ثمن حقيبتين على البطاقة أيضًا.

وعادت لتقف بجوار "كارلا":

- لا تعرفين كمية الأكل التي تلتهمها تلك الحيوانات.

فأجابت "كالا":

- لا، لا أعلم.

وأخذت تفكر في أنه من الأفضل ألا يكتشف "جوستافو" أنه يمول أيضًا طعام الكلب، غاص "أربيل" بين الرفوف، وظهر من خلف أحواض السمك الاستوائي.

قالت "لالا" للطبيب البيطري الذي أحصى الحساب على الآلة الحاسبة:

- حسنًا، نحن مستعدون الآن.

- المجموع الكلي، خمسمئة وثمانون، هلا توقعين هنا من فضلك.

وأعطى الرجل الاستمارة لـ"لالا"، التي أعطتها لـ"كارلا". وقَّعتْ "كارلا".

ابتسمت "كارلا" وأعادت بطاقتها:

- لا أستطيع الانتظار لرؤية وجه "أريانا" عند عودتها إلى المنزل اليوم!

واستمر الطبيب البيطري في نصائحه:

- حسنًا، ممنوع الخروج لمدة أربعة وخمسين يومًا، لتجنب حمى الكلاب.

واستمعت له "لالا" باهتمام كبير.

فتدخلت "كارلا":

- يمكنني الذهاب الآن، أليس كذلك؟

- نعم، لقد وقعتِ بالفعل، أليس كذلك؟

فأماءت "كارلا".

- بإمكانِك الذهاب إذن "كارلي"، أراكِ لاحقًا.

وبينما تخرج "كارلا" من باب المحل، صاحت "لالا" من مكانها:

- وشكرًا، هاه؟

جاهدت "كارلا" لتبتسم مرة أخرى، بحثت عن "أربيل" لتلوح له بالسلام، ولكن الصبي لم يرها، حيث كان يقف، واضعًا يديه في جيوبه، عند الركن، يراقب حيوان "الهامستر" الذي يجري بلا توقف داخل ساقيته.

27



تزامن اليوم الذي ظهرت فيه "كارلا ماسوتا" في وكالة العقارات مع أسوأ أيام حياتي. كنت عائدة لتوي من صفقة بيع، وهو ما كان من المفترض أن يشعرني بالسعادة، لأنني لم أستطع إنجاز أية صفقة لمدة شهر حتى الآن، وتلك العمولة كانت ستصير حبل النجاة الذي سينتشلني مما أنا فيه الآن. كان هذا في خريف عام 2001. باع "باكو بيريز أيبرا" منزله واستأجر آخر من خلال وكالتي، لكنه يعاني من مشاكل مالية، أو بالأحرى، شركته هي التي تعاني من مشاكل مالية. كما استقال وزير الاقتصاد، والوزير الذي عينه الرئيس بدلًا منه لم يكمل خمسة عشر يومًا، حيث ألقى خطابًا، وطالب بشد الحزام أو ما يعرف بسياسة الاقتصاد، بعدها ذهب في رحلة إلى "تشيلي"، وعندما عاد، وجد نفسه مُقالًا من منصبه. حيث استبدله الرئيس بالرجل الأصلع الذي كان وزير الاقتصاد في عهد الرئيس السابق. والذي أصبح الآن زعيمًا لحزب انفصالي متمرد، وهو ما جعل انتمائه كوزير غير واضح. أتذكر قول "باكو" بأن عودة الأصلع من المحتمل أن تُحدِثَ تغييرًا، لأن من بالخارج يثقون به، وكالعادة فضَّل ألا يكون هناك أصول مُسجلة، يمكن أن تُستخدم ضده في المستقبل. ومُستشهدًا ببند "القوة القاهرة" المستخدم في العقود وفي القانون، أصرّ على أن المشتري فقط - وليس هو – من ينبغي عليه دفع عمولة بيع منزله، وهي حُجَّة لم أقبلها بالتأكيد:

- إنها الطريقة التي آكل بها عيشي يا "باكو".

فأجاب:

- هذه ليست مشكلتي.

وأخيرًا، وعلى مضض، اتفقنا أنه سيدفع نصف العمولة المُعتادة. ما أغـضبني فعـلًا لم يكـن الخسارة، ولكن حقيقة أنه أثناء عدّه للعملات النقدية وتـدوين الـرقم التسلـسلي للـدولارات أثناء تسلمها من "ناني"، وضع "باكو" كل العملات القديمة عـلى جنـب، العمـلات الأكـثر تمزقًـا واتساخًا، حتى جمع ما يكفي لتسديد عمولتي، واستخدم تلـك النقـود ليـدفعها إليّ، فـسألت "ناني":

- حسنًا، هل انتهيت من فرز النقود كلها إذن؟

- لا يمكننا السماح للنقود بأن تعكر صفو علاقاتنا، أليس كذلك؟

أجبتها أثناء وضع نقود زوجها القذرة في محفظتي:

- الموضوع انتهى يا "ناني".

أتت "كارلا" إلى المكتب، وعلى ملامحها علامات تصميم، لكن هذا ذلك لم يـنجح في إخفـاء قلقها. جلست أمامي بينما أنهي محادثة تليفونية، من دون أن تخلع نظارتها الـسوداء. كنـت أتحدث إلى "تيريزا سكاليا"، من دون أن أعلم بعد سبب اتصالها، لأنها ظلت تلف وتـدور مـن دون قول أي شيء مفيد.

- نعم، لقد أتى شخص ما حالًا، ولكن الأمر على ما يرام، أكملي.

فاقترحت "تيريزا" أن تؤجل المكالمة:

- سأكلمِك عندما تروقين قليلًا.

تململت "كارلا" في كرسيها. وضعت ساقًا فوق الأخرى، وأخذت تهز الـساق العليـا، وهـزّت الترابيزة أمامها من دون قصد، قلت لـ"تيريزا":

- إذا كنتِ تريدين هذا.

وأغلقت الخط، نظرت إلى "كارلا" وابتسمت.

قالت:

- إنني مهندسة معمارية تقريبًا.

فأجبتها من دون تفكير:

- حسنًا، هذا رائع.

لم أكن أعرف ما سبب زيارتها أو ما قالته لي للتو، ولم أردها أن تشعر بمزيد من التوتر أكثر مما كانت عليه بالفعل.

- أريد أن أعمل، أحتاج أن أخرج من المنزل، أن يكون لديَّ مشروع.

لم أقل شيئًا:

- أحتاج منِك المساعدة.

وحاولت أن تنهي كلامها قبل أن يتغير صوتها، رنّ التليفون، أجبته. كانت "تيريزا" هي المتصلة أيضًا.

- لا، ما زلت مع الـ... عميلة... ولكن أخبريني إن كان الأمر مهمًا.

ولكنها لم ترد إخباري، قالت لي إنها ستعاود الاتصال لاحقًا، عدت باعتذاري وانتباهي لـ"كارلا":

- وكيف يمكنني مساعدتِك؟

- اعتقدت أنه ربما يمكنني العمل معكِ في الوكالة.

أن تطلب مني ذلك، في العام نفسه الذي تعاني فيه مهنة السمسرة، على الرغم من وجود الصفقات القليلة من نوعية "بيريز أييرا"، جعلني أؤمن بأن "كارلا" أكثر انعزالًا عن العالم الخارجي مما تحسب هي نفسها ذلك.

- اسمعي، الأمور صعبة جدًّا، لا أعلم إن كنتِ تتابعين تطورات سوق هذا المجال.

- ليس لديَّ المزيد لأعرضه، ولهذا أنا لا أعرضُ عليكِ شيئًا، إنني أتوَّسل...

وبكت من خلف النظارة السوداء:

- إنني أتوسَّل، وهذا أمر قاسٍ، ولكن يجب أن يساعدني أحد.

لم أعرف ماذا أقول، فالحقيقة أنني لا أقدر على تحمل مسؤولية أي شخص معي في هذه المهنة.

- يمكنني العمل بلا أجر، لا يهمني متى ستدفعين لي، وكم ستدفعين أو حتى إن كنتِ ستدفعين لي على الإطلاق، يمكننا عمل أي نوع من التسوية التي تريدينها، ولكنني أحتاج إلى العمل.

خلعت "كارلا" نظارتها السوداء وأظهرت لي عينها المتورمة:

- "جوستافو"...

لم تكمل الجملة، لأن صوتها تهدَّج مرة أخرى، وقبل أن أفكر في شيء لأقوله، رنّ التليفون، ومرة أخرى، كانت "تيريزا" هي المتصلة، ومرة أخرى تحول مسار المحادثة:

- نعم، نعم، أخبريني ما الأمر يا "تيريزا"؟

في تلك المرة كذبت، وأخبرتها بأنني بمفردي، فمن الأفضل الاستماع إليها والتخلص منها مرة واحدة وللأبد بدلًا من أن يرن التليفون كل خمس دقائق.

- أعلم أنه من غير المناسب التحدث عن هذا الموضوع في التليفون، ولكنني أعاني من وجع في معدتي منذ أن اكتشفت...

- اكتشفتِ ماذا؟

ولكنها لم تسمعني.

- ... واليوم، أنا خارج "كاسكايد" طوال اليوم وغدًا، أتعلمين أنهم سيلعبون غدًا "كأس التحدي" في...

- لا يهم يا "تيريزا"، لا تقلقي، أخبريني ما الأمر.

- عديني ألا تأخذي الأمر بمحمل السوء.

- أخبريني فحسب.

- اسم "خواني" في قائمة الأطفال المعرضين للخطر.

- قائمة ماذا؟

- الأطفال المعرضون للخطر.

- لا أفهمكِ.

- إنها قائمة تعدها لجنة ما بناءً على معلومات يحصلون عليها من الرعاة.

- وإلى مَنْ يعطي هؤلاء الرعاة المعلومات؟

- إليهم، ويعطونها هم للمجلس، هكذا عرفت، لأن أحدًا ما في المجلس - وأرجوكِ لا تسأليني مَنْ هو - أخبر "إلتانو" بثقة وتوجب عليّ فقط أن أخبركِ يا "فير"، وإلا كيف سأنظر في عينكِ مرة أخرى؟

كلما زاد شرحها، قلّ فهمي، وأمامي، قامت "كارلا" بمسح أنفها بصوتٍ في منديل ورقي:

- إن كان الأمر معكوسًا، لوددت أن تخبريني.

- أخبركِ بماذا؟

- بأن أحد أبنائي في القائمة.

- "تيريزا" أيمكنكِ أن تخبريني لمرة أخيرة ما هذه القائمة، ومَنْ هؤلاء الأطفال المعرضون للخطر؟

- إدمان المخدرات يا "فير"، "خواني" على قائمة مدمني المخدرات.

شعرت بأن جسدي قد تصلّب:

- ألو، ألو.. أما زلتِ على الخط؟ أعرف أنه كان يجب عليّ الانتظار وإخبارِك شخصيًا. كلميني "فير"، لا تتركيني هكذا، بينما أنا بعيدة بأميال عن "كاسكايد"... "فير"...

أغلقت الخط، وجلست أمام "كارلا ماسوتا" صامتة، متحجرة من دون أدنى حركة، رنّ التليفون، فالتقطت السماعة ورزعتها مغلقة الخط، رنّ مرة أخرى، فتركته يرن حتى توقف، رنّ مرة ثانية، ثم نهضت "كارلا" وسحبت السلك من القبس:

- ماذا حدث؟

- ابني... في قائمة...

- أي نوع من القوائم؟

- قائمة.

انتظرتني حتى أصبحت قادرة على نطق جملة كاملة، فسمعت نفسي أقول:

- وضعت اللجنة قائمة بكل الأطفال الذين يتعاطون المخدرات.

لا أعرف لماذا أخبرتها، فهي امرأة أعرفها بالكاد، امرأة لم تكن من إحدى صديقاتي. امرأة ضربها زوجها بقسوة حتى ورمت عينها، امرأة تصادف مجيئها إلى مكتبي في اليوم الذي اتصلت بي "تيريزا" لتخبرني بأن اسم ابني في قائمة لم أعرف عنها شيئًا.

سألتني:

- وهل يتعاطى ابنكِ المخدرات؟

- لا أعلم.

- اسأليه.

- وبماذا سيجيب؟

- ألا تصدقينه؟

- إنني مرتبكة.

وصمتنا للحظة، ثم سألتني:

- وهل هذا قانوني؟

- ماذا، تعاطي المخدرات؟

- لا، عمل قوائم مثل تلك.

ونهضت لتصب لي كوبًا من الماء، ثم سألتني:

- هل تملك تلك اللجنة قائمة بالأزواج الضاربين لزوجاتهم؟

- لا أعتقد هذا.

وفي وسط دموعنا، انفجرنا بالضحك.

28



أخيرًا، انفصل زوجا عائلة "إنسوا". كانت "كارمن إنسوا" إحدى النساء القليلات اللاتي بقين في "كاسكايد هايتس" بعد الانفصال. لم يكن من السهل عليها البقاء. فأول مصادر الاضطراب التي عانت منها عقب الانفصال هو الشعور بالاغتراب في الحفلات والنزهات، حيث يأتي كل زوجٍ وزوجته. على أي حال، لم تظهر قلة راحتها حتى وقت لاحق، لأنه، عندما انتقلت إلى "كاسكايد هايتس"، عزلت "كارمن" نفسها - مثل النساء الأخريات - عن العالم الخارجي، الذي ارتبطت به فقط عن طريق ما يحكيه زوجها لها يوميًّا عند عودته من المكتب. هذا لا يعني أنها لم تذهب للمدينة نهائيًّا، بل كانت تذهب إليها كسائحة، تزور مكانًا لا تعرفه، وكأنها تختلس النظر من خلف ستار. وعندما غاب الزوج العائد للمنزل، انتهت متابعة الانتصارات والإخفاقات الآتية من ذلك المكان الآخر، كما انتهى أيضًا ذلك الوهم بأن زوجته مواطنة بهذه المنطقة. والآن أمام تلك الزوجة المهجورة خياران: إما أن تخرج مرة أخرى مطالبة بمكانها في هذا العالم المنحرف، أو أن تزهده. كنا جميعنا مؤمنين بأن "كارمن إنسوا" تميل إلى إنكار هذا العالم.

عند سماعنا بأن "ألفريدو" قد تركها، كان خوفنا الأولي بخصوص ازدياد مشكلة تناول "كارمن" للخمر سوءًا، حيث بدأنا في تبرير مشكلة شُربها وشعرنا بالحزن لأجلها، إلا أن "كارمن" توقفت تمامًا بطريقة غامضة عن الشرب. يقول الناس إن أول شيء أخذه "ألفريدو" من المنزل كانت مجموعته من الخمور، ربما ليحمي زجاجاته أكثر من حماية زوجته، وإلا لانتهى الحال بزجاجات خمره الثمينة مهشمة على الحائط.

في البداية، كان معظم سكان "كاسكايد" في صفِّها، حيث قمن بزيارتها، ودعوتها إلى منازلنا، كما حاولنا - ربما زيادة عن اللازم - أن نشركها في تسليات سخيفة، مثل حفل الملابس التنكرية بمنزل "أندرادي"، والذي انتهى بها تبكي عند الركن من خلف قناع "كليوباترا" الذي كانت ترتديه، بينما رقص بقيتنا على أغنية "الكاتشب"، أو عطلة نهاية الأسبوع الطويلة تلك عندما أصرت عائلة "بيريز أبيرا" على أخذها معهم إلى "أوروجواي" بالقارب الخاص بهم، رغم إدراكهم التام معاناتها من دوار البحر.

تركها "ألفريدو إنسوا" بعد عشرين عامًا من الزواج، معظمها موصوم بالخيانة التي تحملتها برزانة عقل بمفردها، وطفلين سيتركانها بمجرد إنهاء دراستيهما، لقد تركها من أجل سكرتيرة شريكه بالعمل، فقط ليكون مختلفًا، وقد بدأنا جميعًا بقول: "يا لك من وغد يا ألفريدو".

ولكن بعد مرور الأسابيع الأولى بدأ بعض الأزواج الذين كانوا يرونه خلال العمل في ملاحظة أنه "يوجد جانبان لكل قصة".

- ليس ممتعًا العيش مع امرأة ثملة.

- ربما تسكر لتعين نفسها على التعامل مع كل الحماقات التي يلقيها "ألفريدو" عليها.

- أي حماقات؟

وبعد فترة وجيزة عاد "ألفريدو" للظهور في "كاسكايد" يلعب الجولف أو التنس مع أحد منا، أو يحضر حفل بمنزل أحدنا لم تتم دعوة "كارمن" إليها عمدًا، وبعد شهرين أو ثلاثة من الانفصال، ظلت النساء فقط من يقلن:

- يا لك من وغد يا "ألفريدو".

بينما ظل الرجال صامتين، حتى جاء اليوم الذي لم يعد أي شخص يقول فيه شيئًا، ثم جاء اليوم الذي كان يلعب فيه الرجال الجولف، أو يتناولون مشروبًا عقب مباراة تنس، وهم يقولون:

- لم يكن لـ"ألفريدو" أي اختيار.

وبعـد فـترة وجيـزة مـن هـذا، قـدّم زوجتـه الجديـدة للمجتمـع، وهـي فتـاة في نهايـة العشرينات، جذابة، وجميلة، ولطيفة وتتمتع بـ"صـدر يخطـف الأنظـار" كـما وصـفها أحـدنا مازحًا، وقد أخذها في عطلة أسبوع إلى "أوروجـواي" عـلى القـارب نفـسه الـذي تقيـأت عليـه "كارمن" منذ عدة أشهر، ولم تتقيأ الزوجـة الجديـدة، وعقـب تلـك الرحلـة، ظهـر "ألفريـدو" وشريكته الجديدة بطريقة منتظمة في حفلات "كاسكايد"، بينما أصبحت "كـارمن" منعزلـة في منزلها، حتى أصبحنا لا نراها كثيرًا.

حدث هذا عندما بدأنا جميعًا بالحديث عن اكتئاب "كارمن": "لا أعلم، ولكن ربمـا كانـت أفـضل عنـدما كانـت مدمنـة شرب". تحجـج "ألفريـدو" باكتئابهـا وخوفـه عـلى ابنيـه، وقـام بأخذهما ليعيشا معه. بقيت "كارمن" وحدها بهذا البيت، بيت كبير كما كان دائمًا، لكنـه الآن من دون أثاث، من دون شيء في الثلاجة، من دون ثرثرة أو صخب، حيث استغنت عـن الآنيـة الفخارية، وأدوات السفرة، وبعض قطع الأثاث، وقال القليلون الذين ذهبوا لمنزلهـا إن الـشيء الوحيد المتبقي في غرفة معيشتها هو لوحة صفراء لامرأة عارية في قارب طويل. خـشي بعـضنا - إذا ما قامت "كارمن" بشيء أحمق - من أن تنبهنا رائحة العفن المنبعثة من المنزل لهذا، لأن خادماتها تركنها أيضًا. دائمًا ما يرسل "ألفريدو" - الذي أصبح الآن "ألفريـدو المـسكين" - بـديلًا كضمان لعدم تلقي أخبار غير ملائمة.

ثم ذات يوم، ظهرت "جابينا". عملت "جابينا" لديهم في سـنوات زواجهـما المبكـرة، وهـي باراجوينيـة، عريـضة، نـشيطة، وكـفء. لم تنتـوِ "كـارمن" فـصلها أبـدًا، لكـن عقـب انتقـالهم لـ"كاسكايد هايتس"، بدأ "ألفريدو" يرى منظرها مُنفرًا، وأخذ يشتكي:

- لا تلائم هذا المنزل.

رفضت "كارمن" طردها عقب سنوات عديدة من الخدمة المخلصة، لكن "ألفريدو" طالبها – أثناء استضافتهما لبعض الضيوف - أن يعيِّنوا خادمة "بمظهر جيد" للانتظار بجانب السفرة، لم يتم توضيح السبب لـ"جابينا"، ولم تحتج هي لذلك، حيث نمت العداوة بين السيد وبين الخادمة إلى مرحلة أصبحت فيها العلاقة في طريق مسدود. استقالت "جابينا" من دون أن يتم طردها، لكنها حصلت على حرية نهائية قبل رحيلها، حيث نظرت إلى "ألفريدو" وقالت:

- إنكَ غبي تافه يا سيدي، وذات يوم ستُغطى بالروث.

فمنع "ألفريدو"، "تلك الباراجوينية من الدخول إلى "الكاسكايد" إلى الأبد، والعمل في منزل أي أحد، ولا يهمني بيت مَنْ ستعمل فيه". وبالتالي كان على "جابينا" البحث عن عمل في مكان آخر، ولم يسمعوا عنها بعد ذلك، باستثناء المكالمة التليفونية التي تجريها كل عيد ميلاد للـ"سينيورا".

عندما حاولت "جابينا" العودة للمنزل، عقب أول عيد ميلاد قضته "كارمن" بمفردها هناك، استشار حارس الأمن "ألفريدو"، على الرغم من علمه من أنه ليس في المنزل، اتصل به على تليفونه المحمول، وعندما شكره "ألفريدو" على المكالمة، أجابه بأن هذا "التزام الشرفاء"، ولكن غضبه من زوجته السابقة كان أكبر من كرهه لـ"جابينا"، ولذلك أجاز عودة الباراجوينية، على أمل أن "يرفع أحدٌ ذلك الثقل عن رقبته".

أول ما فعلته "جابينا" هو فتح النوافذ، سامحة للضوء بالدخول وإغراق كل شيء بالداخل، كاشفًا اتساخ كل شيء بالداخل، والتراب، والعيوب الأخرى التي تعهدت بتصحيحها واحدًا تلو الآخر. شعرنا جميعًا بمزيد من الراحة، بعد أن اطمأننا بأن شخصًا ما سيعتني بـ"كارمن". وهكذا وبعد أن تخلصنا من شعورنا بالذنب ناحيتها، نسيناها تمامًا.

عادت "كارمن" إلى أحاديثنا في اليوم الذي بدأت الخروج فيه مرة أخرى، حيث شُوهدت تتنقل في شوارع "كاسكايد هايتس" بصحبة "جابينا"، ذهبت

إلى السوبر ماركت مع "جابينا"، صحبتها "جابينا" إلى الصيدلية، إلى الكوافير، وسعدنا جميعًا بهذا، وكل ما خطر ببالنا لنقوله عنها كان: "تبدو أفضل، المسكينة".

ولكن، في ظهيرة أحد الأيام، شوهدت "كارمن" مع "جابينا" وهما يتناولان القهوة في بار بجوار ملاعب التنس، ولم تكن "جابينا" مرتدية لزي العمل، حيث ارتدت ملابسها الخاصة، ملابس لا يرتدي مثلها أي أحد من سكان "كاسكايد"، وتمت مشاهدتهما ذات سبت يتناولان الغداء معًا في مطعم نادي الجولف، وكانتا تضحكان، وتضايق "باكو بيريز أيبرا" من قهقهة "جابينا"، واشتكى إلى الجرسون:

- هل مسموح للخدم بالأكل هنا؟

لم يجد أي أحد أي تشريع مكتوب يمنع هذا، فعزموا على مناقشة الأمر في اجتماعات مجلس الإدارة.

خلال هذا الوقت، بدأنا نسمع الناس يقولون أشياء من قبيل: "ما الذي تفعله هاتان الاثنتان معًا طيلة الوقت؟ هل ممكن أن تكونا؟..."، "أوه توقفي، لا تكوني مقززة"، كان هذا رد "تيريزا سكاليا" على المرأة التي همست بذلك في أذنيها ذات صباح عندما مرّت بهما "جابينا" و"كارمن" أثناء عدوهما. وقال "روك لاوريا" في اجتماع المجلس: "إن لم نفعل شيئًا، فسنجد أنفسنا في الجيم نشارك الساونا مع تلك الهندية".

وفي الليلة التي ذهبت فيها "كارمن" و"جابينا" لمشاهدة فيلم في السينما، اتصل "إرنستو أندرادي" أخيرًا بـ"ألفريدو"، أقسم شخص ما بأنه عندما بدأت "كارمن" بالبكاء، أمسكت "جابينا" بيدها:

- لا نريد إزعاجك، ولكن هذا لا يمكن أن يستمر يا صديقي القديم.

ثم منع "ألفريدو" دخول "جابينا" إلى "كاسكايد هايتس" مجدداً. المشكلة هذه المرة أن "كارمن" كانت بالفعل تعيش في "كاسكايد". أتى رئيس الأمن ليتحدث إلى "كارمن":

- ما القانون الذي ينص على أن تترك منزلي؟ هل لديكَ أمر قضائي، أو شيء من هذا القبيل؟

- لديَّ أمر من زوجِك.

- زوجي هو الممنوع من دخول هذا المنزل.

وأغلقت الباب.

وبدأ الجميع يقولون:

- لقد فقدت عقلها.

- لا شك أن "ألفريدو" بكل علاقاته سيتمكن من ترتيب حكم قضائي، أو إنذار قضائي أو شيء ما، يا له من مسكين.

بدأ "ألفريدو" يتصرف، وأول ما فعله كان قطع الأموال عن "كارمن" والتوقف عن سداد فواتيرها. لم يخبر ابنيه، لأنهما كانا في رحلة إلى الولايات المتحدة في ذلك الوقت، و: "خبر كهذا سيضايقهما بشدة".

سيخبرهما عندما تتم تسوية الأمر، وطلب من رئيس مجلس الإدارة أن يذهب ليتحدث شخصيًا مع "كارمن"، وتهديدها بإعلان أنها "شخصية غير مرغوب فيها" في الحيّ. قال لها:

- فكري في الأطفال.

فأخبرته أن يذهب للجحيم.

لم تخرج المرأتان مجدداً، حيث قضتا شهراً مختليتين ببعضهما البعض هناك: شهران، ثلاثة. قمنا جميعًا بالنظر داخل المنزل أثناء مرورنا عليه،

محاولين أن نفهم. في البداية، استمررنا في تسلم طلبات التوصيل للمنازل من السوبر ماركت، أو الصيدلية، وقال أحدنا:

- سينفذ المال قريبًا.

- ولكن إن كان "ألفريدو" قد أغلق كل الحسابات البنكية، فكيف لا زالتا تتسوقان من السوبر ماركت؟

- لا بد أنهما يدفعان عن طريق بطاقة "إكسبرس" الباراجوينية.

- توقف عن المزاح!

ثم في صباح أحد الأيام، لاحظ شخص ما أن سيارة "كارمن" غير موجودة، ولم توجد في اليوم التالي كذلك، ولا اليوم الذي تلاه. الحقيقة هي أن المرأتين رحلتا قبيل فجر أحد الأيام، وقادتا السيارة حتى حاجز الحيّ الأوتوماتيكي، وقد وضَّح الحارس الذي كان في نابطشية تلك الليلة لمديره:

- تعليماتك كانت بمنع السيدة "جابينا فيرا كريستالدو" من دخول "كاسكايد هايتس"، وليست بمنعها من الرحيل.

لم يكن هذا مبررًا كافيًا للحفاظ على وظيفته.

حضر "ألفريدو" في نهاية الأسبوع لفتح المنزل، وفي الأيام التي تلت اكتشافنا لسفر المرأتين ووصول "ألفريدو"، شعرنا بذعر متنامٍ عمَّا سيجده بالداخل، قذارة على أقل تقدير، أو أي دليل على ما كانت تفعله تلك المرأتان هناك بمفردهما لمدة طويلة، الدمار في ما كان يومًا ما منزله، ولهذا السبب، عرض الكثيرون اصطحابه، كسروا البوابة الأمامية. كان "ألفريدو" يملك مفتاحًا ولكنه لم يفتح الباب، حيث غيَّرت "كارمن" القفل، وقد أكد رئيس الأمن أنه:

- في سجلات الحراسة هناك تسجيل بدخول صانع أقفال الحيّ منذ أسبوعين.

وقال شخص ما:

- لم تفكر في أبنائها.

داخل المنزل لم يكن الضوء قويًّا كفاية لرؤية ما بالداخل. ضغط "ألفريدو" على مفتاح الإضاءة، بلا هدف، فهو من سمح بانقطاع الكهرباء عندما توقف عن دفع الفواتير. قام شخصٌ ما بفتح الستائر، وبمجرد فتحها، دخل الضوء وتجمد الجميع في أماكنهم عندما وقعت أعينهم على المشهد أمامهم.

اختفت لوحة المرأة المستلقية في القارب الطويل، حيث تم استبدالها بصور فوتوغرافية ملأت جميع حوائط المنزل، أكبرهم صورة "ألفريدو"، حيث كانت تكبير للقطة من حفل زفافهما، ثم كانت هناك صور أصغر؛ واحدة لـ"باكو بيريز أيبرا"، وأخرى لـ"تيريزا سكاليا" مقتطعة من مجلة "سيدة الريف"، وأسرة "أندرادي" في صورة من آخر حفلة بالنادي، رئيس "كاسكايد هايتس"، نساء عديدات من آخر دورة "بوراكو" نظمتها "كارمن"، زميلاتها في مجموعة الرسم (باستثناء "كارلا ماسوتا" التي تم استئصالها بعناية من الصورة) وبعض الجيران الآخرين، وفي كل صورة، تم وضع دبوس في عيني كل شخص، وتم غرس دبابيس في قلوب الأشخاص أحيانًا، كحالة "ألفريدو"، وتحت كل صورة هناك مذبح، قال أحد الحراس:

- هذه تحفة فنية حقيقية.

قبضت "ناني بيريز أيبرا" على صليبها الذهبي المتدلي من صدرها، وفي كل مكان هناك قطع صغيرة من القماش المعقود، صور، رؤوس الثوم، ريش، أحجار، وبذور، اقترب "ألفريدو" من "مذبحه". كان عبارة عن طبق "فيلروي بوش" مُغطى بروث جاف، وفوقه شمع أحمر مُذاب.

29



قال "خواني":

- لست مُدمنًا، ماذا تقولين يا أمي؟

- لست أنا مَنْ يقول، قوائم لجنة الأمن هي التي تقول.

- هؤلاء المغفلون يعتقدون أن تدخين سيجارة واحدة يجعلك مدمن مخدرات.

فسألته "فرجينيا" باكية:

- أتدخن الماريجوانا؟

لم يجبها "خواني".

- هل تدخن الماريجوانا بحق الجحيم؟

- نعم.. دخنت مرة واحدة.

- ألا تدرك أن هذا يقودك للكوكايين، والكوكايين يقودك للهيروين، والهيروين...

تدخل "روني":

- توقفي يا "فرجينيا".

بكت "فرجينيا":

- ما الذي أخطأنا فيه؟

- أوه، أمي...

فأخبره أبوه:

- نحن لا نريدك أن تدخن يا "خواني".

- لقد دخنت مرة واحدة، هذا كل ما في الموضوع.

- لا تفعلها مرة أخرى.

- الكل يدخن يا أبي.

فصرخت أمه:

- ولكن ليس الكل في القائمة التي تضمك!

- توقفي يا "فرجينيا".

شهقت "فرجينيا" وخبطت على الترابيزة بقبضة يدها:

- سيبدأ العلاج غدًا وإذا فشل العلاج سنرسله إلى إعادة التأهيل.

- ماذا تقصدين ب"العلاج" يا أمي؟ لقد دخنت سيجارة واحدة، هذا كل ما في الموضوع.

- هذا كل ما في الموضوع؟ هذا كل ما في الموضوع، أيها الوغد، وأنت في قائمة مدمني المخدرات؟

- لكن ما الذي يقلقكِ حقًا، أنني دخنت لفافة، أم أنني في القائمة؟

صفعته بشدة على وجهه فسحبها "روني" بعيدًا.

- اهدئي، لن تحلي أي شيء هكذا يا "فرجينيا".

- وكيف تخطط لحلها إذًا؟

- كل مَنْ في عمري يدخنون يا أمي.

- لا أصدقَك.

- لماذا تعتقدين أنهم يدعوننا بـ"رأس الحشيش"؟

- يدعونك ماذا؟

- لست وحدي، بل جميعنا.

- لا أصدقَك.

فسأله "روني":

- مَنْ باعه لكَ؟

لم يقل "خواني" شيئًا.

- مَنْ باعه لكَ لأجل المسيح، حتى أذهب وأحطم وجهه؟

- لا أحد يا أبي.

- وكيف حصلت عليه إذن؟

- عُرض عليّ.

- مِن مَنْ؟

- أي أحد، لا أعلم، شخص ما خرج، واشتراه، وجلبه ودخنا جميعًا.

- لا يهمني إن دخنه الجميع، أنا لا أريدك أن تدخنه.

- أبي لقد دخنت مرتين أو ثلاث مرات على الأغلب.

- لا تدخنه مرة أخرى.

- ولِمَ لا؟

فصرخت أمه:

- لأنكَ ستنتهي في المستشفى بسبب جرعة زائدة.

فقال "روني":

- لأنني لا أريدكَ أن تدخن.

لم يقل "خواني" شيئًا، وحدّق في حذائه الرياضي، ووضع يديه في جيوبه.

- لقد جربته، وعرفت كيف هو، هل تحتاج لتدخينه؟

- لا، لم أدخنه لفترة طويلة.

- حسنًا، لا تدخنه مرة أخرى.

- حسنًا.

فقالت "فرجينيا":

- "لا تدخنه مرة أخرى" أهكذا تحل الأمور؟

- وكيف تودين حلها، بالصراخ مثل المجنونة؟

- والآن ماذا؟ هل ستقول إن صراخي للومه على تعاطي المخدرات هو سبب كل المشاكل!

- لا أتعاطى المخدرات يا أمي.

- تدخين الماريجوانا تعاطي مخدرات.

- وكذلك أخذ دواء "تراباكس".

حاولت "فرجينيا" ضربه مرة أخرى، لكن "خواني" تفاداها، ثم جرت وصعدت السلم باكية. صبّ "روني" لنفسه ويسكي، أخذ "خواني" حذاء تزلقه وارتداه، فسأله أبوه:

- إلى أين أنت ذاهب؟

- إلى "رومينا".

نظرا إلى بعضهما البعض:

- أيمكنني الذهاب؟

لم يجب "روني"، ورحل "خواني". صعد "روني" ليتحدث إلى "فرجينيا"، ووجدها تفتش في غرفة "خواني". تبحث في كل درج، وكل الجيوب، وحقائب الظهر، وتحت السرير، وداخل المجلات، والكتب، وحافظات الأسطوانات، وخلف الكمبيوتر. راقبها "روني"، ولكنه تركها تستمر فيما تفعل، فحصت كل شيء في ذلك اليوم واليوم التالي والذي تلاه، سألها:

- متى ستتوقفين عن التفتيش؟

فأجابته زوجته:

- لن أتوقف أبدًا.



30



كان "إلتانو" يفحص بريده الإلكتروني. وجد رسالة موجزة تدعوه لحضور دورة في "إدارة العمل في الألفية الجديدة"، أرسلها له صديق قديم من أصدقاء الجامعة مُرفق بها سيرة ذاتية "في حالة سماعك عن أي فرصة عمل"، اختار خانة "حذف"، ونشرة من خدمة رسائل اقتصادية تشرح كيف حسبت خدمة "ستاندارد آند بور" "منسب الاختطار" لاقتصاد الدولة، إذافة إلى إيميل أو إيميلين ليس لهما أية أهمية. ولم يتلق أية رد عن الطلبات التي قدمتها شركات التوظيف بالنيابة عنه. في الواقع، كان هناك رد واحد:

- تم تعليق هذا الطلب مؤقتًا، سنبقى على اتصال، شكرًا لكَ.

كان لديه بعض الوقت، ولذلك ألقى نظرة سريعة على الجرائد الرسمية، باحثًا عن خبر أو أي شيء يجعله يشعر - عاطفيًا وليس منطقيًا - بأن الأمور قد تتغير، وإذا ما تغيرت، وإذا ما تمت استعادة الثقة، قد يعود الهولنديون بثقة جديدة. وإذا ما حدث هذا، فمن المحتمل أن يعينوه مرة أخرى، حيث لم يكن هناك شيء فعلي ضده، فلم يتم فصله لعدم أهليته، على العكس، كان الهولنديون راضين جدًا عن أدائه في الشركة، فهو غير مُلام، ولا يمكن لوم أحدٍ على توقف العمل على أي حال، وإذا ما تغيرت الأمور، وإذا ما وثق الهولنديون مرة أخرى في أنفسهم، وإذا ما أصبح وجوده ضروريًا مرة أخرى، وطلبوا منه تولي مسؤولية شركة "تروست" في الأرجنتين مرة أخرى، وإذا ما عاد كل شيء إلى ما كان عليه من قبل، لن يكون لديه سبب ليرفض. هذا لا يعني أنه بلا كرامة، العكس تمامًا، فهو يشعر بالكرامة في عمله، وليس في أي وظيفة، ولكن في تلك الوظيفة على وجه الخصوص. فهو لن يقبل بوظيفة أقل شأنًا، أو ربما

يجد وظيفة أفضل، لكنه لن يبدل تلك الوظيفة بأخرى مشابهة لها، لأن المرء لا يغير وظيفته بوظيفة أخرى في المستوى نفسه كما علمه أبوه، فالمرء يغير وظيفته من أجل تحسين نفسه، وتقدمه، والحفاظ على التقدم، هكذا كان الأمر دائمًا، وهكذا يجب أن يستمر. هذا ما آمن به والده، وما يؤمن به هو أيضًا.

وفي الثامنة إلا عشر دقائق، أغلق الكمبيوتر وذهب لتناول الإفطار. كانت "تيريزا" تحضّر القهوة باللبن للأطفال مرتدية قميص نومها، فدائمًا ما تتولى مسؤولية إعداد الإفطار، بينما تبقى الخادمة بالقرب منها جاهزة في حال احتاجت إليها:

- أيريد أي أحد المزيد من الخبز المحمص؟

لم يجبها أحد، لكن "تيريزا" وضعت قطعتي خبز في جهاز التحميص على أية حال، ذهب "إلتانو" إلى ترابيزة المطبخ والتقط "البروشور" الموضوع عليها. كان عرضًا للسفر إلى "ماوي" مع الإقامة في فندق خمس نجوم، شامل كل شيء، ومعه اختيار لقضاء ليلة في "هونولولو". حدّق "إلتانو" في النشرة، لم يقرأها، ولكنه حدّق وحسب، زرقاء وخضراء:

- اطلب من سكرتيرتك أن تبحث في الأمر.

- حسنًا.

وضع "البروشور" في حقيبة أوراقه.

- ستكون رحلة لطيفة... ألا تعتقد هذا؟ سيكون البديل الذهاب إلى "بال هاربور" أو "ساراسوتا"، ولكنني أود رؤية مكان مختلف، أعني، كم مرة ذهبنا إلى "ميامي" بالفعل؟

ركب الأطفال السيارة "اللاند روفر"، حيث أوصلهم "إلتانو" إلى المدرسة، ثم استمر في طريقه للمكتب، تمامًا مثل كل يوم، انقلبت شاحنة في الحارة المقابلة، الخارجة من المدينة، وكان هناك عربة إسعاف، وونش سيارات، وسيارتان

اصطدمتا بالشاحنة، وسيارة شرطة، وشخص يضع رأسه بين يديه. أجبره فضوله أن يبطئ. استغرق عشرين دقيقة أزيد من المعتاد ليصل لمكتبه.

ركن سيارته في الشارع. لم يعد يركنها في الجراج، فالساعتان اللتان يقضيهما في المكتب، لا تستحقان عناء ركن السيارة في الجراج. بالإضافة إلى أنهم غيروا مكان ركنته إلى ركن جانبي، بجوار المسخِّن، بالطبع ركن السيارة في هذه المساحة أمر صعب، حيث يمكنك رؤية الخدوش على جدران سيارات مَنْ حاولوا الركنة هناك. ثم هناك حارس شركة "تروست" الذي يرفع الحاجز للسيارات حتى تدخل وتخرج، والذي لا يزال يلقي إليه بتلك النظرات الغريبة. فضّل "إلتانو" عدم محاولة تفسير سبب تلك النظرات الغريبة، وفضَّل الركن بجوار الرصيف، حتى وإن كان مُخصصًا للزوار فقط. أغلق السيارة، ودخل إلى الشركة، وتمشى الثماني وخمسين خطوة وهي المسافة من البوابة الأمامية إلى مكتبه الجديد. كان أصغر في الحجم، لكنه كان مقبولًا. المكتب الذي خصصوه له بعد فصله. ثمانٍ وخمسون خطوة، قد تزيد أو تقل ببوصة، بدأ يعدهم عقب خسارة وظيفته كمدير عام لشركة "تروست". هو لم يقم أبدًا بعد خطواته أثناء حياته كرجلٍ بالغ، كان يعدها أثناء طفولته، نعم، كان يعلم بالضبط كم عدد الخطوات التي تفصل حجرة نومه عن أي مكان آخر في المنزل. لكن ليس كبالغ، لم يفعلها أبدًا، لأنه سابقًا كان لديه الكثير مما يشغل باله: موارد الشركة المالية، إجراءات لازمة لإرضاء مجلس الإدارة، حقوق الملكية التي يملكها الهولنديون، الأرباح التي سيكافئ بها الهولنديون المالكين. ثم دائمًا ما يقاطع أحدهم سيره عند وصوله للردهة ليعطيه أوراقًا تحتاج توقيعه، أو شخص يحتاج حل فوري لمشكلة ما، أو مكالمة تليفونية بانتظاره.

تغيَّر كل شيء بعد فصله، ليس في اليوم الأول، أو الثاني، فبعض التغيرات جاءت بطريقة متدرجة للغاية، لكن في لحظة معينة، عندما فتح "إلتانو" الباب، ونظر حوله وبدأ يأخذ تلك الخطوات التي لم يكن قد بدأ يعدّها بعد. هناك شيء ما مختلف، وبحث عقله يائسًا عن أي شيء يشغله، وكأنه ملف لفهرس البطاقات. بحث عن موضوع عمل مُعلَّق، شكوى، موعد يجب إلغاؤه،

أو موعد يجب إبقاؤه، أي شأن ملموس، ولكن بلا فائـدة. يقـوم مَـنْ حولـه بأشـغالهم. حيَّـاه بعضهم أثناء مروره عليهم. كانت الابتسامات غريبـة، والنظـرات غريبـة. نظـر لأسـفل وتأمـل حذاءه، ثمانٍ وخمسين خطوة وأربع بوصات بالضبط شاملة السلالم. في الأشهر القليلة الأخـيرة، وأثناء جلوسه إلى مكتبه الجديد، منتظرًا تليفونه كي يرن أو أي شـخص يـأتي ويقـاطع انتظـاره الصبور، أو رسالة إلكترونية تؤكد أنه لا يزال مهمًا لشخص ما، أي شخص. غالبًا ما يسأل نفـسه كم عدد الخطوات التي قطعها كل يوم في الأعوام الأخيرة من مدخل المبنى إلى مكتبه القـديم (الذي لم يعد له)، مكتب المدير العام، قـدّرهم بأزيـد مـن خمـسة وسـتين وأقـل مـن إحـدى وسبعين خطوة. منذ أيام قليلة، رسم خريطة مُصغرة للمكتب على قطعة ورق وحسب العدد التقريبي للخطوات، ولكنه لم يقسهم في الواقع، لأن طريقه الآن (الذي سار عليه هذا الصباح) يؤدي إلى مكان آخر.

تأخذه الأربع والستون خطوة إلى مكتب "أندريا"، سكرتيرته السابقة، والتي كانت تتحدث في التليفون إلى شخص ما من الواضح أهميته، لوّح لها "إلتـانو"، وحرصًـا عـلى ألا يقاطعهـا أو يقاطع نفسه، أعاد نظرته إلى حذائه - سبع وأربعـون، ثمـاني وأربعـون، تـسع وأربعـون - غـير منتبه إلى أن "أندريا" - التي لا تزال تتكلم في سماعة التليفون - تحاول أن تـستبقيه بإيمـاءات ضاعت في الهواء. سبع وخمسون، ثماني وخمسون، وعنـد بـاب مكتبـه الجديـد، فـتح "إلتـانو" حافظة أوراقه وبحث عن مفتاحه، فتش بين أوراقه. كان يبحـث عـن أحـد المفـاتيح الـصغيرة الذي يحفظ الخصوصية بدلًا من توفير الأمان، تملك "أندريا" نسخة منه، تحسس شيئًا معـدنيًا - المفتاح ربما - ولكنه لم يتمكن من إخراجه، لأن البـاب انفـتح فجـأة مـن الـداخل، واصـطدم بجبهته، سقطت حافظة أوراقه على الأرض، وتبعثرت الأوراق، وقال شخص مـا بإنجليزيـة بهـا لكنة:

- أوه آسف!

ومن خلال فتحة الباب، رأى "إلتانو" ثلاثة رجال جالسين في مكتبه، وسطح مكتبه مُغطى بأوراق منتشرة، فناجين إكسبرسو، آلات حاسبة، ولابتوب، كان الرجال يعملون، قال أحدهم شيئًا ما بالهولندية وضحك الآخران، ومع ذلك، لم يكونوا يتكلمون عنه، فهم لم يروه، رآه الشخص الذي صدمه فقط.

- آسف للغاية.

جلس "إلتانو" القرفصاء وأخذ يجمع الأوراق واصطدم بـ"أندريا" التي كانت تجمع الأوراق خلفه.

- لم تسنح الفرصة لي كي أحذرك.

جلس الهولندي القرفصاء أيضًا وساعدهما، قرفصوا جميعًا:

- إنهم مدققو الحسابات من شركة "تروست" بهولندا، طلب مني المركز الرئيسي تخصيص غرفة لهم.

فقال الرجل الذي صدمه بالباب وهو يلتقط "بروشور" "ماوي" ويناوله لـ"إلتانو":

- مكان جميل!

- أخبرتهم بأن كل غرفنا مشغولة، ولكنهم أصروا، ثم اتصل بي المحامي وأخبرني بأن الاتفاق معك كان لعدة أشهر قليلة والآن مرّ أكثر من عام.. جمعت أوراقك في صندوق.. إذا ما احتجت عمل أي اتصال، بإمكاني إعارة مكتبي لكَ لبعض الوقت، إنني جادة، أترى، لا توجد مشكلة بالفعل.

قال الهولندي مرة أخرى:

- مكان لطيف.

كان لا يزال مُمسكًا بـ"بروشور" "ماوي" في يده.

31



الدعوة الرسمية الأولى التي تلقتها عائلة "يوروفيتش" من "إيامبياس" جاءت بعد اكتشاف "بيتو" بأن "مارتن" عاطل عن العمل ويواجه مشاكل مادية خطيرة. قاموا بدعوتهم لتناول "شيفيتو"، وهو حَمَلٌ جلبه "بيتو" بنفسه من الريف خصيصًا لهذه المناسبة. كانت عائلة "يوروفيتش" دقيقة جدًا، ففي تمام التاسعة والنصف كانوا يرنون جرس باب أحد أكبر وأروع منازل "كاسكايد هايتس"، بعاموديه العظيمين عند المدخل، والسلم الرخامي الذي يمكن لمحه من خلال البوابة الأمامية اللامعة والدرابزين حول كل شرفة. كما تمت دعوة "أسادور"[(7)] لشوي الحَمَلْ. كانت هناك خادمتان على أهبة الاستعداد، تخدمان طوال الليل على السفرة، وتنظفان الأشياء بلا مبالاة الممثلين الذين يتوجب عليهم تكرار العرض نفسه موسم بعد موسم.

ملوحًا باتجاه الرجل الذي يعمل عند المشواة، قال "بيتو" في تلك الليلة:

- "ماريو" أسطورة، سيحضّر لك أفضل مشويات مِشكْلة تذوقتها في حياتك، فقط مقابل خمسين بيزو، وليس عليك القلق بشأن إشعال الفحم، أليس هذا صحيح يا "ماريتو"؟

رفع "إيامبياس" كأسه باتجاه المشواة، عارضًا تحية نخب:

(7) - "الأسادو" من أساسيات المطبخ الأرجنتيني، وهي بالأساس وجبة من اللحم المشوي، بما فيه البفتيك، وبنكرياس الذبيحة، وحلويات اللحوم، التي يمكن طبخها في آنية شواء بدائية، في الريف، أو على شواية في المنزل والمطاعم، وعادة ما تستمر الوجبة لعدة ساعات ويُعتبر "الأسادور" - الذي يطهو اللحم - فنانًا وبطلًا شعبيًا، ويتم تمييز تلك الحفلات بدعوة ثابتة لل"شرب في نخب الأسادور"، مع التصفيق.

- أتمنى لكل شخص أن يفعل ما يفعله على أكمل وجه، أليس هذا صحيحًا؟

وفي تلك المرة رفع كأسه باتجاه "مارتن".

تبعت الدعوة الأولى دعوات أخرى كثيرة، من كل الأنواع والميزانيات، أي شيء يمكنك تخيله، مقاعد في المقصورة الرئيسية في كأس "دافيز" للتنس، رحلة على متن الطائرة الشراعية لعائلة "إيامبياس"، تذاكر حفلات مغنٍّ أجنبي، أيًا كان، عطلة نهاية أسبوع في "بونتا ديل استي". لم يحب "مارتن" قبول تلك الدعوات الكثيرة جدًّا، والتي لن يستطيعوا ردها أبدًا، ولكن "لالا" أصرت على القبول:

- ليس هناك عيب في أن تكون محبوبًا.

جعلتها تلك النزهات في مزاج جيد وانتهى به الحال موافقًا من دون حتى أن ينطق كلمة، وانغمست عائلة "يوروفيتش" لفترة في وهم، ليس فقط أن لا شيء تغير، ولكن في أن ظروفهم في الواقع كانت أفضل مما سبق.

بعد أشهر قليلة بدت الأسرتان كعائلة واحدة وليس أصدقاء فقط، وصحيح أن أبناء عائلة "إيامبياس" ليسوا أطفالًا بعد الآن، لكنهم لم يمانعوا أبدًا وضع أطفال عائلة "يوروفيتش" ضمن مخططاتهم كلما سنحت الفرصة لذلك، وكان هناك دائمًا خادمة احتياطية مستعدة للعناية بهم، وقد جهزوا غرفة بمنزلهم مزودة بتلفاز وفيديو لتسلية الأطفال.

تناولت الأسرتان الغداء سويًا كل يوم ثلاثاء لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر، وذهبوا للسينما كل يوم جمعة، وسهروا سويًا كل سبت ببيت "إيامبياس" لمشاهدة فيلم في قاعة عرض الأفلام بمنزلهم، وحده فقط يوم الخميس كان مقدسًا، حيث اعتاد "مارتن" الذهاب دائمًا لمنزل "إلتانو" وخرجت "لالا" إلى السينما مع "أرامل الخميس".

وفي أحد أيام السبت تلك، وصلت "لالا" جالبة معها شريط فيديو كان قد طلبه منها "بيتو"، وهو "رقصة التانجو الأخيرة بباريس". سمعت به، لكنها لم تره أبدًا، وكانت هناك صعوبة في العثور عليه، حيث لم تجده في محل "بلوك

باستر" أو أي محل من محلات الفيديو بالمنطقة، وكان عليها أن تقطع كل تلك المسافة إلى "سان إسيدرو". لم تعرف مَنْ هو المخرج أو الممثلين، لا شيء باستثناء العنوان، وبدا من علبته أنه فيلم قديم جدًّا، ولكن "بيتو" طلبه، اتصل بها على المحمول:

- ستنقذين حياتي يا "لالا"، أحتاج إلى رؤية هذا الفيلم اليوم.

كانت عائلة "إيامبياس" ودودة جدًّا معهم لدرجة لن تجرؤ معها على أن تخيب أملهم فيها.

دخلت "دوريتا" الغرفة بينما يقوم "بيتو" بتجهيز الفيلم، أتت إليه وقبّلته، كانت قبلة فياضة المشاعر أكثر مما اعتادت "لالا" على مشاهدته وقد أحرجتها، فهي و"مارتن" لا يقبلان بعضهما البعض علانية، وهما أصغر منهما بعشر سنوات ومتزوجان من فترة أقل، ولا يقوم أي أحد من أصدقائهما بتقبيل بعضهم البعض بهذه الطريقة في العلن. شاهدوا الفيلم وهم جالسون على أريكة كبيرة، جلست "لالا" عند أحد طرفيها وجلس "بيتو" بجوارها، قريبًا جدًّا منها، تاركًا مساحة فارغة في الجانب الآخر. وجلس "مارتن" خلفهما، ناعسًا في فوتيه مريح، بينما "دوريتا" تجيء وتروح، جالبة أشياء من المطبخ، قهوة، كعك، المزيد من القهوة، خمر. بدا أنها إمَّا غير مهتمة بالفيلم أو تعلمه جيدًا، وفي الوقت نفسه، على الشاشة كان "براندو" يمتع رفيقته، وتمتعه رفيقته، لم تخطئ "لالا" عندما خمَّنت أنه فيلم قديم، فالصورة باهتة قليلًا وصعبة الرؤية. غرق "بيتو" في الأريكة، مستلقيًا أكثر للخلف، وكلما أراد قول شيء ما إليها بخصوص الفيلم، ينهض قليلًا، مستندًا على ساقها وناظرًا في وجهها. لم تعلم بالضبط ما كان يقوله، ولكنها شعرت بضغطة يده، وفي إحدى تلك المرات، ترك "بيتو" يده على فخذ "لالا" ولم يرفعها. ظلت "لالا" ثابتة، منتظرة، تشعر بحرارة يده على ساقها، وعندما بدأ يمسح بيده عليها، توترت وأزالت يده، توقف، ونظر إليها، ثبتت "لالا" نظرها عليه، ببساطة لأنها لم تدر ماذا تقول، لم ترد أن تتسبب بمشكلة أمام زوجها واعتقدت أن تعبيرها أوضح

مشاعرها بشكل كافٍ، ولكن لا بد أن الوضع لم يكن كذلك، لأن "بيتو" استمر في النظر إليها، ابتسم، وبدون أن يرفع عينيه من على وجهها، لمس ساقها مرة أخرى وبدأ يحرك يده إلى أعلى فخذها، وقامت "دوريتا" - التي رأت ما حدث من مكان آخر - بسحب كرسي ووضعته أمامهما، أمام الشاشة، ابتسمت لهما، واقتربت ووضعت يدها على يد زوجها.

وثبت "لالا" واندفعت باتجاه النافذة، لم تجرؤ على النظر إليهما، أو تصرخ أو تجرِ خارجة من الغرفة، وكأنها أرادت أن تنظر من النافذة أكبر فترة ممكنة، وعندما تمكنت من أنها سيطرت على مشاعرها، استدارت قليلًا، وشاهدتهما من طرف عينها، حيث كانت "دوريتا" و"بيتو" يقبلان بعضهما البعض بجنون على الأريكة حيث كانت جالسة، بينما ما زال "مارتن" ناعسًا على الفوتيه المريح.



32



لم تعرف "رومينا" وظيفة "إرنستو". طلبوا منها في المدرسة أن تكتب مقالًا عن عمل أو وظيفة أبيها، لكنها لم تعرف، تعرف فقط ما أخبروها به، ولكن هذه ليست الحقيقة، اتصلت بـ"خواني"، ولم يعلم أيضًا، ضحك، فالكتابة عن عمل أبيه سهلة جدًّا بالنسبة له، سيعبر عنها بثلاث كلمات: "أبي لا يعمل"، ولكنهم لم يطلبوا منه كتابة تلك المقالة، طلبوا من "رومينا"، وحاول اكتشاف هذا، ومع ذلك، راوغت أمه السؤال، وهي التي تعلم كل شيء عن الجميع.

- هيا يا أمي، أليس هذا مكتوبًا في دفتر مذكراتِك الأحمر؟

فأجابته بالنفي، ولكن "خواني" لم يصدقها.

- ستندهش من كمية الأشياء التي حدثت ولم أدونها، فأنا لم أكتب سطرًا واحدًا عن المخدرات مثلًا.

فتضايق "خواني":

- رباه، إن حالتك صعبة للغاية.

خرج، وصفع الباب، وتوجَّه إلى منزل "رومينا"، لقد خيَّب أملها، حيث وعدها أن يكتشف وظيفة أبيها، ولكنه لم يستطع، ولذلك سألت "أنتونيا"، فأجابتها:

- يعمل أبوكِ باجتهاد شديد، يخرج مُبكرًا جدًا، كما تعلمين، ويعود متأخرًا جدًّا.

ولكنها لم تقل أي شيء عن عمله، كررت ما قالته:

- أبوكِ يعمل باجتهاد شديد.

وتركت الغرفة.

كانت "رومينا" تعلم بالفعل ما الذي كانت ستقوله "ماريانا":

- أبوكِ محامٍ.

ولذلك لم تشغل بالها بسؤالها، يعتقد جميع سكان "كاسكايد هايتس" بأنه محامٍ، ولكنها تعلم أنه ليس محاميًا، ولا بد أن "ماريانا" تعلم هذا الأمر أيضًا، فهي زوجته، ولكن "ماريانا" تكذب، ولا يمكنك الكذب في مقالة، على الأقل، لا يمكنك استخدام أكاذيب الآخرين، يمكنك أن تؤلف كذبتك الخاصة. يتعامل أبوها وكأنه "دكتور"، ولكنه ليس بدكتور أكثر من كونه أباها، فإذا ما ذهب أحد إليه باستفسار قانوني، يلقي عليه إجابة أو إجابتين عموميتين، ثم يشرح أنه غير مختص بهذه الجزئية الخاصة ولكنه سيجد الإجابة، ويجد الإجابة بالفعل، فلا يكتشف أحد حقيقته. مكتوب على بطاقة تعريفه: "دكتور إرنستو جيه أندرادي". الغريب أنه أنهى دراسته الثانوية بشق الأنفس! هذا ما تعلمه، لأن جدتها - أم "إرنستو" - وقعت في الكلام ذات مرة وقالت:

- إنه يعمل جيدًا، يبدو خبيرًا جدًّا، على الرغم من أنه لم ينهِ دراسته الثانوية.

تعلم "رومينا" أنه يملك مكتبًا بوسط المدينة، فهي ذهبت إليه مرة. هناك لوحة برونزية على الباب، وسكرتيرة ومحاميان يعملان لحسابه، على الرغم من أنها ليست متأكدة من أنهما محاميان أيضًا، ومكتوب على اللوحة "أندرادي وشركاه"، وهو ما ترد به السكرتيرة على التليفون، ودائمًا ما ترن تليفونات "إرنستو"؛ محموله، تليفون منزله، والخط الذي يخصصه للـ"الأعمال الخاصة". ذات يوم ردت "رومينا" على الخط الخاص وسمعت المتصل يقول:

- أخبري ذلك الوغد "أندرادي" أن يراقب مؤخرته، لأنه بمجرد تجاوزنا للحاجز سنركله عليها.

لم تخبره، لأن هذا يعني اعترافها بإجابة التليفون غير المسموح باستعماله، ولكنها لم تعتقد أن مؤخرة "إرنستو" تحت أي خطر حقيقي، فهم لن يتمكنوا

من عبور الحاجز مهما حاولوا، فلا أحد يستطيع ذلك، هكذا اعتقـدت "رومينـا"، ولم تـرد عـلى هذا الخط لمدة ما، ثم نسيته أو لم يتلقَ مكالمات أخرى، لم تستطع تذكر أيهما حدث.

واجهت "رومينا" الصفحة البيضاء، اقترح عليها "خـواني" أن تكـذب، ولكنهـا غـير متأكـدة، رسمت مؤخرات وردية صغيرة، على إحداها، رسمت زهرة صغيرة خارجـة مـن الفلقـة، وعـلى المؤخرات الأخرى رسمت قلوبًا صغيرة تزين الأرداف، وكان "خواني" مـستمتعًا جـدًّا، سـألها إن كان بوسعه الاحتفاظ بالرسمة، فأعطته "رومينا" إياها، وسألها:

- أتودين أن أكذب بالنيابة عنكِ؟

فأجابته بنعم، وليبعد "رومينا" عن المشاكل في المدرسة، كذب بالكذبة التـي يـود الجميـع سماعها، وكتب بالإنجليزية:

"أبي محامٍ مرموق، متخصص في القانون الجنـائي، والمـدني والتجـاري، تتعامـل مكاتبـه مـع بعض القضايا الشهيرة جدًّا".

استمر في الكتابة، فقرة، اثنتين، ثـلاث، أو أكـثر، لا يهـم حجـم مـا كتبـه، ولا الأسـماء التـي ذكرها، ولا الألقاب التي استخدمها، أو أي كلمة، فالأمر كله تلفيق، باستثناء المؤخرات الصغيرة التي أعطتها إليه "رومينا" والتي طواها ووضعها في جيبه.



33



ظهرت مشكلة كلاب "السيمارون" في بداية عام 2001، وظهر البيـان الأول في مـارس لهـذا العام، في نشرة محلية تُسلم باليد كل نهاية عطلة أسبوع عند بوابة الدخول، وصدر البيان عن مكتب لجنة البيئة:

(نظرًا للوجود غير المرغـوب فيـه لمجموعـة مـن الكـلاب الـضالة في حيّنـا، نطالـب سـكان "كاسكايد هايتس" الاجتهاد أكثر في التخلص من نفايـاتهم واسـتخدام الحاويـات ذات الغطـاء لمنع الحيوانات الباحثة عن الطعام).

بحلول هذا الوقت، كان أغلب سكان "كاسكايد هايتس" يعرفـون بـأمر الكـلاب، ثـم علـم الجميع بالأمر، لكننا علمنا بأمر وجود حيوانات أصيلة، لكن ليـست الـضالة، فـلا يـزال أمامنـا الكثير لنتعلمه، فبعض الناس لا يعلمون حتى ماذا تعني كلمة "سيمارون"، حيث قالـت "لالا" في حصة رسم يوم الثلاثاء:

- يبدو وكأنه شيء من ملحمة "مارتن فييرو"[8].

حتى الآن ما زال هناك التباس حول إن كان هذا هو الاختيار الصحيح للكلمة: فهنـاك كلاب من دون صاحب، ترعرعت في البرية، أتوا إلى مجمعنا السكني باحثين عـن الطعـام، كلاب ضالة. ليست مثـل كلابنـا "الجولـدن ريتريفـر"، "اللابـرادور" قـصيرة الـشعر، كـلاب الصيد، "البوردر كولي"، "التشاو تشاو"، "الشناوزر"، "البيشو فريز"، كلاب "باست" للـصيد، و"الوايمارانرز". تلك هي الأنواع التي غالبًا ما تراها في "كاسكايد هايتس"، مرتدين الطـوق

(8)- "مارتن فييرو" قصيدة ملحمية كتبها "خوسيه هرناندز" وهي من الأدب الأرجنتيني الكلاسـيكي للقـرن التاسـع عشر، تمجد الحياة الفظة بمنخفض "بامبا" ورعاة "الجاتشوز" العاملين بها.

وعليه أسماؤهم ورقم التليفون الخاص بأصحابهم، لنستدل عليهم في حالة ضياعهم. وهناك كلب "الدلماسي" الغريب، الذي تم شراؤه بسبب طفل أصر على الحصول عليه بعد أن رآه في أحد أفلام "ديزني"، لكنه موجود بقلة شديدة. من المعروف كلاب "الدلماسي" مدللة وأنها تكسر كل شيء في طريقها. أما كلاب "البيجل" فتعوي طوال الليل، وكأنها في الريف الإنجليزي وتنبح عند اكتمال القمر، فإذا كنت لا تريد مشاكل مع الجيران، فعليك أن تقطع حبالها الصوتية (يبدو أن هذا لا يؤلم على الإطلاق- مجرد شق صغير، ولن تسمع المزيد من النباح). "التشاو تشاو" ستملأ بيتك بالشعر. وتحتاج كلاب "البيشون فريز" إلى تنظيف أسنانها من وقتٍ للآخر وإلا ستقتلك رائحة نفسها. "الشناوزر" مزاجها سيئ. أمَّا كلاب "الوايمايزر" فعيونها زرقاء جميلة، لكن ليس من السهل العيش مع كائن بهذا الحجم. هناك سُلالات أخرى، لكنها ليست في "كاسكايد هايتس". هناك كذلك الكلاب التي امتلكناها ونحن صغار ونسيناها، الكلاب التي لم تعد موضة الآن. في هذه المنطقة من المستبعد رؤية كلاب "البودل"، و"البولدوج"، و"البوكسر"، ولا "الكولي"، مثل الكلبة الموجودة في رواية "لاسي"، ولا الكلاب البوليسية، وخصوصًا كلاب "الداشهند"، أو "التشيواوا"، أو"البكيني". كان لدى زوجة "ألبرتي" كلب "تشيواوا"، أخذته معها في كل مكان داخل حقيبة يدها "الفندي"، غالبًا لم تكن حقيبة "فندي" أصلية، لكنها تقليد جيد وجدتها "ماريانا أندرادي" في كتالوج حقائب. أخذته معها إلى حفلات الشاي، ودورات "البوراكو"، ومباريات التنس، وذات يوم أخذته معها إلى القداس. كانت تستاء إذا ما دعوته ب"التشيواوا" وتصحح لك أثناء خروج الكلب من حقيبتها المفتوحة:

- إنه "بينشر" مُصغر، انظر إلى عينيه، ألا ترى أنه أجمل بكثير من "التشيواوا"؟

نعرف جميعًا كل تلك السلالات، وكيفية الاعتناء بها. نظام غذائي متوازن ومفيد، ضامن لبراز صحي، صغير، مستدير، ويسهل التقاطه بالمجرفة أكثر

من أي شيء آخر. سجل صحي بكل التطعيمات الحديثة، الرّش للتحكم في القرادة والبراغيث. عظام جلدية لتمضغها. الاستحمام في عيادة الطبيب البيطري كل أسبوعين. قص الأظافر بانتظام لإيقافها عن خدش الأبواب والأثاث. مدرب - على الأقل في البداية - ليعلمها فهم الأوامر الأساسية باللغة الإنجليزية. "اجلس" و"قف"، وذات يوم قالت حفيدة "ريتا مانسيلا":

- إنه لا يجلس لأنكِ تنطقين الأمر بشكل خاطئ يا جدتي، فهي ليست "اجلييييس"، إنها "اجلس"، أتفهمين؟ "اجلس" لطيفة وقصيرة "اجلس".

واندهشت "دوريتا" من ملاحظة:

- يتعلَّم الأطفال الإنجليزية بشكل جيد في تلك المدارس الخاصة.

وتبقيها التمشية لمرتين أو ثلاث في اليوم أصحاء جسديًا. وتندر رؤية مدربي تمشية الكلاب المحترفين في "كاسكايد هايتس" أكثر من رؤيتهم في الميادين العامة في "بوينس آيرس". فهنا، نقوم نحن بتمشية كلابنا، أو نجعل الخادمات تقوم بهذا. ولكن عادة ما يقوم أصحابها بتمشيتها بأنفسهم، مثل ما كان عليه الوضع منذ عدة سنوات، حيث اعتاد الناس ارتداء أفضل ملابسهم للتمشية حول الميدان في أيام الأحد، ليروا الآخرين ويراهم الآخرون، وبالتالي في وقت الظهيرة في "كاسكايد هايتس"، يخرج الجيران لتمشية كلابهم مرتدين ملابس اللياقة البدنية، والأحذية الرياضية.

منذ عدة أعوام، عندما لم يعش أحد بشكل دائم في "كاسكايد هايتس"، كان أصحاب الكلاب يحضرونها معهم في عطلات نهاية الأسبوع، ويتركونها تلهى كما تريد وكأنهم جلبوها إلى الريف، فتجري الكلاب بحرية. لم يشتكِ منها أحد، لأن معظم العائلات حينها كانت معتادة على الكلاب. كانوا أُناسًا يقضون أوقاتهم في منازلهم العائلية، أو في منازل أصدقائهم، وكانوا يعرفون ما ينبغي عليهم فعله إذا ما اقترب منهم حيوان ما، إضافة إلى أننا كنّا قليلين حينها.

تسبب التدفق العظيم على الحيّ خلال التسعينيات بتغيير القواعد: فالآن عليك أن تعمل حساب الآخرين، لأن "الآخرين" ليسوا كسابقيهم، فأصبحت القاعدة الآن: إذا ضايق كلبي الجيران، يجب أن أتحمل المسؤولية، والمغزى من ذلك: لأنه إن لم أفعل، سيبلغ جاري عني وسيتم تغريمي ماديًا، فاليوم، إذا ما رأيت كلبًا يتجول من دون صاحبه في "كاسكايد"، فبإمكان أي شخص شعر بالانزعاج أو بالإساءة، أو بمجرد المضايقة، أن يقدم شكوى وسيرسل الأمن على أثرها شخصًا ليقبض على الكلب ويأخذه إلى حظيرة الحيوانات، إذا ما استطاع هذا، لأن الموضوع: أنه لا يوجد حارس أمن مُدرب على القبض على الكلاب وتقريبًا تعرف جميع الكلاب غريزيًا كيفية التخلص من مطارديهم، ولكنه إذا ما تمكن من القبض عليهم، إذا ما قام ذلك الرجل ذو الدراجة بمطاردة الكلب ومعه حبل مربوط في عصا لا أكثر، فإنه سيصطاده بها، ثم يُؤخذ الكلب إلى حظيرة الحيّ، حيث يمكث هناك حتى يأتي صاحبه ويسترجعه. تقع الحظيرة بالقرب من مركز ركوب الخيل بالنادي، وتحتوي على أقفاص ضخمة حيث تأكل الحيوانات الطعام نفسه الذي يأكلونه بالبيت، وقبل أخذ كلبه، يجب أن يسدد صاحب الكلب غرامة قدرها ثمانون بيسو، بالإضافة إلى خمسين بيسو زائدة لكل يوم لتغطية تكاليف رعاية وإطعام الكلب، وهذا حافز قوي لعدم السماح لكلبك بالهروب.

لكن لا يأتي أحد ليعيش على بُعد ثلاثين ميلًا خارج "بوينس آيرس" ليحبس كلبه وكأنه ما زال يعيش بشقة في المدينة، أو أن يربطه بسلسلة، ولو كانت طويلة، ففي "كاسكايد هايتس" من المخالف للائحة تطويق الأرض بأي شيء غير النباتات، ولكن النباتات غير ملائمة للعب الكلاب وحماستهم، وبالتالي بدأت الأسوار غير المرئية في الانتشار منذ زمن قريب، وهو نظام مشابه للنظام المستخدم في منطقة "البامبا" لإيقاف هروب المواشي، حيث يتم دفن سلك حول الأرض، ويبث السلك إشارة، تجعل بطارية بداخل طوق الكلب تطلق شحنة بقوة ستة فولتات، ويتم تدريب الكلب لمدة بأعلام ملونة - عادة ما تكون بيضاء وبرتقالية - مُثبتة حول حدود أرض البيت، وفي كل مرة يقترب الكلب من

الأعلام مرتديًا طوقه للصدمات، يرسل النظام أولًا صوتًا، ثم يرسل صاعقة كهربائيـة للرقبـة إذا ما ظل الكلب في طريقه على الرغم من الصوت، وليس للعَلَـم وظيفـة غـير أن يـتعلم الكلـب المسافة المسموحة له فقط. وحتى فيما بعد، عندما تتم إزالة الأعـلام بـسبب المنظـر الجـمال، (لأنه لا أحد يرغب في تحديد أراضه بأعلام صغيرة) كانـت الحيوانـات قـد اسـتوعبت الـدرس بالفعل، ونادرًا ما تحاول الخروج، مخافة تلقي صدمة أخرى، فهو نظـام بـارع، منقـذ للحيـاة، وكل ذلك بسبعمئة دولار فقط.

عرفنا بأمر السياج غير المرئية، لكننا لم نعرف بعد كيفية التعامل مع كـلاب "الـسيمارون". في إحدى نشرات شهر مايو، كانت لجنة البيئة أكثر وضوحًا: وضعوا تحذيرًا آخر تحـت عنـوان (كلاب "السيمارون")، ولكن هذه المرة جاء التحذير بالحروف الكبيرة:

"على الرغم من كل محـاولات رجـال الأمـن، إلا أن كـلاب "الـسيمارون" يـستحيل القـبض عليها، فهي تتحرك في مجموعات، وعند مواجهتها بفرد من أفراد الأمن، تهرب بسرعة كبيرة، لم نتمكن بعد من اكتشاف كيفية دخولها إلى الحي، حيث لا دليـل عـن وجـود حفـر أو أسـلاك مكسورة في السور المحيط، ومن المرجح أن تلك الكلاب دخلت عـبر بوابـات الـدخول العامـة، من تحت الحواجز. وعلى الرغم من أنها تبحث فقط عن الطعـام ولم تهـاجم أي سـاكن بعـد، فإننا نوصي بعدم الاقتراب منها، وحاليًا، الحل الوحيد لهذه المشكلة هو عدم وضع القمامـة في مكان يسهل الوصول إليه، لأن القمامة هي التي تجذبها، فهم يأتون بحثًا عن الطعام الـذي لا تجده في موطنها الطبيعي حول "كاسكايد"، وبالتالي نطالب جميع السكان بألا يتركوا حقائـب القمامـة المحتويـة عـلى النفايـات المنزليـة في منطقـة تـستطيع تلـك الحيوانـات الوصـول إليها، ونوصي باستخدام الحاويات الحديدية ذات الغطاء، التي يمكـن وضـع أكيـاس القمامـة داخلها، وفي حالة كون تـصميم الحاويـة يـسمح للحيـوان بـإخراج القمامـة ورميهـا أو إدخـال فمه إليها، فإننا نوصي بتغليف الحاوية بشبكة ضيقة الفتحات لها لـون الحاويـة نفـسه عـلى

قدر الإمكـان، فلنعتنـي بقمامتنـا ونبعـد "الـسيمارون"، فـالأمر بأيـدينا، ونحـن مـن يـستطيع التغلب عليها".

بدأنا العمل بجدية، فإذا ما كانت كلاب "السيمارون" تأتي إلينا بحثًا عـن الطعـام الـذي لا تجده بالخارج، فلن تجده هنا أيضًا، وقام الذين لا يملكون حاويات قمامة مناسـبة بالحـصول على أخرى مناسبة، حاويات مربعة، وحاويات أسطوانية، بعضها صغير والآخر كبير، مُدمجة في العمود نفسه الذي يحتوي على عداد الغاز، مُخبأة في الشجيرات، خـضراء، سـوداء أو رماديـة، وجميعها تقريبًا مغلفة بالشبكات المعدنية، على الرغم من أن بعضها خـشبي ويـشبه الـبعض الآخر أوعية الرماد الجنائزية. امتلك الناس الحاويات الطويلة، لإبعاد الحيوانات، أو الحاويـات القصيرة لتسهيل رفع الحقائب الثقيلة، وكان هناك حاويتان بمنزل "إيامبياس": واحـدة مغلفـة بشبكة معدنية للقمامة العامة وصفيحة معدنية أخرى للقمامة التي لا يريدون لأحد رؤيتهـا، وفي متجر الحيّ، كانت هناك تنويعـة مـن الـنماذج والأحجـام المتاحـة، وبنهايـة شـهر يونيـو، صدرت توجيهات بشأن "الوضع المناسب لحاويات القمامة، وخصائص من النوعية نفسها".

وبما أننا الآن نملك صناديق معدنية ذات غطاء للقمامة، فبإمكاننا أن نستريح بسهولة.



34



نهض "جوستافو" في التاسعة والنصف كعادته كل سبت. في العاشرة سيلعب مباراة تنس مع "إلتانو". ألقى نظرة خاطفة من الشباك، فلم يجد سيارة الدفع الرباعي الخاصة بـ"كارلا"، كانت قد رحلت بالفعل. بحث في دولابه عن ملابس التنس. وجدها، مغسولة، ومكوية ومطوية بأناقة على الرف. تتركهم "كارلا" عليه كل سبت، فلا يبحث عنهم كثيرًا ولا يتضايق لتأخره عن المباراة.

ارتدى ملابسه، ربط حذاءه الرياضي أضيق من المعتاد. لماذا ذهبت مبكرًا جدًّا، إذا كانت الوكالة تفتح في العاشرة؟ نزل ليتناول الإفطار. كان بانتظاره على السفرة منديله، وكأسًا نظيفة، وترموس القهوة، والجريدة، والسكرية، ومربى الخوخ التي يأكلها كل صباح وشرائح الخبز المحمص في سلة الخبز، ملفوفة بمنديل أبيض. فك المنديل. كان الخبز لا يزال دافئًا. وضع يده على الخبز الدافئ. قدّر أن "كارلا" قد رحلت منذ ما لا يزيد على العشر دقائق. شعر بالحزن لأنه لم يسمعها وهي تنهض. تصفح الجريدة سريعًا من دون اهتمام، ثم نظر إلى ساعته. العاشرة إلا ربعًا. اتصل بها على المحمول، وجده مغلقًا.

وصل الملعب متأخرًا بدقائق قليلة، فأنَّبه "إلتانو". لماذا عليها العمل في العطلات الأسبوعية أيضًا؟ بل لماذا تحتاج للعمل؟ فهو يربح ما يكفي ويزيد للحفاظ على مستوى معيشتهم. بدأ بمباراة زوجي مع "إلتانو"، كعادة كل سبت، ولكنه أفلت كرات عديدة جدًّا، فغضب "إلتانو"، وبعد الشوط الأول عبَّر عن رغبته بإيجاد شريك آخر. بدأ شوط جديد. تفهَّم أن وكالة العقارات تعمل في العطلات الأسبوعية أكثر من أيام الأسبوع المعتادة، وخصوصًا الوكالة التي تتعامل مع المجتمعات المغلقة، لا بد أن يكون هو أول مَنْ يفهم هذا، حيث إنه

اختلق قصة ضياع محمول "فرجينيا" ليجعلها تقابله في العطلة الأسبوعية. كانا بحاجة ماسة إلى إيجاد منزل ينتقلان إليه فورًا، والاستعجال لا يميز بين أيام العمل والإجازات. هو لم يعد يطيق رؤية أولئك الذين انتقدوه أو أشفقوا على عجزه في التحكم في نفسه. لقد ملأوا رأس "كارلا" بكل أنواع الظنون، وهو ما يصعب معه حل أي شيء. كان بمقدورهما إيجادُ حل معًا، من دون أي شخص آخر يحشر أنفه بينهما، وعدها، ووعدته، ولكن هل من الخطأ مطالبة الزوجة بالبقاء في المنزل يومي السبت والأحد؟ سأل نفسه ذلك السؤال عندما قام خصمه بإرسال كرة فشل في صدها. يجب أن تتفهم هذا، رنّ الموبايل وسط الماتش، جرى باتجاه المقعد ليرد عليه. لم تكن "كارلا"، فأغلق الخط في الحال، والتفت ليعود إلى الملعب، ثم قرر العودة وفحص رسائله. بدأ "إلتانو" بالتمرين على ضربات الإرسال، مُنفِسًا عن غضبه الشديد من المقاطعة. خسر "جوستافو" الشوط التالي والذي بعده، خسرهما رغم إنه كان ماتشًا زوجيًّا. لم يطق "إلتانو" التحدث معه، ولم يمكث "جوستافو" لتناول الكوكاكولا عقب المباراة:

- إنني قلق جدًّا، هناك بعض المشاكل في العمل.

فأجابه "إلتانو" بحدة:

- واضح.

عاد إلى المنزل وتوجه مباشرة للمطبخ، صب لنفسه بعض الماء البارد: كوبين، شرب واحدًا تلو الآخر، من دون أن يأخذ نفسًا. اتصل بـ"كارلا" مرة أخرى، ولا زال محمولها مُغلقًا، فاتصل بمكتب "فرجينيا":

- خرجت "كارلا" لعرض منزل لعميل.

"كارلا" في سيارة عميل، سيارة رجل:

- حسنًا، سأخبرها أنك اتصلت.

استحم، كان الماء ساخنًا أكثر مما ينبغي فآلم ظهره. تناول الغداء، بمفرده، من دون أن يرتدي ملابسه، اكتفى بلف المنشفة حول وسطه، وقدمه عارية.

وضع الأطباق في الحوض، ثم صعد ليرتدي ملابسه، وأرسل رسالة أخرى: "كلمينـي"، فـتح بـاب غرفـة ملابـس "كـارلا"، ولكنـه لم يـدخلها. قـام بتـشغيل التليفزيـون، ثـم أغلقـه، ونـزل، روى النباتات، ونظَّف حمَّام السباحة. ستعود "كارلا" في الخامسة على أقصى تقدير، فقد اتفقا عـلى ألا تعمل أكثر من هذا، وفي الخامسة والنصف اتصل بها مرة أخرى. ما زال تليفونها مُغلـق. لم يرسل أية رسالة تلك المرة. صعد لحجرة النوم، وفتح التليفزيون مرة أخرى، وشاهد فيلمًا كـان قد بدأ بالفعل. ظن أنه شاهده من قبـل، نعـم، هـو شـاهده مـن قبـل. دخـل غرفـة ملابـس "كارلا". مرر أصابعه بين ملابسها، شمَّاعة عقب شمَّاعة. تشممها، وعانقها، وتوقف عند التنورة البنية الحرير التي ارتدتها في عيد ميلاده الأخير. كانت ناعمة، وتفـوح برائحتهـا فـدفن وجهـه فيها. مع أي عميل آخر هي الآن؟ زفر في الحرير البني، وتركها، أخـذ يخمـن مـا الـذي ارتدتـه هذا الصباح. لم يجد الحذاء الأسود عالي الكعب الذي أعطاه لها في عيد زواجهما الأخير، حـذاء فاخر أكثر من اللازم للنزول من السيارات وعـرض المنـازل. والقمـيص الأبـيض القطنـي، الـذي تظهر من تحته حمَّالة صدرها. بحث في شماعاتها مرة أخرى. بالتأكيد لم ترتـدِ هـذا القمـيص. نحَّى الشمَّاعات جانبًا بعنف، وقع قميص آخر من شـماعته عـلى الأرض. داس عليـه بقدميـه. يريد أن يجد القمـيص الأبـيض القطنـي. لم يجـده. عـلى الـرف الأخـير، بجانـب الـشباك، كـان محمول "كارلا" يشحن.

نزل وحضَّر فنجان قهوة، سوداء، شديدة السواد، ملأها بالسكر. بردت القهوة في فنجانهـا. لا يمكن أن ترتدي ذلك القميص والحذاء لتعرض المنازل وقطع الأراضي للبيع. اتـصل بالوكالـة، ثم قفل الخط، إذا ما كانت "فرجينيا" تعلم وتغطي عليها، فإن آخر ما يحتاجه هـو أن يظهـر كالغبي. رنّ التليفون، فجرى ليرد عليه، كان واقفًا بجـواره، ولكنـه جـرى عـلى أيـة حـال. كـان "إلتانو" هو المتصل:

- أتريد اللعب غدًا؟ لقد جعلتني مباراة اليوم راغبًا في المزيد.

- حسنًا، موافق.

- هل حدث شيء؟

- لا.

- متأكد؟

- متأكد، سأراك غدًا الساعة العاشرة.

- سنتقابل الليلة في منزل "إرنستو أندرادي"، هل نسيت؟

- لا، لم أنسَ.

أغلق الخط وعاد للدور العلوي، ذهب إلى غرفة الملابس، فتح تليفون "كارلا" وفحص المكالمات التي أجرتها في ذلك اليوم واليوم الذي قبله. الوكالة، تليفونه، بريدها الصوتي، حارس "كاسكايد هايتس"، الوكالة مرة أخرى، رقم لم يتعرف عليه، اتصل به وانتظر الإجابة:

- "سيني فيلاج"، مساء الخير...

أغلق الخط، رقم آخر غير مألوف، اتصل به وأجابه صوت رجل، جعله يقول "ألو" عدة مرات، ولكنه لم يتعرف على الصوت، ربما يكون عميلًا للوكالة أو لا، ربما كان أحد الرجال الذين تعرفت "كارلا" عليهم في غرف الدردشة. في الصباح الباكر عندما لم تستطع النوم، على الرغم من إنكارها لزيارتها لغرف الدردشة، حتى عندما انتزع يدها من على ماوس الكمبيوتر، ولوى ذراعها خلف ظهرها حتى صرخت من الألم. خرج للحديقة، رش الأعشاب، نظَّف حمَّام السباحة مرة أخرى، حيث نثرت الرياح أوراق شجر قليلة عليه. لم يحب أبدًا "فرجينيا جيفارا"، أمَّا "روني" فنعم، ولكنها ظهرت له كشخص غير موثوق فيه، حيث سألته أسئلة كثيرة جدًّا في اليوم الذي أجَّرت له المنزل، وأطلقت تعليقات غبية، وكذبت عليه - لم يتذكر الكذبة - لكنها كذبت بالتأكيد، تمامًا كاحتمالية كذبها الآن: "لقد أخبرتها بأنك اتصلت، ألم تتصل بك؟ الموضوع هو أنه لدينا اليوم عمل كثير بشكل غريب، الشمس ساطعة والجميع يريدون الانتقال إلى النادي الخاص بنا".

أخرج السيارة ليأخذ جولة في الحي وأخذ يمر بكل الطرق، الرأسية، والأفقية، الأزقة، ثم العودة إلى الطرق الأفقية مرة أخرى، لم يرها، فأي سيارة من تلك السيارات الراكنة أمام أي منزل قد تكون سيارة الرجل الذي تعرض له زوجته الباسمة الآن - بحذائها الأسود عالي الكعب وقميصها القطني الشفاف - غرفة نوم. عاد إلى المنزل. اصطدم بـ"مارتن يورفيتش" عند أحد النواصي، ولكنه رفع يده واستمر في طريقه. في السابعة مساءً، ذهب إلى المطبخ، إلى البار، وصبّ لنفسه ويسكي، ماذا إذا كانت قد ذهبت للسينما مع شخص آخر بدلًا من عرض المنازل في "كاسكايد"؟ خرج عائدًا للحديقة، ركل فرع شجرة سقط بجوار ممر شجر "الكبراش". في البداية إلى السينما، ثم ماذا بعد، ماذا؟ عاد للداخل، وصعد لغرفة النوم. فحص المكالمات الواردة على محمول "كارلا"، مسحتها، لماذا مسحتها؟ صبّ لنفسه كأس ويسكي أخرى، أخذ الكأس إلى الحديقة وألقى بنفسه على الشيزلونج، شرب الكأس على جرعة واحدة، عاد للداخل ليجلب الزجاجة، كان بها ما يكفي لثلاث أو أربع كؤوس ويسكي، تركها على الأرض، بالقرب منه، وماذا بعد - ماذا؟ إنها الساعة السابعة والنصف ولم تتصل به طوال اليوم. لم تهتم حتى بحالي، هكذا ظن، هز الزجاجة فوق كأسه، فسقطت نقطتان، ثم لا شيء، ثم عاد إلى المنزل ليحضر زجاجة أخرى، فتحها. كانت صعبة الفتح، سمع صوت موتور سيارة أمام المنزل، نظر من الشباك. كان أحدهم يستخدم مخرج جراجه ليدور بالسيارة إلى الخلف، شخص ما، وليس "كارلا". تذكَّر أن "كارلا" بدت جميلة جدًّا مُؤخرًا، أجمل من المعتاد، سمراء وجسدها متناسق بسبب الجيم. ترتدي قميصًا قطنيًّا شفافًا. عاد خارجًا للحديقة، مر على حمام السباحة، تحرك النسيم على الماء، ولكن لم يُسقط مزيدًا من أوراق الشجر في حمام السباحة. رقد على الشيزلونج، رنّ التليفون، نهض ليرد عليه وفي نوبة استعجاله أسقط الزجاجة، جرى ناحية المنزل، فسأله "إلتانو" من الجانب الآخر:

- هل نمر عليك لنأخذك في سكتنا إلى منزل "إرنستو"؟

- لا، ليس ضروريًّا.

- بجد، هل كل شيء على ما يرام؟

- نعم، لا تقلق.

- هل ستلحق بنا فيما بعد؟

- لا أعلم.

- ماذا تعني بأنك لا تعلم؟

- لا أعلم يا "تانو"، لا أعلم.

عاد صاعدًا إلى غرفة النوم وغرفة ملابس "كارلا"، جلس على الأرض، نظر إلى ملابسها، وظن الآن أن مجموعة الألوان والأنسجة المتدلية تخفي رسالة ما عليه فك شفرتها، تحدث إليهم. لماذا تفعل هذا معي؟ أمسك فستانًا به زهور صفراء، أفرغ كأسه في جوفه، لا أستحق هذا، فتح قميصًا أسودَ، وقطع جميع أزراره، ثم اندفع إلى الشماعات، وأخذ يجذب شماعتين أو ثلاثًا في كل مرة، قاذفًا بها إلى الحائط، وفي النهاية، فرغت العارضة والرفوف وجلس وحيدًا في غرفة الملابس الضيقة، سكرانَ ومُحاطًا بالأقمشة الملونة والشمَّاعات. بكى، وهو جاثمٌ على ركبتيه، بكى، محتضنًا للفستان، وعندما لم يعد هناك المزيد من الدموع، جفف وجهه بالفستان، وركل باب غرفة الملابس ليفتحه، اصطدم بالحائط، وخرج، ليتمشى في الحديقة، أربكته ضوضاء صراصير الليل، ألقت السماء الممتلئة بالنجوم أكثر مما رآها من قبل بثقلها على جبهته، تناهى إليه صوت موتور سيارة قادم من أمام المنزل، لكن هذه المرة لم يذهب ليرى مَنْ بالخارج، حيث سيستغرق المجهود للنهوض من الشيزلونج وقتًا طويلًا جدًّا، انطفأ الموتور، ثم سمع صوت باب سيارة ينغلق، وظهرت "كارلا" فجأة على الممر المصنوع من قطع خشب "الكبراش"، متعجلة، وجميلة، وجسدها متسق بفعل الجيم، شعرها أشعث، لماذا تشعث شعرها؟ كانت تمشي على الخشب لتتجنب انغراز كعب حذائها الأسود في العشب المرشوش حديثًا. في البداية إلى

السينما، وماذا بعد، ماذا؟ لم تكن ترتدي القميص الأبـيض. ارتـدت آخـر مختلفًـا، لونـه فـاقع، أصفر أو برتقالي، يصعب تحديد لونه في الظلام.

قالت:

- مرحبًا.

وقف بجوار الشيزلونج ورآها تقترب:

- لقد تأخرت قليلًا.

رآها تقترب:

- لدينا موعد عند عائلة "أندرادي" الليلة، أليس كذلك؟

مشي "جوستافو" باتجاهها، ببطء مترنحًا قليلًا:

- نسيت تليفوني المحمول.

وقف أمامها، جميلة، سمراء، شعثاء، وماذا بعد ذلك؟ اقتربت لتقبِّل خدَّه، لكـن في لحظـة ضم "جوستافو" قبضته، وقبل أن تفعل، لكمها، لكمة في فكِّها تمامًا.



35



طلبت لجنة الانضباط رؤية "مافي" و"روني"، ليس لمشكلة بخصوصهما، ولكن بخصوص "خواني"، لم يذكر أحد المخدرات، أو القائمة، أو تدخين الحشيش، حيث كان عنوان الملف "فعل فاضح في مكان عام". قام هو واثنان من أصدقائه بخلع بناطيلهم أمام سارية العلم، في الساعات الأولى لصباح السبت، عقب حفلة، وطبقًا للتقرير، حدث هذا بحضور فتيات، "فتيات هتفن تشجيعًا"، كما قال "خواني" فيما بعد، عندما طلبت منه "مافي" و"روني" توضيحًا للواقعة.

حذَّره "روني":

- لا تفكر حتى في قول هذا عند سؤالهم لكَ عن الموضوع.

حيث ستأخذ اللجنة أقوال الصبية، وإذا ما ثبتت إدانتهم، ستطبق عليهم عقوبة مناسبة:

- مذنبون لروعتنا؟ أمام أصدقائنا؟ أهذه هي النهاية أم أنكم جادون فعلًا؟

- لا بد أنهم ليسوا أصدقاءكم وحسب، لأن أحدهم أبلغ عنكم.

- كنا نمرح ونعبث فحسب.

- لا تقل هذا أيضًا.

- وماذا يجب أن أقول إذن؟

كان ميعادهم بعد أسبوع، سيتم سماع حالتهم وتقييمها، وإذا ما وجدتهم اللجنة مذنبين، ستقر عقوبة مناسبة وستعرض خيارًا من اثنين: الاختيار الأول،

الرفد المؤقت، حيث لن يشارك المذنب في الأنشطة الرياضية أو يستخدم المرافق المشتركة لفترة طويلة من الوقت، والاختيار الثاني دفع غرامة والاستمرار في استخدام التسهيلات الاجتماعية والرياضية: "منع المذنب وأصدقائه من التجول في المناطق القريبة، مع كل المشاكل التي يتسبب فيها الكسل".

وإذا ما تم إقرار الاختيار الثاني سيدفع الأب الغرامة ويتجنب الابن الرفد المؤقت.

تكلمت "مافي" و"روني" مع "خواني" عدة مرات قبل ميعاد سماع أقواله، استخدما طريقتهما الاستجوابية في البداية، لتسوية أية شكوك أو تردد، تمرنا معه، وأعطياه إرشادات، أخذ "روني" يكرر:

- لقد كانت مُزحة، لم تعلم بوجود الفتيات، لم تقصد مضايقة أي شخص.

سألته "مافي":

- هل كنت سكرانَ؟ هل دخنت الحشيش؟

نظر لها "روني" بغضب، ولم يقل "خواني" شيئًا، فكررت السؤال من دون الالتفات إلى ضيقهما، فهي تعرف الأسئلة التي سيلقونها عليه.

فقال "خواني" غاضبًا:

- بيرة، ولكنني لم أكن سكرانَ.

فبدأت "مافي" في البكاء.

- ألم تشربي البيرة أبدًا يا أمي؟

- لم أخلع بنطالي أبدًا أمام أي شخص.

فقال "روني":

- أنا خلعت بنطالي من قبل.

حان دورها في أن تنظر إليه بغضب، فقالت مرة أخرى وكأنها لم تسمع ما قيل من قبل:

- كنت تدخِّن الحشيش.

- أمي، لقد كان الأمر مُزحة، ألا يفهم أحد هذا؟

لم تفهم هذا، ولم تسمعه حتى، ولم تعرف كيف تفكر بعد الآن.

تألفت لجنة الانضباط من ثلاثة أعضاء من سكان نادي البلدة، يتعاملون مع أي مخالفة تبلغ عنها اللجنة، ودائمًا ما يكون الحديث عن "المخالفات" بدلًا من "الجرائم"، لأنه لا توجد في "كاسكايد هايتس" جرائم، باستثناء تلك الجرائم التي يقترفها الحرفيون، والخدم أو العمال الآخرون، وفي تلك الحالات، يتحرك الأمر في خطوط مختلفة، أما فيما يتعلق بسكان "كاسكايد"، فإذا ما قام أحدهم، أو أطفالهم، أقاربهم أو أصدقاؤهم بارتكاب جريمة، فلا يتم تقديم أي بلاغ رسمي إلى أية سلطة خارج بوابات الحيّ، فنحن نحاول حل كل شيء خلف الأبواب المغلقة، خلف الحواجز؛ السرقة، الاصطدامات، الاعتداء. تأتي جميع أنواع المخالفات أمام لجنة الانضباط، ودائمًا ما يجدون حلولًا، بسبب وجود الرغبة في حلها، إذا ما تورطت في مشاجرة مع شخص ما في الشارع، أو في البار أو السينما، وجرحته، سينتهي بك الحال في السجن، ولكن إذا ما كانت المشاجرة مع أخيك، في حديقة منزلك، فالأمر مختلف بالتأكيد. فلا أحد يحلم بأخذ ذلك الخلاف خلف حدود ذلك البيت والعائلة، والحال نفسه في مجتمعنا، فـ"كاسكايد هايتس" مثل عائلة كبيرة تمتلك حديقة كبيرة، وبالتالي، يجب أن تحقق العائلة بنفسها في الجريمة وتختار العقوبة، ومن خلال رعاية لجنة الانضباط، وغالبًا ما لا يتم تطبيق القانون الفيدرالي هنا على عكس ما يحدث في العالم الخارجي - فلا يتم تدخل ساحات المحاكم والمحاكم القضائية أبدًا. في حالات خاصة، إن لم يتم إثبات التهمة، فليس هناك جريمة. أمَّا في حالة حدوث مشكلة عامة، فسيغض النائب العام الطرف عنها. لن يقوم أحدٌ في "كاسكايد هايتس" أبدًا بتقديم بلاغ في قسم الشرطة، ليس فقط لأنه ليس من عاداتنا فعل

هذا، ولكن لأن الفكرة نفسها مثيرة للامتعاض بشكل كبير. كل شيء يتم فحصه سرًا. يتم تقديم الشكاوى إلى إدارة النادي الاجتماعي، ويفصل فيها النادي، حيث يقر النادي العقوبة أو البراءة.

لا تضع الشرطة الحقيقية قدمها هنا، ولا قوات شرطة "بيونس آيرس" أو الشرطة الفيدرالية، فقط حرَّاس الأمن الخاص على نفقة السكان. هناك بعض العيوب في تلك الاتفاقية: فللشباب الحرية في تدخين الماريجوانا في نادي الشباب أو في ملاعب التنس البعيدة، ولا يحتاجون إلى الاختباء من أي شخص باستثناء آبائهم، وأحيانًا لا يختبئون منهم، ومثل البالغين، يعلمون أنه مهما فعلوا، فإن أسوأ شيء يمكن حدوثه هو إدراج مخالفتهم في سجل ومثولهم أمام لجنة الانضباط، تمامًا كما سيمثل "خواني" الآن لعرض نفسه.

سأل "خواني":

- أيجب عليّ فعلًا الذهاب والإدلاء بأقوالي؟

- نعم.

- يا لهم من مجموعة من المنافقين.

فأجابته أمه باكية:

- هذا ليس بخصوصهم، بل بخصوصك أنت.

فقال أبوه:

- الموضوع يشتمل الجميع.

فسألهما "خواني":

- وما الذي يريدونني أن أخبرهم به؟ إنني خلعت سروالي. حسنًا. هذا أقصى ما يمكنني إخبارهم به، ولكن لن أقول أي شيء آخر سيتمكن هؤلاء الثرثارون الثلاثة من فهمه.

ذهب "خواني" للإدلاء بأقواله، وذهب أصدقاؤه أيضًا، تم تطبيق الرفد المؤقت على "خواني"، وعلى الرغم من أنه لم يذكر أحد شيئًا عن هذا، إلا أن ملفه اشتمل على نسخة من ملف "الأطفال المعرضون للخطر"، وفضّل والد "ماركوس" أن يدفع الغرامة، أما "توبياس" فقد خرج من دون عقوبة أو غرامة بعد إنكاره لوجوده في "كاسكايد هايتس" في تلك الليلة مُبرهنًا على ذلك بثلاثة شهود إثبات أن والده محامٍ.



36



في أحد أيام الخميس التي يتجمع فيها أزواجنا في المساء لتناول العشاء ولعب الكوتـشينة، اتـصل "إلتـانو"، وطلـب أن يكلمنـي أنـا ولـيس "روني". دعـاني أنـا و"كـارلا ماسـوتا" و"لالا يوروفيتش" لتناول العـشاء مـع الرجـال في بيـت "سـكاليا". مـن الواضـح أن "تيريـزا" سـتكون موجودة أيضًا، "أرامل الخميس" -كما أطلق علينا - في كامل قوتهن.

طيلة كل تلك السنين، كانت تلك هي المرة الأولى التي نشارك فيها أزواجنا ليلة الخمـيس. أخبرت "روني" وتفاجأ، حيث لم يعرف بالأمر، وقال:

- لقد أصبح "إلتانو" مُريبًا في الآونة الأخيرة.

لم ألحظ أي شيء عكس ذلك، ولكن بعد ذلك، ولمدة طويلة حتى الآن تركز انتبـاهي عـلى "خواني"، وتضاءل باقي العالم ليصبح مجرد طيف يمر أمامي. بفضل "روني"، انتقلت مـن حالـة الغضب العارم إلى حالة الـشفقة عـلى الـنفس، والتـي ربمـا لم تكـن في صـالح "خـواني" ولكـن إخفاءها كان أسهل على الأقل. مع ذلك، لم أستطع بعد التوقف عن التجـسس عليـه وتفتـيش أشيائه. لم أكن متأكدة إن كان هذا شيئًا جيدًا أم لا.

- ألم تلحظي أن "إلتانو" أصبح لديه 'سكسوكة'؟

- وما علاقة هذا بأي شيء يحدث حولنا؟

- ويأخذ حمام شمس.

- لا بد أنه يريد أن يبدو وسيمًا.

- هذا هو الغريب بالأمر، فهو كان وسيمًا في السابق بالفعل.

خشيت أن يكون هذا العشاء ما هو إلا تعويض لـ"الخذي الذي أصابنا، ليس فقط بوجود ابن مُدمن، ولكن تعويض لكوننا جميعًا نعرف عن إدمانه". كتعاطف "تيريـزا" عنـدما جـاءت إلى مكتبي بعد يومين أو ثلاثة من حديثها معي في التليفون، عندما حذرتني من سـلوك ابنـي الخطير. إذا كان هذا هو السر وراء هذه الدعوة، فإنني أفضل الاعتذار بحجة المرض بـدلًا مـن أن أذهب وأمرض حقًا، ولذلك اتصلت بها، ولكنها لم تعرف السبب أيضًا، حيث تفاجأت تمامًـا مثل بقيتنا من دعوة "إلتانو".

- لقد أخبرني أن هناك شيئًا يريد مشاركته معي ومعكم جميعًا، ولكنه لم يقل ما هو.

غمرتني موجة من الراحة، فمشاكلي لن تكـون موضـوع النقـاش عـلى العـشاء في صـحبة الأصدقاء (إن كنا أصدقاء بالفعل).

في تمام التاسعة طرقنا الباب. رحبت بنا "تيريزا"، مرتديـة فـستانًا أسـودَ مـن الحريـر، كـان طويلًا، وسلسلة من اللؤلؤ الإسباني الذي أهداها "إلتانو" إيَّاها في عيد زواجهما الأخير.

فقلت مفزوعة:

- لم أعرف أنها سهرة بالملابس الرسمية.

كنت أرتدي الجينز وبلوزة وسترة كتانية انتهت موضتها منذ عامين.

مازحتني:

- ولا أنا، لقد اختار "إلتانو" ملابسي ولم يسمح لي بتغيير أي شيء، بدأت أقلق.

اتجـه "روني" إلى المطـبخ بزجاجـات النبيـذ التـي احـضرناها، وتبعتـه أنـا و"تيريـزا" بعـدة خطوات، وسمعته يقول:

- نبيذ "سيرا".

وهو يسلم الزجاجات إلى "إلتانو"، همست "تيريزا":

- أتساءل إن كان سيعلن عن رحلة، أو شيء من هذا القبيل، كنا نتحدث عن السفر إلى "ماوي"، ولكنني أعتقد أن الأمر أكبر من هذا، أليس كذلك؟

فأجبتها:

- بلى.

ولكن من دون اقتناع كبير.

عادة أستطيع معرفة ما يدور برأس من أمامي، وتخمين ما يفكر فيه أو يشعر به، وهي موهبة مفيدة في عملي. كتبت في دفتر مذكراتي الأحمر عقب بيعة صعبة: "معرفة نوع المنزل الذي يريد العميل شراءه، وأن هذا المنزل لا يشبه ما قد اشتريه لنفسي، يوفر الوقت ويمنع سوء الفهم". لكن دائمًا ما يصدمني "إلتانو" بغموضه، تمامًا مثل "خواني"، وعلى الرغم من وجود مناسبات شعرت فيها بأنني بدأت أفهمه، فغالبًا ما أبدأ فورًا الشك في أن حتى هذا التعاطف الظاهري ما هو إلا نتيجة لحيلة متعمدة منه.

في المطبخ، كان "إلتانو" يعد دجاج "تندوري" لضيوفه، مُرتديًا مريلة بيضاء وقبعة طاهٍ. "روني" محق، يبدو غريبًا، ولكن هذا ليس بسبب لحيته أو اللون الأسمر، إنه بسبب لغة جسده المبالغ فيها، فأحيانًا ما يبدو وكأنه يعد خطواته. فما نعرفه هو أنه حازم وقوي، فقد كان "إلتانو" دائمًا شخصًا متزنًا، ومتحفظًا. إذا ما أراد أن يستمع إليه الناس، يتحدث بهدوء، فهو لا يحتاج للصياح، لم يحتج للصياح في ذلك اليوم الذي وصل فيه لـ"كاسكايد" وقال: "أريد هذه الأرض". إذا كان سعيدًا، يشارك أصدقاءه في زجاجة شمبانيا من نوع "بوميري"، وإذا كان حزينًا يفوت ميعاده معهم، أو يزدريهم، ولكنه لا يتلاءم مع الشخصية الضاحكة، أو الذي يقابل الناس بالأحضان، أو يذرف الدموع، وفي تلك الليلة بدا وكأنه قادر على فعل أي شيء من تلك الأشياء الثلاثة.

انتظرنا قدوم الجميع قبل التوجه معًا إلى السفرة، قدموا لنا شامبانيا، شعرت بالدوار بعد شربي الشامبانيا على معدة فارغة، فذهبت إلى أحد الشبابيك الكبيرة، توهج خط من البرق في السماء وكسرت قطرات المطر الثقيلة سكون المياه في حمَّام السباحة. لطخت البقع المبتلة الأرضية الخشبية، واختلطت رائحة الأرض الرطبة براحة الطعام القادمة من المطبخ. كانت الخادمة قد انتهت لتوها من وضع الأطباق على السفرة. أعد "إلتانو" أكلة السلطعون والجمبري بالأفوكادو، وقال:

- لا تسألوني عن سر الخلطة، فأنا لا أفشيه أبدًا.

وأشار إلى الخادمة بإشارة لما أفهمها، ولكن من الواضح أنها فهمتها، لأنها خرجت بسرعة محنية الرأس. كان الخميس هو يوم إجازتها، ولكن "إلتانو" طلب منها البقاء، لأن: "الأرامل الصغيرات قادمات". على الرغم من أنني لا أفترض أنها فهمت المزحة، فكل مَنْ يعيش في حيّنا يعرف "أرامل الجولف"، اللاتي يهجرهن أزواجهن كل عطلة أسبوعية لأربع ساعات على الأقل يلعبون فيها ثماني عشرة جولة في الملعب. كان لقبًا أكثر خصوصية، ولا يمكن لأحد خارج دائرتنا ان يعرف عنه شيئًا، لولا أنه اتضح أنه يتنبأ بالمستقبل.

وكالمعتاد دائمًا، نجلس نحن النساء معًا حول أحد نصفي السفرة، ونترك الآخر للرجال. سفرة "إلتانو" مصنوعة من خشب الكرز، وهي أكبر سفرة رأيتها في حياتي، حيث تتسع لاثني عشر شخصًا بأريحية، ويمكن أن تتسع لتشمل ستة عشر شخصًا ملتصقين ببعضهم البعض، وقال "إلتانو":

- اليوم أريد أن يختلط الناس.

رمقني "روني" بنظرة متواطئة، فإذا كان "إلتانو" على استعداد للتحدث مع إحدانا، فالأمور قد تغيرت بالفعل.

وعندما كان الطبق الثاني في الطريق واستعد "إلتانو" للإلقاء ما جمعنا من أجله، قال "جوستافو" مازحًا:

- ها هو "الأسادور".

وسألته "لالا":

- هل "تاندوري" نوعٌ من الكائنات؟

فصحح لها "روني" بهدوء:

- تقصدين "التوابل"؟

ولكنه لم يجب سؤالها، ولم يجب أي شخص آخر، بعضنا لم يجبها لأننا لم نعلـم، والآخـرون لأنهم لم يسمعوها، وبلا شك لم يجبها "إلتانو" لأن السؤال أغضبه، فمن بين كل النـساء، كانـت "لالا" هي أقل امرأة احترمها، حيث عبّر "إلتانو" عن اندهاشه ذات ليلة لـ"روني":

- كيف تجمعت كل هذه الغباوة داخل عقل شخص واحد؟

سأله هذا بعد محاولتها المشاركة في مناقشة جماعية عن الأولويات التي يجب أن تـتحكم في ميزانية العام التالي وأصرت على أن يتم تخصيص جـزء كبـير لاستئـصال نبـات "تيلاندسـيا"، أجابت نفسها:

- لا بد أن تكون "توابل"، صحيح؟

بالكاد تكلمت "كارلا" في تلك الليلة. لم تأتِ إلى المكتب لفترة كبيرة، مر أسـبوع منـذ آخـر مرة جاءت فيها. زعمت أنها تعاني مـن دور إنفلـونزا شـديد، وأنهـا لا تـزال تـشعر بالـضعف، ولكنني لم أصدقها، حيث بدت حزينة، ومكبوتـة، وعنـدما سـألتها إن كانـت تـشعر بتحـسن، أجابتني:

- مرهقة.

لم ينجح كريم الأساس الذي تضعه في إخفاء الكدمة البنفسجية تحته.

قبل تقديم الحلويات، وقف "إلتانو" عند رأس السفرة ونقر كأسه بالشوكة، وتذمر قائلًا:

- يا له من سلوك غير محترم، ففي الأفلام، عندما يفعل شخص هكذا، يصمت الجميع.

فسأله "جوستافو":

- وهل تصدق الأفلام يا "تانو"؟ هذه هي الحياة الواقعية يا "تانيتو"، الحياة الواقعية.

ضحك "إلتانو"، وضحكنا جميعًا من دون أن نعرف لماذا.

فقال:

- أصدقائي.

وتوجه إلى "تيريزا":

- حبيبتي، أريد أن أشارككم جميعًا قرارًا مهمًا اتخذته.

فسخر "روني":

- لقد اعتزلت لعب التنس...

فأجابه:

- لن يحدث هذا أبدًا. سأستقيل من شركة "تروست".

حل الصمت. حافظ "إلتانو" على ابتسامته، وكذلك "تيريزا"، ولكن ابتسامتها كانت فارغة، حيث اتسعت عيناها بشكل مبالغ فيه. لن أقدر على التحدث عن الآخرين، حيث انشغلت أيضًا بردود أفعالي، ووجدت الموضوع صعب الاستيعاب، وجاهدت خلاياي العصبية ضد فقاعات الشامبانيا لتقرر ما هي "تروست" تلك التي تركت كل شخص مذهولًا فجأة، وكأن "إلتانو" قس أعلن هجره للأوامر المقدسة.

حاولت "تيريزا" أن تقول:

- عرضوا عليك شيئًا آخرَ...

ما زالت مبتسمة، مفترضة أن زوجها على وشك الحصول على منصب أعلى في الشركة.

فأجابها بهدوء:

- لا، لا.

وضحك قائلًا:

- لقد تعبت من العلاقات المشروطة، فالتحقت بصفوف العاطلين.

وبدا أن "تيريزا" لم تستحسن الدعابة.

حذر "إلتانو":

- احذر يا "جوستافيتو"، فهذا الأمر قد يكون مُعديًا.

بدا أن "مارتن يوروفيتش" قد احمر خجلًا، ولكن لا أعلم، ربما هكذا فقط بدا لي، ربما اعتقدت أنه يجب عليه هذا، لأنني، لو كنت مكانه، لاحمررت خجلًا، ربما حتى استحييت بالنيابة عنه، أو بالنيابة عن "روني"، فهو عاطل كذلك. يخدع نفسه بأنه يعيش على إيراد الإيجار، لكن تلك الإيجارات أقل بكثير من تكاليفها.

أجابه "جوستافو" أخيرًا:

- لا، أرجوك، لن يكون لي وجود ما لم أعمل في شركة. أن بحاجة إلى "الأخ الأكبر" الخاص بي.

قال "مارتن يوروفيتش":

- نفكر في الانتقال إلى "ميامي".

فسخر "إلتانو":

- لا تكن سخيفًا.

قالت "لالا":

- سنذهب إلى "ميامي".

وبدون أن ينظر إليها قال "إلتانو" لـ"مارتن":

- هل أنت جاد؟

فهز "مارتن" رأسه، وامتلأت عينا "لالا" بالدموع وذهبت للحمام.

سألت "تيريزا":

- أيريد أي أحد المزيد من "التاندوري"؟

سألتُ "مارتن":

- أسعيد أنت؟

ولكن أجابني "إلتانو":

- منتشٍ، كنت أخطط لهذا منذ فترة، تعبت من كسب الأموال لغيري، أريه كل شيء لنفسي.

فسأله "روني":

- ما الذي تنوي فعله؟

- لا أعلم بعد، لديَّ أفكار مشاريع كثيرة في عقلي ومن حسن الحظ أنهم أعطوني مكافأة نهاية خدمة جيدة للغاية، وبالتالي، بالإضافة إلى أموالي في البنك، بمقدوري أخذ الوقت المناسب للتفكير بأي مشروع سأبدأ أولًا.

فقال "جوستافو":

- لقد تم حساب كل شيء بهدوء...

فأجاب "إلتانو":

- تم حسابه بهدوء.

وذكّرته "تيريزا":

- وقبل أي مشروع، تذكّر رحلتنا إلى "ماوي".

فقال "إلتانو":

- سيكون هذا أول مشاريعي.

ثم قبَّلها علانيةً. كانت تلك هي المرة الأولى التي أرى فيها "إلتانو" يقبِّل زوجته علانية. تفاجأت هي أيضًا، إنني متأكدة من ذلك، ثم عرض علينا أن نشرب في نخب شيء ما، رفعنا كؤوسنا وانتظرنا "إلتانو" لينطق الاسم الذي سنشرب في صحته. بدا أن لحظة الصمت تلك ستطول.

فقال:

- لنشرب... في نخب الحرية.

ثم صحح نفسه في الحال:

- لا، من الأفضل، أن نشرب في نخب "الحياة الحقيقية"... هذه هي، في نخب الحياة الحقيقية.

تقابلت جميع الكؤوس في المنتصف عبر السفرة، الكؤوس نفسها التي ظهرت عند حمام السباحة في تلك الليلة من ليالي سبتمبر التي تحققت فيها نبوءة أرامل الخميس، لثلاث سيدات منا. كانت الكؤوس التي يستخدمها "إلتانو" في المناسبات الخاصة جدًّا، مثل تلك المناسبة.

37



تشعر "رومينا" في "كاسكايد" بعدم الانتماء. يشعر "خواني" بعدم الانـتماء أيـضًا. لا بـد أن يكون هذا سبب انسجامهما الشديد معًا. يخططان للسفر حول العالم يومًا ما، بعـد الدراسـة. لا يحب الرياضة، بإمكانه قضاء ساعات في غرفتـه يـستمع للموسـيقى، أو يقـرأ أو يفعـل مـا علمه عند اللـه. وهو ما يُعتبر غريبًا بالنسبة للبالغين من أهل "كاسـكايد هـايتس". "رومينـا" كذلك تقضي الكثير من الوقت صامتة بغرفتها. ومع هذا بشرتها داكنة. من العبث إنكار هـذا. حتى "ماريانا" لا تنكر هذا، تذكر هذا لأي شخص يريد الاستماع. لقد تم تبنيها. وعندما تخرج للشمس، تدهنها "ماريانا" بواقي الشمس:

- حتى لو وضعته على ركبتيك فقط، فلو إنهما تبدوان الآن ككتلتين مـن الفحـم، فتخـيلي كيف ستبدوان في الصيف.

"بدرو" أيضًا داكن البشرة، لكن ليس كأخته. أحيانًا تتـساءل "رومينـا" إن كانـت "ماريانـا" تعطيه شيئًا ما لتفتيح بشرته، ففي إحدى المرَّات وجدتها تغسل شعره بالبابونج. ومـن وقتهـا، تم منعها من الدخول إلى الغرفة أثناء استحمام أخيهـا. يرتـدي "بـدرو" الملابـس التـي تـروق لـ"ماريانا" ويتكلم بالطريقة التي تريده أن يتكلم بها، وبالتالي تتعامل "ماريانا" وكـأن "بـدرو" ثمرة جسدها، وكأنه لم يتم إخبارها أبدًا بأن بويضاتها فارغة، وتكرهها "رومينـا" لهـذا الـسبب، لأن تلك الكذبة تسلبها ما هو أكثر من أخيها.

تتقابـل "رومينـا" و"خـواني" كـل ليلـة، عقـب تنـاول العـشاء، يـذهبان إلى غرفتيهما، يغلقان الأبواب، وينزلان مـن الـشبابيك. منـذ أن جرحـت "رومينـا" ساقها بزجاجة البيرة تلك، كان عليها أن تعطـي الكثـير مـن التفـسيرات إذا مـا

أرادت الخروج مع "خواني" ليلًا، ولذلك تتسلل من دون إخبار أي شخص. يتقابلان في منتصف الطريـق، أحيانًـا في منطقـة عبـور المـشاة عنـد الحفـرة الثانيـة عـشرة، وأحيانًـا أمـام شـجرة "الأروكاريا" في الطريق الملتوي، ويذهبان للتمشية. من خـلال شـبابيك غـرفتيهما، يبـدو الليـل الهـادئ جـذابًا جـدًّا، حيـث لا يزعجـه أي شـخص يـسير في شـوارع "كاسـكايد هـايتس". مـن الخسارة النوم في وقت كهذا. في الليالي التي يكتمـل فيهـا القمـر، تبـدو قمـم أطـول الأشـجار فضية، وكأنها مرسومة، حتى إنك لتؤمن بأن القمـر غطّـى ببريقـه الحـي بأكملـه. تـشعر بـأن الهواء أقل تلوثًا. والسكون. أكـثر مـا تحبـه "رومينـا" و"خـواني" أثنـاء مغـامرتهما الليليـة هـو الـسكون. يـسمعان فقـط أصـوات الجنـادب والـضفادع، وتـستمر الـضفادع صـغيرة الحجـم والشفافة تقريبًا في النقيق طيلة الليل. يحب كلاهـما الـصيف، وزهـور الياسـمين التـي تحبهـا "رومينا" أكثر من "خواني"، فهي زهرتها المفضلة. علمته كيف يحصل على عطرها أثنـاء إحـدى مغامراتهما الليلية.

يتمشيان، يتزلجان، يتجسسان. تستمر "رومينـا" و"خـواني" في جـولاتهما الليليـة، يحمـلان البطاريات، كما كانا يفعلان وهما صغار، فلا تزال البطاريـات أحـد الأشـياء القليلـة التـي ظـلا يحبانها حتى بعد أن أصبحوا في السابعة عـشرة. يختـاران منـزلًا، شـجرةً، شـباكًا، ويتجسـسان عليه، لا تقابلهما الكثير من المفاجآت مثل تلك التي رأوها في البداية. ما يرياه الآن ما هو إلا تأكيدٌ لما يعرفانه بالفعل، فهما يعرفان أن زوج "دوريتا إيامبياس" ينام مع "نـاني بيريـز أييرا". لقد رأوهما في ليلة حفل العيد السنوي للنادي، في سريرها، بينما كان بقية البـالغين يرقصون في قاعة الاحتفالات بعيدًا عنهما، وبعد فترة ارتديا ملابـسهما وخرجـا ليقـود كـل منهما سيارته "الجيب" ليلحقا بالآخرين من دون شك. يعلمان كـذلك أن "كـارلا ماسـوتا" تبكي في الليل وأن "جوستافو" يلقي بالزجاجـات والأطبـاق عـلى الحـائط عنـدما يغـضب، ويعلمان عن كذبة كسر ذراع الابن الأصغر لعائلـة "إليزونـدو" نتيجـة سـقوطه مـن عـلى الشجرة، حيث شاهداه في الليلة التي فتح فيها نافذته، عقب بكائه المستمر بسبب حبس أبويه له في غرفته، ثم أزال شبكة النافذة، ثم بدأ يمشي على الـسقف المـبلط، أخـذ ثـلاث

خطوات قبل أن يسقط. شاهدا أيضًا الناس الذين ينامون بسلام، وعائلات تتناول طعام الغداء في ودٍ، أطفـال أمـام أجهـزة الكمبيـوتر أو يـشاهدون التليفزيـون، لكـن لم تـأسر أي مـن تلـك المشاهد انتباههما، فهي ليست مـا يبحثـان عنـه، لأنهـما لا يـصدقان تلـك المـشاهد، أو أنهـما يصدقانها، ولكنهما لا يفهمانها. هناك ليالٍ يكتفيان فيهـا بالتجـسس عـلى منـزل واحـد فقـط، وهناك ليالٍ أخـرى يتـنقلان مـن شـجرة لـشجرة مـن دون إيجـاد مـا يبحثـان عنـه. لا تعـرف "رومينـا" ولا "خـواني" مـا يبحثـان عنـه، ولكـنهما يعلـمان أنـه، وفي لحظـة معينـة، وأثنـاء مشاهدتهما ما يحدث خلف نافذة ما من على فرع شجرة ما، أن اللعبة انتهـت، وأنـه يكفـي لتلك الليلة ما شاهداه ولا حاجة لرؤية المزيد.

يتمشيان. تأتيهما الموسيقى من منزل "ويلي كويفيـدو"، لا بـد أنـه مـستيقظ أيـضًا، ضـوء غرفته مطفأ، لكن الغرفة ينبعث منها ضوء باهت، ربما بسبب شاشة الكمبيوتر الخاص بـه، لا بد أنه في غرفة دردشة. أرادت "رومينا" أن تبقى وتراقبه، فهي تحـب "ويـلي" ولا تـزال تفكـر فيه غالبًا، على الرغم مما فعله، فقد خرج مع "ناتاليا بيراردي" بـدلًا مـن الخـروج معهـا. لكـن أخذها "خواني" إلى مكان آخر، حيث ذهبا إلى الناصية الأولى، تسلقا شجرة أخـرى. يـضع والـد "مالينا جوميز" دبابيس الشعر في شعره قبل النوم. تراه "رومينا" من نافذة حمَّامـه الداخليـة، وشبكة شعر، في البداية، لم يصدق "خواني" عينيه، ولكنهما كبرا الصورة بالكـاميرا التـي تـسرقها "رومينا" من أبيها في الليالي التي يتجولان فيها. يذهب أبو "مالينا" إلى الحـمَّام ويتبـول، فاتحًـا الشباك والضوء، ويرتدي دبابيس الشعر وشبكة الشعر.

في "كاسكايد هايتس" لا يقلق أحد بشأن ما قد يراه الجيران، فـالجيران بعيـدون جـدًا، في مكان بعيد خلف الأشجار. فمَنْ سيتخيل أن هناك شخص ما يتجسس عليه من خلـف شـجرة البلوط بحديقته؟

38



بدآ ضربة البداية بعصيهم في الحفرة التاسعة. قام "ألفريدو إنسوا" منذ أسبوع بدعوة "إلتانو" للعب الجولف. قَبِل "إلتانو" الدعوة، لم يكن الجولف هو الرياضة التي يحبها أو يتألق فيها، كما يفعل في التنس، ولكن "إنسوا" من نوعية الرفاق الذين لا يجرؤ أحد ممَنْ يقدّرون العلاقات الجيدة على أن يخذله. كان قد تعافى منذ وقت طويل من حادثة طبق الروث الذي تركته له زوجته السابقة، وكان سعيدًا بالظهور مع زوجته الجديدة في العطلات الأسبوعية. قال:

- مجرد تسع حفرات سريعة يا "تانو"، لأنه يجب أن أكون في المكتب بحلول منتصف النهار.

حسده أكثر من فردٍ على فرصة قضاء ساعتين من الدردشة مع رئيس شركة تمويل، ولكن "إلتانو" كان متشوقًا لمعرفة ما يحتاجه "ألفريدو إنسوا" منه، فهما ليسا بأصدقاء، مجرد معرفة، على الرغم من أنه حضر تقريبًا كل حفلات عيد ميلاد "ألفريدو"، وكذلك فعل "ألفريدو"، ولكن من المعروف أن دعوة "إنسوا" دائمًا ما تتضمن خدمة في المقابل، حتى وإن كان الشخص المدعو لا يعرف ما المقابل الذي عليه أن يسديه له. على أية حال، لعبوا بالفعل ثماني حفرات، من دون أن يتحدثا عن الاقتصاد أو التمويل في العموم، لم يتم التطرق إلى أي موضوع يستفيد منه كلاهما بطريقة أو بأخرى.

ارتدت كرة "إلتانو" من قمة شجرة واستقرت في منتصف الطريق بين نقطة الانطلاق وبين كرة "ألفريدو". كان أمامهما حوالي مئة ياردة من السير قبل أن يحين دور "إلتانو" ليلعب الكرة مرة أخرى. سحب كل منهما عربته

ومشيا، وتحدثا هذه المرة في العمل. ربما انتظر "ألفريدو" هذه اللحظة بعينها: ليظل متقدمًا عليه بنقطة.

- كيف الأمور في "تروست" يا "تانو"؟

لم يعد "إلتانو" ينزعج كثيرًا بهذا السؤال، فقد مرّ عام على تسريحه، ونجح في إعداد إجابة مرضية.

- بخير، على ما أفترض...

- ولماذا "تفترض"؟

- إنني خارج الشركة الآن، أعمل معهم ولكنني لم أعد بالأهمية نفسها لهم.

- حقًّا؟ لم يكن لديَّ أدنى خبر..

بدا متفاجئًا، لكن من الصعب تصديق أن "ألفريدو إنسوا" لا يعلم شيئًا عن فصله من العمل، فـ"السوق" صغيرة و"كاسكايد" أصغر:

- ولكن هل أعمال الشركة 'جيدة'؟ أم أنك تركتها لأن الهولنديين لا يديرون المخاطرة بشكل جيد؟

- لا، تركتها لأنني تعبت من العمل معهم...

توقف "ألفريدو" للحظة ليزيل خشبة انحشرت في عجلات العربة التي يستخدمها لنقل مضاربه من أحدث منتجات شركة "كالاواي".

قال:

- أتفهمك تمامًا، أتعلم كم أسأل نفسي كثيرًا ما الذي أفعله بعملي لعشرين ساعة في اليوم في مركز المدينة؟ خصوصًا عندما أرى هذا العالم الآخر.

أنهى جملته وعيناه تنظر إلى الملعب الممتد أمامهما.

وصلا لكرة "إلتانو". لم تكن كرة سهلة، حيث تقع خلف صف من الأشجار، يمكنه أن يضربها لتعبر فوقهم، لكنه لا يريد المخاطرة بأن تعلق الكرة في الأغصان المنخفضة. أصوات الببغاء زادت من سكون الملعب. اختار

مضربًا، تدرب على ضربته، جعل نظره يتوه للحظة بين قمم الأشجار البعيدة. اتخذ وضعه مرة أخرى، وتدرب مرة أخرى، ثم ضرب الكرة، التي انطلقت لأعلى، فوق قمم أشجار "أوكاليبتوس"، ثم سقطت خلف كرة "ألفريدو" بياردتين، وبالتالي كان دوره ليلعب مجددًا. قال له "ألفريدو":

- ضربة جيدة يا "تانو".

ومشيا باتجاه الكرتين.

فتبعه "إلتانو" ليلعب دوره:

- إنها تكاد تعوِّض عن الضربة السابقة.

وعندما لم يتبق إلا حفرة واحدة للعب، سأله "ألفريدو":

- وماذا تفعل الآن؟

- كل شيء على ما يرام بحق: فما زلتُ متصلًا بهم وأساعدهم بالمشورة، وهو منصب جيد، مُريح، وعائده المادي جيد، لم أكن لأستطع لعب الجولف يوم الأربعاء في مثل هذا الوقت من اليوم إذا كنت لا أزال أعمل في منصبي المُعتاد.

- بينما في أي دقيقة الآن سيرن تليفوني المحمول وسأسرع بالانصراف، حتى ولو كنت تأخذ القليل يا "تانو"، ففي عمرنا هذا جودة الحياة لا تُقدر بثمن.

وصلا إلى كرة "إلتانو"، توقفا، "إلتانو" بجانب كرته، و"ألفريدو" منتظرًا خلفه بياردتين، لعب "إلتانو"، ثم تقدم "ألفريدو" ولعب كرته، رست الكرتان على الرقعة الخضراء، ولكن من تلك المسافة، لم يكن من الممكن رؤية كرة مَنْ أقرب للحفرة، فمشيا معًا مرة أخرى. كان "ألفريدو" يرتدي حذاء الجولف ذا المسامير التي تغرس في نجيلة الملعب مع كل خطوة:

- غريبٌ أنهم سمحوا لك بالظهور بهذا الحذاء الرياضي، اعتقدت أن ارتداءه ممنوع على هذا الملعب.

- منعوني بالفعل، لكن على رأي المثل، طلب الغفران أسهل من طلب الإذن، على الرغم من أنني لا أحب طلب هذين الاثنين كثيرًا يا "تانيتو" إن أردتَ الحقيقة.

جرت أرنبة برية أمامهما، بدت وكأن هناك ما يطاردها، ثم اختفت في مكان ما خلف البحيرة. ألح "ألفريدو":

- ولكن، هل الشركة في حالة جيدة؟

- نعم، كالمعتاد دائمًا، لماذا أنت مهتم هكذا؟

- لأنني أشركهم في عملٍ ما، لأكون أكثر دقة، عملي ليس معهم هم شخصيًا، ولكن مع بوليصاتهم، فأنا حاليًّا أقوم ببيع بوليصات التأمين على الحياة.

- وما الذي يعنيه هذا؟

- شراء بوليصات التأمين بسعر مُخفَّض. تدفع للناس مقدمًا وتصبح المستفيد من بوليصاتهم. إنه عملٌ ورقيٌ بسيطٌ جدًّا، يمكنك الانتهاء منه في دقيقتين. نقوم بهذا العمل فقط مع بوليصات شركات التأمين الموثوق بها و"تروست" دائمًا ما كانت من أفضل الشركات. ولكن بالطبع شاهدنا العديد من العمالقة ينهارون حتى إننا لم نعد نشعر بالصدمة عندما يحدث هذا، أليس كذلك يا "تانيتو"؟

فسأله "إلتانو":

- ومتى تحصل على المال؟

- عند صرف أي بوليصة تأمين حياة، عندما يموت العميل.

رنّ تليفون "ألفريدو"، فتوقف لدقيقة، أعطى أمرين أو ثلاثة ثم أغلق الخط:

- الشيء الجيد بهذا النظام هو أن الشخص الذي لديه تلك البوليصة يتمتع بالمال، وليس الأقارب، وقد بدأت بظهور الأيدز، مع هؤلاء الأشخاص الذين التهم علاجهم كل أموالهم، وبالتالي، إن كان لديهم بوليصة تأمين على الحياة، وكان واضحًا أن لا أمل في شفائهم، تعلم ما أقصد؟ فإنك تعطيهم المال، ويتمتع الشخص بالمال في الوقت المتبقي له من حياته، وفيما بعد تطالب بالتأمين.

- لم أعلم بهذا أبدًا.

- الأسواق المالية هكذا أيضًا، تتغير الأمور بسرعة الضوء. لذا عليك أن تكـون منتبهًـا دائمًـا للطرق الجديدة لإنجاز عملك، وعندما تعرف كيف تبحـث، سـتتمكن دائمًـا مـن العثـور عـلى ثغرة جديدة في السوق.

- باب يُغلق، وآخر يُفتح.

- بالضبط يا "تانيتو"، عليك أن تكون متيقظًا وأن تكون أول مَنْ يضرب متى أمكنك هـذا. تأمين الحياة واحد من تلك الأعمال اللطيفة التي توفيك حقك وزيادة: فإذا تم تقييمه بـشكل صحيح، فهو عمل بلا مخاطر. أفضل بكثير من طرح القروض العقارية. حيث تتـولى مـسؤولية البوليصة بثمانين في المئة ثم تبدأ في جني المال مبـاشرة. فكـر فقـط في أنهـا غالبًـا مـا تعطيـك أرباحًا بنسبة عشرين في المئة في السنة. معدل رائع لعين، وبالدولار يا "تانو".

- رائع.

- رائع، ومدهش للغاية.

- وهل تقوم بعمل استمارات فقط لمرضى الإيدز؟

- إطلاقًا، لقد انغلق هذا القطاع قليلًا الآن بسبب الأدوية الجديـدة التـي تطيـل في حيـاة المرضى، أقصد لماذا عليّ هذا؟ سيموت هؤلاء المساكين الأوغاد عـلى أيـة حـال، ولكـن سـتطول الفترة الزمنية وسيصّعب هذا من معرفة معدل الربحية، إنها سوق معقدة، وقد تضيع الكثـير من الوقت، نعرض الآن معدًّل أفضل لأنواع أخرى من الكوارث.

- مثل؟

- الأمراض الأخرى.. من النوعية التي لا يحب أحد ذكرها.. لا أعـرف، مثـل سرطـان الرئـة، والفشل الكبدي الحاد، وأورام المخ.. لست متأكدًا منهم تمامًا، فهذا الجزء من العمـل يربكنـي قليلًا. لدينا مستشارون طبيون يدرسون الحالة ويكتبون تقريرًا، فأنا لا أفهم سوى في الأرقام يا "تانيتو".

وصلا إلى الجزء الأخضر من الملعب. انحنى "ألفريدو" ليدرس اتجاه المنحدر، وفحص الميل من زوايا مختلفة. راقبه "إلتانو"، وشعر بأن لا حاجة له بالانحناء مثله، فهو يثق في تقدير شريكه. أخرج "ألفريدو" مضربه ومشي ناحية الكرة:

- يا "تانو"، هل يصادف أن أجد معك قائمة بعملاء "تروست"؟ لأنه إن أمكنك جلب بوليصات لنا لنطرحها للعرض، بإمكاني إعطاؤك نسبة أرباح، ففي هذا المجال، عقبة النمو هي عدم إمكانية عرضه على نطاق واسع، أتفهمني؟ وأهم سبب هو أن الناس يصدمون عند سماعهم بما يُعرض عليهم. الحال نفسه مع قطع الأراضي الموجودة في المقابر الخاصة، حيث بدت الفكرة في البداية مخيفة، ولكن الآن بات الكل يريدها.

- ليس لديَّ قائمة، ولكن لديَّ ذاكرة جيدة، وقطعة أرض في المقبرة التذكارية.

ضحك "ألفريدو" على المُزحة:

- حسنًا، دعني أعلم إن كنت مهتمًا، فبإمكانك القيام بهذا الأمر بسهولة. على أية حال، سنعطيك دورة تدريبية صغيرة، فهو مجال حسَّاس، فمن المهم معرفة الكلمات التي ستستخدمها أثناء بيعك للبوليصات، أتعلم؟ نحن نستخدم محترفون في اللغة العصبية في التدريب، وهم يعطونك الكلمات الصحيحة التي يجب استخدامها. فقط أخبرني عندما تأخذ قرارك.

- سأخبرك.

ضرب "ألفريدو" الكرة ضربة خفيفة، حيث لم تحتج المسافة لأكثر من هذا، مرّت كرته بجوار كرة "إلتانو" وسقطت داخل الحفرة. ضربة واحدة كافية بأن تجعله يشعر بأفضل من المعتاد. كافية بأن يودِّع احتمالية أن يهزمه "إلتانو". توجَّه إلى الحفرة وأخرج كرته الصغيرة. أخرج "إلتانو" مضربه واستعد لضرب كرته مُدركًا أنه قد خسر بالفعل، أرخى ركبتيه، ومطّ رقبته يمينًا ويسارًا. كان على وشك ضرب الكرة عندما سأل فجأة:

- هل تذكر أصحاب البوليصات التي طرحتها على أعضاء شركة "تروست"؟

- لا، ولكنني أدونهم في دفتر مذكراتي، يمكنني إخبارك بهم لاحقًا.

ضرب "إلتانو" الكرة ودخلت في الحفرة أيضًا، لكن هذا لم يرضه، ضرب كرته باتجاه الأشجار. هزمه منافسه بضربة واحدة.

تناولا مشروبًا معًا في البار قبل مغادرتهما، بحث "ألفريدو" في دفتر مذكراته عن تفاصيل بوليصات "تروست":

- إحداهم لحساب "مارجريتا لابيساريتا"، والآخرى لـ"أوليفر كانديلو".

- أعرف "أوليفر" جيدًا، كان زوجًا سابقًا لامرأة تعمل بشركة "تروست".

- هذا أمر خاص انتبه يا "تانو"، وتذكر أن الموضوع.. حساس.

- وما الذي لدى "أوليفر"؟

- بوليصة جيدة جدًّا، تم توقيعها في لندن، بقسط ثلاثة آلاف دولار، ولكن ببند انسحاب مبكر شديد العقوبة، لقد أخذوا تقريبًا نصف ماله.

وضع "ألفريدو" المال ليدفع حسابهما على الترابيزة ونهض.

- ولكن ما حالته؟ ما الذي يعاني منه؟

- لا أتذكر، ولكن لا بد أنه شيء مُدمرٌ جدًّا، لأنه حصل على نسبة خصم ثلاثة وثمانين في المئة، إن كنت ستصدق، إنها أعلى نسبة خصم قمنا بها حتى الآن، أيضايقك هذا؟ أهو صديقك؟

- لا، لسنا قريبين إلى حد الصداقة.

رفع "ألفريدو" حقيبة أدوات الجولف على كتفه:

- ستخبرني إذن إذا ما قررت؟

- سأخبرك.

ربّت على كتفه ورحل. بقي "إلتانو" فترة أطول قليلًا في البار، يتأمل في ملعب الجولف ذي الخضرة اليانعة، متسائلًا لماذا يسمون هذا العمل بـ"تأمين الحياة".

39



يريد "إرنستو" أن تدرس "رومينا" الحقوق في العام التالي عنـدما تنهـي دراسـتها بالمرحلـة الثانوية، ولكنها لم تتقدم بعد. هددها بأنها إن لم تأخذ هي القرار بنفسها، فسيأخذه لها. وقد أخذت "رومينا" القرار، لكنه لا يريد أن يسمعها. هل لا تريد أن تدرس العام القـادم، تريـد أن تستريح عامًا، وعلى الرغم من أن "رومينا" قد أوضحت هذا، إلا أن سكرتير "إرنستو" أرسل لها جميع الأوراق اليوم:

- بناءً على تعليمات دكتور "أندرادي" يجب أن تنتهي كل هذه الأوراق مـساء اليـوم عـلى أقصى تقدير، تمام؟

- دكتور؟

- ماذا؟

- لا شيء.

- الوقت يمر يا "رومينا"، وتبقى أسبوع واحد فقط للتسجيل.

تخيلت ساعة أبيها "الـرولكس" وهـي تطاردهـا عـبر شـوارع "كاسـكايد هـايتس"، نـصف منصهرة مثل تلك الساعات التي رأتها في لوحة لـ"دالي" كـان علـيهم نـسخها في أحـد الأيـام في المدرسة. قال "إرنستو" إنه لن يتركهـا تـضيع عامًـا كـاملًا مـن حياتهـا ولا يفعـل شـيئًا بـشأنه. تساءلت حينها عن أي خسارة يتحدث، مُدركة أنها خـسرت الكثـير جـدًّا مـن حياتهـا بالفعـل، كل تلك السنوات التي بالكـاد تتـذكرها. خـسرت اسـمها "رامونـا"، الأب الـذي لم تعرفـه أبـدًا،

الروائح، وجه أمها التي لم تعد تتذكره، ذلك الأخ الذي كـان مختلفًـا، ولكـن "ماريانـا" انتزعتـه منها.

تقدم لها الاستمارات اختيارين لجامعتين خاصتين: "سـان أنـدريس" أو "دي تـيلا". أخبرهـا "إرنستو":

- لا يمكنني قبول أي شيء أقل منهما، فهي مسألة تميز.

تَمَيُّز، ولكن "رومينا" لا تطمح إلى التَمَيُّز. تريدُ أن تسافر، لسنة واحدة ليس أكثر، لم تطلب قضاء حياتها مسافرة، تريد فقط إشباع تلك الرغبـة بالانـدفاع بعـد انتهائهـا مـن الدراسـة، أن تقوم برحلة استكشاف، أن تأخذ حقيبـة ظهرهـا وتـرى مـا سـيحدث مـن دون برنـامج رحلـة مُحدد. سخر "إرنستو" منها، حيث قال كيف تريد الـسفر حـول العـالم، بيـنما لا تعـرف حتـى كيف تأخذ أتوبيس رقم 57 المتجه للمدينة؟ على الرغم من أنـه لا يعـرف أيـضًا كيـف يفعـل هذا، فهو لا يعرف كيف يستخدم ماكينة بيع التذاكر، فآخر مرة ركب فيهـا الأتـوبيس كـان لا يزال بإمكانك دفع التذكرة إلى السائق بأي عملة نقدية معك ويعطيك السائق الباقي. بالفعل لم تركب في حياتها أتوبيسًا أبدًا، ولكـن "خـواني" يعـرف مـا علـيهما فعلـه، فهـو أحـد الـصبية القلائل في سنه الذين يعرفون، حيث يتحرك الباقون في "الميني باص" والتاكسي، أو يركبون مـع آبائهم، ولا يستطيعون الانتظار للحصول على الرخصة بمجرد بلوغهم السابعة عشرة. مـن المعتاد في هذه المنطقة أن ترى الفتيان الصغار في مثـل ذلـك العمـر قـادرين عـلى قيـادة السيارات، ولكن من غير المعتاد أن تراهم في الأتوبيس، فهم يعيشون في منطقة كـل شيء فيها بعيد: السينما، المركز التجـاري، المدرسـة، منـازل الأصـدقاء، فـلا يمكنـك الـسير في أي مكان. كانت تفكر في السفر مع "خواني"، إذا ما اسـتطاعا تجميـع المـال الكـافي لـه، فهـي لديها مالها، حيث كانت تدخر المال كل تلـك الـسنين، وعنـدما تحـين اللحظـة، سـيعطيها "إرنستو" المزيد، فدائمًا ما يفعل هذا: حيث يشعر بالأمان، مطمئنًا بـأن معهـا مـا يكفيهـا من المال "في حال حدوث أي شيء"، ولكنها لا تريد إخبار أبيها بأنها تفكـر في الـسفر مـع

"خواني"، لأنها تخشى من أن يتسبب هذا في المزيد من العقبات، ولذلك قالت لأبيها في أحد الأيام:

- ليس من الصعب أخذ أتوبيس رقم 57 أو استخدام ماكينة بيع التذاكر، فربما تشبه بدرجة كبيرة أو ضئيلة الماكينة التي توزع الواقي الذكري والسدادات القطنية في مراحيض الملاهي الليلية.

يرفع "إرنستو" يده ليصفعها، لكنها توقفته، حيث أمسكت بيده في منتصف الطريق، وقالت:

- لا تفعل هذا مجددًا أبدًا.

ورمقته بنظرة غضب قبل أن تجري صاعدة لغرفتها، خائفة من أنها لن تكون قوية بالقدر الكافي لمنعه.

لو فقط استطاعت أن تفهم "إرنستو"، فهو يحيرها، على عكس والديّ "ويلي كيفيدو"، فهو لا يفكر في جعلها تتقدم للالتحاق بجامعة في الولايات المتحدة، على الرغم من قدرته على تحمل نفقات كلية أمريكية، ولكنه يريد شيئًا ما آخر، أما والدا "ويلي" فلم يكونا متأكدين من قدرتهما على تغطية التكاليف، ولذلك عملا طيلة سنوات على خطة توفير لضمان امتلاك الأموال الوفيرة التي ستسهِّل إرساله للدراسة أينما اختارا. لم يذكر "إرنستو" الولايات المتحدة. ليست متأكدة إذا ما كان يتعمَّد هذا ليحبط رغبتها في السفر، أم أن ذلك بسبب خوفه من أنها لن تعود إذا سافرت للخارج. لا يمكن أن يكون الأمر كذلك، فهي لا تصدق أنه حتى سيفتقدها، أو ربما سيفعل، ولكن "ماريانا".. ستقفذ "ماريانا" من الفرحة. ربما اختار الجامعة المحلية لأنها سترمي بالمزيد من العلاقات المفيدة له في طريقه، أو ربما لأنه لن يتمكن من حضور حفل تخرجها إذا لم يُرفع عنه حظر السفر الذي يمنعه من ترك البلاد. ولكن لا يمكن أن يكون الأمر هكذا، لأن "إرنستو" قد ارتاح من هذا الأمر، حيث أخبره أحد "أصدقائه في الوزارة" بأن الأمر مجرد شكليات، لأن القاضي قد وافق على رفع

الحظر، وأن تنفيذ قراره ورفع الحذر مسألة أيام. لا تعرف "رومينا" لماذا لا يستطيع مغادرة البلاد، ولم تسأله حتى، لأنها تعلم أن الإجابة ستكون:

- لأنه في هذا البلد، لا يشغلون بالهم بوضع اللصوص في السجن، ولكنهم يضطهدوننا نحن.

هي لا تعرف مَنْ هم "نحن"، لكن بإمكانها تخيلهم. كل ما تعلمه أن "سان أندريس" و"دي تيلا" كلمات تهدئ "إرنستو"، فبعض الكلمات تكون بمثابة بلسم للآباء. الكلمات فقط، بغض النظر عن معناها. جمعت هي و"خواني" ذات مرة قائمة بأسماء الأعلام والأسماء العامة التي تهدئ الآباء، أسماء جامعات معينة، أسماء بنوك معينة، أسماء منتجعات صيفية "عائلية" معينة، أسماء أقل القليل من الأصدقاء، أسماء مدارس معينة تضمن أفضل تعليم لغة إنجليزية في المنطقة وتمنح شهادة "الأي بي"، وعلى الرغم من أن معظم الآباء لا يعلمون ماذا تعني "أي بي"، ولكنهم ما زالوا يستخدمونها لتصنيف مدرسة دون أخرى، كلمات مُهدئة، رياضة، فالصبي الذي يلعب عدة رياضات يصبح بالتأكيد "صحي ومبتعد عن المخدرات"، أي نوع من الرياضة، طالما تحتوي على أي كرة - سواء أكانت ذات نسيج أخضر، أو كرة جلدية مقاس خمسة، ماركة "سلازنجر" أو "نايك"- وأداة لضربها (سواء كانت قدم شخص، أو مضرب تنس، أو مضرب جولف، أو يد شخص) ومرمى ترمي إليه (سواء شبكة، أو حفرة، أو خط تماس، أو طوق).

تجلس "رومينا" إلى مكتبها تنظر إلى استمارات الدخول التي أرسلها والدها، رسمت مؤخرات عليهم جميعًا، وبداخل كل ردف، رسمت مؤخرة صغيرة أخرى، وبداخلها أخرى أصغر، والمزيد والمزيد، إلى ما لا نهاية، صورة داخل صورة، *"Mise en abyme"*، شيء ما آخر رأته في حصص الفن في المدرسة، فالشيء الوحيد الذي استمتعت به في المدرسة هو الفن، *"Mise en abyme"*، الهاوية، التكرر اللا نهائي. حيث تعمل الصورة الأصلية كإطار لصور أخرى تشبهها مرسومة بداخلها. في غضون ساعة كان ساعي المكتب يلتقط الأوراق ويأخذها إلى الجامعة.

40



في منتصف عام 2001، أعلنت أسرة "يوروفيتش" رسميًا بأنها ستنتقل إلى "ميامي"، فكتبت في دفتر مذكراتي الأحمر: "ليسوا أول مَنْ يرحل ولن يكونوا آخر مَنْ يرحل". جعلت تلك الجملة العنوان الرئيسي لفصل جديد، وأسفلها بقليل كتبت: (يونيو 2001، تركت عائلة "يوروفيتش" "كاسكايد هايتس"، وبالتالي يعطون "أثر الـ**") تركت فراغًا لأنني لم أعلم اسمه، أو أنه لم يُسمى بعد، ولكن الصفحات السابقة بدفتر مذكراتي بها أسماء كل التأثيرات الاقتصادية المختلفة التي وقعت في الأعوام القليلة الماضية، أثرًا أثرًا. تساءلت عمَّنْ أعطاهم تلك الأسماء. من الصعب تخيُّل أن بعض خبراء الاقتصاد الجادين قد أنتجوا مثل تلك التسميات المُبدعة. لذلك انتظرت الاسم الجديد الذي سيطلقونه على ذلك الأثر الاقتصادي الجديد بقلق يشبه قلق شخصٌ في الكاريبي يسمع بالصدفة خبر اقتراب إعصار. أعدت قراءة الصفحات السابقة في دفتر مذكراتي بتركيز: (1994، أثر التكيلا، قام "سالابيري"، و"أجويدا" و"تيمبون" ببيع منازلهم، وهم أصحاب شركات تمويل بوسط البلد. لا أعلم أسماء شركاتهم. باع "بابلو دياز باتان" كل ممتلكاته أيضًا، وهو رجل أعمال متقاعد وضع كل أمواله في شركة "تيمبون"). كوَّن "دياز باتان" ثروته مُعتمدًا على فكرة اعتبرها العديد من سكان "كاسكايد" "عبقرية". منذ بداية التسعينيات، بدأ يسجل في الأرجنتين العلامات التجارية لأي عدد من سلاسل المطاعم الأمريكية التي لم تضع قدمها في دولتنا بعد؛ "آن تايلور"، "ستاربكس كافيه"، "سفن إلفن"، "ماسيز"، لم يكن هذا الجزء مهمًا، فكل ما يهم هو أن كل تلك الشركات التي تم ذكرها لم يتم تسجيلها أو تأسيسها في بلدنا بعد، وأنهم ربما في المستقبل وفي لحظة أي لحظة مواتية، ستقرر هذه الشركات الحضور إلى دولتنا. وعندما حانت تلك اللحظة المواتية، قدّم "دياز باتان" علامته التجارية المُسجلة، علامتهم نفسها التي يريدون تسجيلها،

لكنها تخصه قانونًا، وعلى الرغم من أنه مستحيل أن يربح القضية القضائية، فإن تلك الشركات المستعدة دائمًا استغلت بطء الإجراءات القانونية في الأرجنتين، وبالتالي قبلوا التسوية لتعجيل الإجراءات وتوفير أموالهم على المدى البعيد، وقد وصفه "أندرادي" عندما أخبره شخص ما عن الطريقة التي جمع بعها "دياز باتان" ثروته: "إنه رجل ماهر جدًّا". قالها أثناء حفل عشاء في بيت "سكاليا"، وصرح "روني": "في رأيي، "هاوسمان" هو مَنْ يستحق أن تصفه بالماهر". كل ما أعرفه هو أن "هاوسمان" لاعب كرة قدم بأحد النوادي، ولكنني فهمت بالضبط ما الذي قصده زوجي بقوله ذلك، حيث تم بيع منزل "سالابيري" بأقل من قيمته الحقيقية بنسبة سبعين في المئة، بينما بيع منزل "تمبون" بنسبة ثمانين في المئة أقل من قيمته الحقيقية. كما اتضح فيما بعد أن منزل "أجويدا" ليس ملكه وإنما ملك زوج أمه. وتم بيع منزل "دياز باتان" في مزاد قضائي، والذي قام هو نفسه بشرائه بأقل من نصف قيمته، من خلال تأجير وكيل ينوب عنه في الشارع باسمه.

قلَّبتُ عشر صفحات من دفتر مذكراتي: (1997، الأزمة الآسيوية، سقوط "خوان مانويل مارتن" و"خوليو كامبينلا"). اشترى "إرنستو أندرادي" منزل "كامبينلا". تألقت أعمال "إرنستوا" جدًا ذلك العام، حيث بدّل سيارته "الفورد مونديو" بـ"ألفا روميو"، واشترى عربة كبيرة لـ"ماريانا" وعربة جولف للخادمة والطفلين. يقولون إنه حصل على صفقة ما لا يعلمها غير الله مستخدمًا سندات مالية يعلم الله ما تساويه، أو أنه ظل مالكًا لبعض السندات بعد إبرام الصفقة، أو أنه ذهب للمحكمة بسبب بعض السندات. لا أعرف حقًا، ولكنه سدد عمولتي نقدًا.

بعد خمس صفحات: (1998، أثر الفودكا)، وبعدهم بصفحتين: (1999، أثر الكايبيرينها). يبدو أن "تيمة" الشرب أصبحت هي الغالبة في العمل هنا. عدت إلى صفحة عائلة "يوروفيتش"، وفي المساحة الفارغة التي تركتها قبل كلمة "أثر"، كتبت "يربا ماتيه"، لأنني لم أستطع التفكير في أي مشروب كحولي ينتمي إلينا في الأصل. لم أعرف لماذا كتبت "يربا"، ولكن "ماتيه" بدت لي بلا قيمة وحدها. عدت مرة أخرى إلى الصفحة المذكور فيها "الكايبيرينها"، ذلك الأثر الأخير الذي برر اسمه. حدث هذا عندما ترك البنك الذي يعمل به "روبرتو

كفيدو" البلد فخسر "روبرتو" وظيفته. لم يكن قد عرض منزله للبيع بعد، ولكنه كان يفكر في الأمر. حققت الشركة المموِّلة التي اشترت شركة التجزئة التي يعمل بها "لالو ريتشاردز" كمدير عمليات، ما يرضيها من أرباح ثم رحلت، حيث كانت الشركة معروضة للبيع، ولكنها كانت لديها الكثير من الديون فلم يرغب أحدٌ في شرائها. قام "لالو" بتثمين منزله، تخوفًا من أن يأخذ الدائنون كل ما يملك ويتركونه بلا شيء. تتشابه حالة "بيبي مونتس" مع هؤلاء، وكذلك حالة عائلة "ليديسما"، وعائلة "تريفيساني". الأمر هو أن الكثير من جيراننا ارتكبوا خطأ الاعتقاد في أنهم يستطيعون الاستمرار في الإنفاق بقدر ما يربحون من أموال للأبد، وما ربحوه كان كثيرًا، وبدا لهم أنه أبدي، لكن أتى اليوم الذي انغلق فيه الصنبور. على الرغم من أنه لم يتوقع أحد هذا حتى وجدوا أنفسهم في حوض الاستحمام، يغطِّيهم الصابون، ناظرين لأعلى باتجاه الدش، الذي لم يعد تنزل منه أية نقطة مياه.

صدمتني السرعة المذهلة التي ينتهي بها ذلك العقد، فأثناء طفولتي، أخذ المال وقتًا أطول لينتقل من ملكية لأخرى، حيث كانت هناك عائلات - أُناس عرفناهم - أثرياء جدًّا ومن ذوي الألقاب، وغالبًا ما يملكون الأراضي. تنتقل ملكية الأرض إلى أبنائهم، الذين يوظفون عمالًا، بدلًا من أن يعملوا فيها بأنفسهم، ولكنهم مع هذا يستطيعون الحصول على دخل جيد، حتى ولو كان هذا الدخل مُوزعًا بين عدة إخوة، ولكن هؤلاء الإخوة سيموتون أيضًا يومًا ما، ومن ثم تنتقل ملكية الأرض إلى الأحفاد، فتنشأ الخلافات، حيث يتشارك الكثيرون في الميراث. يحصل كل شخص على جزءٍ مُخصصٍ له من الأرض. جزءٌ صغيرٌ جدًّا لا يصلح لإدارة عمل بها، فينتهي الحال بالأرض إمَّا مُهملة أو مبيعة في مزاد، ولكن حتى حينها، وعلى الرغم من أنه لا يمكن لأي أحد ضمان أي شيء، لا بد أن يمر جيلان أو ثلاثة قبل أن يصبح المال، الذي ظنه الجميع في الأمان، في خطر. بينما انتقلت ملكية المال مرتين أو ثلاث مرات في الجيل نفسه في السنوات القليلة الأخيرة، ولم يعد هناك وقت لأحد كي يعرف ما الذي يحدث بالضبط.

كتبت: (2001، أثر "يربا ماتيه"، رحلت أسرة "يوروفيتش"، وتبعتها...).

41



تفقدت "لالا" الأشياء حولها: المزهرية الزرقاء التي أعطتها "تيريزا سكاليا" لها، وتقليد مصباح "تيفاني" الذي اشترته منذ أقل من عام، الجرس الزجاجي في منتصف طاولة القهوة. إللى جانب كل هذا، كانت "أريانا" تمشِّط شعر إحدى عرائس "باربي" الخاصة بها بطريقة تكاد تكون هوسية، فتذكرت طفولتها عندما كانت في الثامنة من العمر، في ذلك الوقت، لم توجد عرائس "باربي"، كان لديها دُمى "بيبل روز"، ودّت لو كانت في الثامنة من العمر الآن، لكي لا تضطر للقلق بشأن أي شيء باستثناء تمشيط شعر دُميتها. ملأت الاستمارة وأرسلتها بالبريد، وفي مساء اليوم نفسه، اتصلوا بها: "إذا كان الأمرُ عاجلًا، بإمكانهم تنظيم كل شيء مع نهاية الأسبوع المقبل". أرادت "لالا" أن تنتهي من الأمر بأسرع ما يمكن. ليس هذا بسبب أن الرحلة طارئة، فالتذاكر متاحة لشهرين، ولكن إذا كانوا سيرحلون، فهي تريد أن تنتهي من إفراغ البيت مرة واحدة وأخيرة. فهي ستظل مرتبطة به طالما بقيت أشياؤها فيه، وهي يجب ألا تشعر بأنها مقيدة. لكل شيء حولها قصة، يكفيها النظر إليهم لتستدعي ذكرياتها التي تجلب لها الغضب، أو الكره غالبًا، لم تستطع تحديد الشعور بالضبط، أو تبريره أو إيجاد سبب له، ناهيك عن تجنبه. كل ما عرفته هو أنها كانت لا تريد رؤية تلك الأشياء مرة أخرى، لا تريد أي شيء يذكرها بالحياة التي عاشتها في السنوات القليلة الأخيرة والتي لن تستطيع أن تعيشها بعد اليوم. اقترحت عليها "تيريزا سكاليا":

- أعرضي أشياءك للبيع في حديقة منزلك. ستتخلصين من الممتلكات القديمة في يوم واحد وستجنين مالًا يمكنُّك من شراء ما ستحتاجين إليه هناك.

ثم أعطتها رقم الشركة التي استخدمتها "ليليانا ريتشاردز" لإخلاء شقة حماتها، عقب أسبوع من وفاتها.

أبوها هو مَنْ اقترح عليهم الانتقال إلى "ميامي"، في البداية، لم تأخذ "لالا" الفكرة على محمل الجد، ولم يفكر بها "مارتن" كثيرًا، فليس لديهم شيء في "ميامي": لا أقارب، لا أصدقاء، ولا عروض عمل، وهي لا تعرف حتى كيف تتكلم الإنجليزية. سألها "مارتن":

- لماذا "ميامي"؟

- لأنها المدينة التي يمكنك أن تفعل بها أي شيء، كل شيء جيد، فهناك كل أنواع فرص العمل، يمكنك أن تشعر بها في الهواء، في "ميامي"، تملك المستقبل بقليل من المال، أما هنا فقريبًا لن نملك أي شيء.

كانت "لالا" تكرر ما قاله أبوها. فبعد ثماني سنوات من العمل في شركة متعددة الجنسيات، خسر "مارتن" منصبه كمدير تخطيط عقب فشل إعادة هيكلة داخلية في ضمه للهيكل التنظيمي الجديد، وقد صدمهم فصله من عمله بقسوة، فهم لم يتوقعوا حدوثه، ولكن "مارتن" معه سيرة ذاتية ممتازة، ماجستير في إدارة الأعمال من جامعة أمريكية والعديد من العلاقات، إنها فقط مسألة صبر. أخبرت "لالا" نفسها بهذا، والوقت يمر بهم. على الرغم من كل هذا، حاولت التفكير في المستقبل وأن تعيش وكأن شيئًا لم يحدث. كان صبر زوجها مرتبطًا برصيد حساب التوفير وشهرًا تلو الشهر كانت نفقاتهم تأكل رصيدهم. وذات ليلة، أجلسها "مارتن" أمامه على المكتب وعرض عليها قائمة مليئة بالأرقام. لماذا يفعل زوجها شيئًا كهذا؟ لم تستطع فهم ذلك، فـ"لالا" لم تكن جيدة أبدًا مع الأرقام. بدا المكتوب على الورقة مشوشًا ومُبهمًا. تحدَّث "مارتن"، موضحًا أن ثمانين في المئة من مدخراتهم موضوعة في سندات حكومية، وأن قيمة تلك السندات في هبوط مستمر، وأنهم إذا ما استمروا في العيش بـ"كاسكايد هايتس"، وإرسال "أريانا" للمدرسة نفسها، مع التحاق "أريبل" بالجامعة العام التالي، من دون تقليص النفقات على الرحلات أو

الملابس الجديـدة، والتـنس، والجولـف، ودروس الرسـم والـسباحة، وراتـب المُربيـة والنفقـات الأخرى، فإن ما تبقى مـن مـدخرتاهم سـينتهي خـلال خمـسة أشـهر بالـضبط. شـعرت "لالا" بالدوار، ربما لم تدرك كل التفاصيل، ولكنها تفهمت الميعاد النهائي، فخمسة أشهر ميعاد قريبٌ جدًّا، الخمسة أشهر تعني الصيف القادم، خمسة أشهر لن يتضمنوا حفل عيد مـيلاد "أريانـا". سألته:

- وماذا سنفعل في مدة الخمسة أشهر؟

- لا أعرف.

بكت "لالا"، وفي وسط دموعها تذكرت أباها، وجففت عينيها.

- فلنبع المنزل ونأخذ ثمنه مع مدخراتنا إلى ميامي ونجرب شيئًا ما هنـاك، عمـل، أي شيء، فهناك المال وسيلة للحصول على المزيد من المال، أما هنا فهو مجرد دعوة للاستنزاف.

لن تكون التكاليف عالية جدًّا، بإمكان "أريانا" الذهاب إلى مدرسة حكومية لأنه:

- بإمكانك فعل هذا هناك، فمدارسهم الحكومية أفضل من المدارس الخاصـة هنـا، وهـي هادئة، وتتكيف جيدًا، والتغيير لن يكون صعبًا عليها، العكس تمامًا. لن تستطيع أن تتخيل مـا ستتعلمه "أريانا" هناك.

سيقومون بتـأجير منـزل صـغير لفـترة، لـن يـدفعوا لمُربيـة، أو أي شيء آخـر، وسيقلـصون مصاريف الخروجات، أو حتى يقوموا بإيقافها لفترة، فسألها "مارتن":

- وماذا إذا فعلنا تلك التعديلات نفسها هنا؟

- هنا؟ ماذا يوجد لنا هنا الآن؟ سيكون البقاء هنا هو سقوطنا يا "مـارتن"، لم يعـد "هنـا" موجودًا لنا، أتستطيع رؤية نفسك تعيش في شقة من غرفة واحدة وترسل "أريانا" إلى مدرسـة "بيرناسكوني" في "باركي باتريسيوس"؟

- كنت في مدرسة "بيرناسكوني".

- ولكن هذا ليس المستقبل الذي خططناه لأطفالنا.

- إنك لا تتحدثين الإنجليزية.

- لن تحتاجها في "ميامي"، فالكل يتحدث الإسبانية هناك، ستكون الأوضاع كما هنا، ولكن أفضل، ستظل الأمور على حالها، عندما يظل كل شيء على ما يرام.

فجأة، لم تعد تبكي.

أتى منظمو بيع المنزل بالمزاد في اليوم السابق للميعاد المُعلن عنه ونظموا كل شيء، أخبرهم المسؤول عن عرض ممتلكاتهم في الجراج للبيع:

- ضعوا علامة على الأشياء التي تريدون أخذها معكم وسنضع ملصقًا بالسعر على الأشياء الأخرى.

وستتحول ممتلكاتهم إلى عملات متداولة لما كان ذات يوم منزلهما لأحد عشر عامًا. أصرّ "أرييل" بعناد على عدم الرحيل، يريد البقاء مع جده وجدته لأبيه، هو والكلب الذهبي، الذي لم تنتهِ "لالا" أبدًا من تسديد ثمنه لـ"كارلا ماسوتا". حسدته "أريانا": فإذا ما كانت بالغة بالقدر الكافي، لبقيت مع "أرييل"، ولكنها ليست بالبالغة بعد. قالت:

- سآخذ عرائس "باربي" الخاصة بي.

فأجابتها "لالا":

- لن يأخذ أحد أي شيء.

- ولِمَ لا؟

- ألم تكبري قليلًا على عرائس "باربي"؟

لم تفهم "أريانا"، ونظرت إلى أبيها.

- لِمَ لا يا أبي؟

لم يجبها "مارتن".

فأجابتها أمها:

- لأنكِ بحاجة إلى تعلم بأن لا شيء يبقى للأبد.

سيحدث البيع في كل غرف منزلهم، على الرغم من أن الإعلان أشار فقط إلى مكان واحد: الجراج:

"معرض بيع بالجراج، لعائلة ستنتقل عبر البحار: عربة جولف تتحرك بالبطارية، مضارب "كولاوي"، بحالة جيدة، معدات صوت (مارانتز، سوني)، مضربان برأس تيتانيوم، جهازان كمبيوتر بنتيوم، وكَمان، وديسكمان، وجهاز كمبيوتر صغير، ودي في دي. أجهزة كهربائية كثيرة أخرى، مصابيح، زينة. حُلي صغيرة"، وتساءلت ما الذي سيُعرض كـ"حُلي صغيرة". "غسَّالة أوتوماتيكية، ستائر، فوط، بطانيات، ملابس رجالي/ حريمي، حجم متوسط، ملابس أطفال، جهاز مشي رياضي، عطور، دُمى أطفال، عرائس باربي، لوازم أخرى، تعال ونقِّب).

ألقت "لالا" بالجريدة على الطاولة، فلم يخبرهم أحد أن بإمكانهم كتابة: "تعالَ ونقِّب".

قالوا لها:

- إنها إجراءات شكلية يا سيدتي، فنحن دائمًا ما نضع تلك الجملة.

كانت الساعة الثامنة من صباح يوم سبت: "ليوم واحد فقط، السبت 12، من 9 صباحًا- 5 مساءً".

عند اكتشافها لـ'تيكيت' السعر الملصق على جبهة عروستها "الباربي الممرضة"، بكت "أريانا":

- لا تفعلوا هذا بعرائس "باربي" الخاصة بي.

أرسلتها "لالا" لتلعب عند منزل "صوفيا سكاليا"، بينما اختفى "أربيل" من اليوم السابق مُعلنًا أنه لن يعود إلا متأخرًا، كما انصرف "مارتن" مع "إلتانو"، حيث دعاه الأخير ليلعب معه التنس لأول مرة منذ عدة سنوات:

- إن بقيت هنا، سأعيقك فقط.

استعار مضربًا، لأن مضربه الآن مكدس ضمن الأشياء المعروضة للبيع، وعلى مقبضه ملصق سعر مكتوب عليه 100 دولار أمريكي. أمَّا هي فلم ترد الابتعاد، أرادت أن ترى مَنْ يشتري ماذا، والطريقة التي يعاملون بها الأشياء، طريقة تجولهم خلال منزلها، طريقة تركهم للأشياء التي لم تنل اهتمامهم، كيف سيفاصلون في الأسعار أو يطلبون تخفيضًا إذا ما اشتروا عدة أشياء.

استجمعت قواها أخيراً وقامت باختيار تشكيلتها التي أصبحت الآن في أيدي شركة البيع:

- لا أريد أخذ أي شيء، بيعوا ما تستطيعون بيعه وبإمكانكم إلقاء ما تبقى.

ولهذا السبب لم تقل شيئًا عندما رأت كومة من ملابسها الداخلية القديمة على السرير وعليها مُلصقات السعر، على الرغم من تفاجؤها من هذا، بحلول منتصف اليوم، كانت قد بيعت بالكامل، ملابسها الداخلية ماركة "فيكتوريا سيكريت"، اشترتها زوجة "إنسوا" الجديدة:

- للفتاة العاملة في منزلنا، إذا ما رأيتِ حالة ملابسها الداخلية.. لا أعرف كيف تحملت بقاءها هكذا.

زجاجة نصف ممتلئة لمزيل عرق، وزجاجة ويسكي نصف فارغة، وعلب شاي إنجليزي مفتوحة، زجاجات عطر استُخدمت لمرة بالفعل. قام الأصدقاء، والجيران أو حتى الأغراب الذين رأوا الإعلان بأخذ كل شيء. تركوا خلفهم فقط البطانية التي بها لسعة على شكل مكواة وبعض الملابس التي كانت موضتها قديمة.

بحلول المساء كان كل ما تبقى هو الأسرَّة، وفُرش أسنانهم، والملابس التي عليهم، وبعض الحقائب التي تحتوي عليها المشتريات التي سيتم نقلها لأسباب

عديدة في اليوم التالي، وحقيبتا سفر وضعت "لالا" فيهما أشياء قليلة ستسافر معهم إلى الشمال. لم تعد سيارة الدفع الرباعي الواقفة أمام المنزل ملكهم، سيستخدمونها حتى رحيلهم ثم سيتم استغلالها لإلغاء دين مع والدي "لالا"، سيعيشون على تلك الحالة لعدة أيام قليلة، حتى تسليم المنزل، ثم سيمكثون لفترة ما في منزل والدي "مارتن"، ومن هناك، سيتجهون للشمال بمجرد حصولهم على التأشيرات.

سألت "أريانا" أمها:

- مَنْ أخذ عرائس "باربي" الخاصة بي؟

- لم تعد خاصة بكِ بعد الآن.

أطبقت "أريانا" شفتيها وحاولت ألا تبكي.

- يجب أن يكبر الناس يا "أريانا".

فاشتكت:

- كان بإمكانهم ترك واحدة لي.

قال أبوها:

- كان يمكن أن يحدث الأسوأ.

ذهبوا للنوم، وفي منتصف الليل، استيقظت "أريانا"، لتجد سرير أخيها خاليًا. أخذت جولة لترى ما الذي تبقى من منزلهم، ومن بين الحقائب التي سيأخذها أصحابها في اليوم التالي، وجدت واحدة استطاعت أن ترى بداخلها شكل عرائس "باربي" الخاصة بها. لُصِقَتْ على الحقيبة المُحكمة الغلق قطعة ورق مكتوب عليها "ريتا مانسيلا". تعرفها "أريانا"، فهي جدة إحدى صديقاتها التي تعيش بالجوار. تخيلت صديقتها تلك وهي تمشط شعر الدُمى، دمية دمية، وهي تملس على شعرهن. بينما ستنفق "أريانا" أموال جدة صديقتها في ميامي على كل تلك الأشياء الأكثر إمتاعًا، التي أخبرتها أمها عن

وجودها هناك، أشياء لا يمكنها تخيلها، من دون ذكر أي منها. فتحت الحقيبة. كان بها عشر دُمى: خمس عرائس "باربي" شقراء، وثلاثة سُمر، واثنتان من ذوات الشعر الأحمر. كانت عروسة "باربي" الممرضة شقراء، مثلها. عروستها المفضلة، عندما تكبر، تريد "أريانا" أن تصبح ممرضة. إذا كان لديهم "باربي" في ميامي، لا بد أن لديهم دُمى، وإذا لم يكن لديهم، ستعود لـ"كاسكايد" لتبقى مع "أرييل"، أو ستعود لـ"أرييل" وليس لـ"الكاسكايد"، لأنه لن يبقى هنا بالتأكيد، هكذا اعتقدت. احتوت الحقيبة أيضًا على زوجٍ من الأحذية وثلاثة سراويل داخلية بيضاء تخص أمها. عادت إلى غرفتها لتحضر مقصًا من حقيبتها المدرسية، ثم عادت إلى الحقيبة المفتوحة. جلست على الأرض وبدأت في قص شعر الدُمى، دمية دمية، حتى قصّت شعرهن جميعًا. امتزجت خصلات الشعر الشقراء مع السمراء والحمراء على الأرضية الخشبية، تناثرت كُتل الشعر ذات اللون الصناعي حولها، قصّت خصلة من شعرها، من أطرافه، وخلطتها مع شعر الدُّمى، ثم جمعتهم جميعًا في يدها ووضعت الشعر في جيب بيجامتها. نظرت إلى عرائسها للمرة الأخيرة، وأعادتهن إلى الحقيبة، محاولة ألا يلمسوا السراويل، ثم ربطت الحقيبة وعادت للنوم.



42



عقب مقابلته لـ"ألفريـدو إنـسوا"، والتحـدث عـن عملـه في التأمينـات عـلى الحيـاة، بـدأ "إلتانو" يفكر في الأمر أكثر مما سبق، وبخصوص المـوت، حيـث كـان المـوت مُحلقًـا في الهـواء بالخارج إلى حد ما. اصطدمت طائرتان ببرجي التجارة العالمية وكـأنهما بيـت مـن الكوتـشينة، ولم يستطع أحد التخلص من الحيرة التي أصابتهم بعد انهيـار البرجـين. في يـوم الهجـوم، كـان أبناء "إلتانو" بالمنزل، حيث تزامن انهيار البرجين مع عيد المعلم الوطني، وبالتالي لم تكن هناك مدرسة، ولكنهم ذهبوا إلى حفل عيد ميلاد قبل الغداء.

أخبر "إلتانو" "تيريزا":

- تأكدي من أنهم لم يلغوا الحفل بسبب البرجين.

فردت "تيريزا":

- وما علاقة هذا بأي شيء، هل نحن في "نيويورك"؟

ثم خرجت مع الأولاد للحفل التي كانت بانتظارهم. بقي "إلتـانو" في المنـزل بمفـرده مـرة أخرى، مُستمرًا في التفكير.

كانت بوليصة تأمين حياته مع شركة "تروسـت"، ولكنهـا لم تـشتمل عـلى بنـد الانسحاب المبكر، وكانت من نوعية البوليصات نفسها التي يقدمونها إلى مـديري الشركة التنفيذيين في كل أنحاء العالم. كان مُتعايشًا مـع الأمـر، فلـم يخطـر ببالـه أبدًا أنه سيحتاج المال قريبًا. اعتقـد أن كـل شيء سيـسير كـما كـان مـن قبـل، أو أفضل، فخلال حياته العملية كان يغير وظيفته كل مرة مـن أجـل الحـصول عـلى راتب أفضل ووظيفة بمسؤوليات وتحديات أكـثر. لم يكـن الأمـر مـشابهًا لإصـابته

بالإيدز أو مرض ما يؤدي إلى موت مُحقَق، مثـل هـؤلاء الأشـخاص الـذين يتفـاوض "ألفريـدو إنسوا" معهم لتخفيض تأمين الحياة، ولكن الحياة عمومًا تؤدي إلى موتٍ مُحقق، هكذا اعتقد، موت في لحظة معينة، سواء أكانت اللحظة المناسبة، أو غير المناسبة، ولكنه رغم ذلك مُحقـق، وأكيد.

جلس أمام جهاز الكمبيوتر. رأى عبر النافذة "تيريزا" وقد عـادت للمنـزل وبـدأت العمـل. استبدلت الشجيرات الميتة في حديقتهم بنباتات جديـدة مـن المحـل. كانـت النباتـات لا تـزال مُغلفة بالحقائب البلاستيكية من مشتل "جرين لايف" أو الحياة الخضراء. قـرأ الاسـم "جـرين لايف". اتصل أبوه وسأله عن أحوال مشاريعه الجديدة.

فكذب عليه:

- جيدة جدًّا.

- لم أتوقع أي شيء أقل من هذا، فأنت تعلمت في مدارس جيدة.

ثم دعاه لرحلة إلى "كاريلو" في أكتوبر، لإيجاد منازل صيفية يؤجرانها سويًا في يناير:

- ستذهب إلى "كاريلو" هذا العام، أليس كذلك؟

فكذب مرة أخرى:

- بالطبع.

أغلق الخط. توقف فجأة عند صفحة حسابه البنكي على الكمبيوتر. أدخـل اسـمه وكـوده السري. نظر إلى المبلغ الكلي، ثم نقر تلك الأرقام على الالا الحاسبة ونقلهم، وأضاف المال الذي امتلكه في الحساب البنكي الأجنبي. كان عبارة عن سندات مالية خـسرت كثـيرًا مـن قيمتهـا في السوق، بفضل مخاطر الدولة الاقتصادية المتزايدة. من الممكن أن تنتعش إذا ما انتظـر، لكنـه لم يكن متأكدًا من أنه سينتظر. بحث على الكمبيوتر عـن جـدول الإكـسل الـذي يحفـظ فيـه

ميزانية إنفاق الأسرة، ثم قسَّم المبلغ الإجمالي لأرصدته البنكية على مصروفه الشهري، خمسة عشر شهرًا، إذا ما استمروا في معدل الإنفاق هذا، سيواجهون مشاكل بعد خمسة عشر شهرًا، جميعهم، الأبناء، "تيريزا" وهو نفسه. لم يحسب مع هذا المبلغ ما يحتاجونه لتأجير المنزل الذي يؤجرونه كل صيف في "كاريلو"، وقد اقترب الصيف كثيرًا. درس كل عمود مختلف من عمدان الميزانية، عمودًا يلو الآخر، محاولًا تحديد النفقات التي يمكن توفيرها. بإمكانه التوقف عن تسديد المصروفات المدرسية، كما فعل "مارتن يوروفيتش" أخيرًا، بدءًا من العام التالي، أو أن يطرد المُربية، كما فعل "روني جيفارا"، ولكنه ليس بـ"مارتن يوروفيتش" ولا "روني جيفارا"، وإذا ما توقف عن تسديد النفقات الاجتماعية، سيظهر في قائمة المدينين، وإذا ما استمر في العيش بـ"كاسكايد هايتس"، فمن غير المتصور أن يتوقف أبناؤه عن أنشطتهم الرياضية ويتركون تدريبات التنس، أو أن تتوقف "تيريزا" عن الذهاب إلى الجيم أو جلسة المساج الأسبوعية، والسينما، والملابس، والموسيقى، والخمر: كلها ضروريات إذا ما أرادوا الحفاظ على أسلوب معيشتهم. لم يتخيل "إلتانو" نفسه يعيش أي نوع آخر من الحياة. صدمه قرار "مارتن يوروفيتش" بالرحيل. اعتبره أحد الأفعال الغبية الكثيرة التي أسَّسَ عليها صديقه نظام حياته. حيث اختار "مارتن" أن يخرج من النظام باختيار دولة أخرى، في قارة أخرى، بلغة أخرى. هناك سيقوم بإرسال أبنائه إلى مدرسة حكومية وسيستغني عن المُربية، وسيؤجر منزلًا أصغر، وسيمتنع عن الذهاب إلى السينما وتلقي تدريبات التنس، ولكن على الأقل سيكون في "ميامي"، في مكان بعيد بالقدر الكافي الذي لن يسمح لأحد بالوقوف شاهدًا على فشله. حتى لو انتهى به الأمر بالعيش في أكثر الأحياء البائسة، فلا يزال يعيش في "ميامي". هذا فعل جبان من جانبه. هكذا اعتقد "إلتانو". أسوأ أنواع الجُبن. لن يسمح لأسرته بأن تسقط من النعيم. سواء هنا أو في أي مكان آخر في العالم. ليس الأمر متعلقًا بأن يسقط المرء في الخفاء، ولكن الأمر ألا يسقط المرء على الإطلاق. لا بد أن هناك شيئًا ما آخر ليفعله، قام بإجراء الحسابات مرة أخرى: خمسة عشر شهرًا، ربما أقل، إذا ما استمرت

السندات في الهبوط ولم يجرؤ على بيعها، خمسة عشر، بالإضافة إلى بوليصة تأمين على الحياة بخمسة آلاف دولار لن تُمس إلا إذا وقع شيء ما بغيض، يعرف أنه لا يستحق كل هذا، ولكن سياسات الشركة تنص على أنه يجب تأمين كل مديري "تروست" العموميين - في أي مكان في العالم - على هذا المستوى، وعندما رحل "إلتانو"، تفاوض على استمرار تلك السياسة لمدة ثمانية عشر شهرًا آخر، وقد حان وقت انتهاء تلك المدة، ففي غضون ثلاثة أشهر سيكون قد مرّ عام ونصف العام منذ أن فصله رؤساؤه الهولنديون، عام ونصف العام بلا عمل، عام ونصف العام مُنتظرًا اتصال بعض مسؤولي التوظيف، مُرسلًا للسير الذاتية، مُنتظرًا الرد، عام ونصف العام، خمسة عشر شهرًا، خمسة آلاف دولار، ومن دون ميعاد مُحدد لموت مُحقق.



43



بعد سقوطه تلك الليلة التي كان يراقب فيها أصدقاءه السابحين في حمَّام سباحة "إلتانو سكاليا"، كان على "روني" أن يدخل المستشفى، أدخلوه إلى غرفة الكشف وأخذوا أشعة سينية له. اتصلتُ بالمنزل لأخبر "خواني" بأننا سنتأخر أكثر مما توقعت وأن الورقة المستعجلة التي كتبتها على عجل وسط صرخات "روني" - "ذهبت أنا وأبوك لعمل شيء ما ولكننا سنعود سريعًا، إذا احتجتني، اتصل بي. كل شيء على ما يرام، أتمنى لك كل خير. حبيبتك، ماما" - لم تعد كافية بعد الآن، على الأقل لم تعد كافية بالنسبة لي. أعرف أن "خواني" لن يتصل بي وأردته أن يتصل، احتجت أن أسمع منه إن كان عليّ البقاء هادئة بما يكفي لأرعى "روني" وساقه المكسورة. أجابتني آلة الرد على المكالمات. أغلقت الخط. تساءلت إن كان لا يزال - في هذا الوقت من الليل - يجري حافي القدمين مع "رومينا"، كما كان عندما مررنا عليهما قبل الخروج من "كاسكايد"، أو إن كانوا قد ارتدوا الـ'باتيناج 'مرة أخرى، أين يجريان، ولماذا، هل كانا يهربان من شخص ما أو شيء ما؟ أم أنهما يطاردان شيئًا ما؟ ربما يجريان فقط من أجل المتعة، من دون وجهة معينة. حاولتُ طرد تلك الأفكار من رأسي. بحثت عن سيجارة في حقيبتي ثم بدأت بالبحث عن كشك عندما لم أجد أية سجائر. هبط ثلاثة رجال يرتدون اللون الأبيض من الطرقة التي تواجهني. تعرَّفتُ على الطبيب النبطشي، وفيما بعد اكتشفت أن رفيقيه هما جرَّاح الطوارئ والجرَّاح الذي سيُجري العملية لـ"روني". توقفا عندما وصلا إليّ، وبمواجهة هؤلاء الغرباء الثلاثة بمعاطفهم البيضاء وحدي، شعرتُ للمرة الأولى بأن كل شيء يجري حولي أكثر مما أستطيع استيعابه، وامتد هذا الشعور لما هو أبعد من ساق زوجي المكسورة. لكنني في تلك اللحظة لم أشك إلى أي

مدى يمتد ذاك الشعور. ولأنهم أرادوا أن يكونوا أكثر وضوحًا معي، شرح الرجال ما سيفعلونه بهدوء وبتفاصيل غير ضرورية. قالوا إن الأمر ليس في سهولة صب الجبس على الساق المكسورة وخياطة الجرح، فهذا كسرٌ مُعرضٌ للخطر. سيحتاج "روني" لعملية، تحت تخدير كُلي، لإعادة تجبير العظم وتركيب مسامير. تجعد وجهي، شعرت وكأن الأرض تهتز تحت قدمي. ظل الجرَّاح يتكلم، كلمة وراء كلمة، قصبة الساق، عظم الشظية، مساواة كل عظمة بالأخرى. لاحظ جرَّاح الطوارئ أنني متضايقة فحاول طمأنتي:

- إنه شيءٌ روتيني، بسيط جدًّا، لا تقلقي.

أومأت، من دون إعطائهم أي سبب لتعبيرات الألم البادية عليّ، والتي لا علاقة لها بالعملية، ولا بمعاناة زوجي، ولا حتى بأي مخاطر جراحية، ولكنها المسامير، أفزعني التفكير في الأشياء التي توضع في الجسد ولا تتحلل معه. دائمًا ما أفزعتني تلك الفكرة. أجساد غريبة بداخلنا، تبقينا على قيد الحياة، قطع من المعدن، السيراميك، أو المطاط والتي ستبقى طويلًا عقب إبطال وظيفتها، عندما يتم استهلاك وتحلل كل شيء حولها.

في يوم الذي توفي فيه أبي، عقدت أمي النية على انتزاع أسنانه المستعارة، وهو ما أرعبني أكثر، فقلت لها:

- لا يمكنكِ إخراج أسنان أبي.

فأجابت:

- إنه ليس أبيكي، إنها جثة أبيكِ.

دخلنا في شِجارٍ كبير. فجأة بدا موت أبي المفاجئ أقل أهمية ممَّا سيحدث لأسنانه المستعارة، صرختُ فيها:

- لماذا تريدينها؟

فقالت والدهشة بادية عليها من أنني لم أفهم:

- ليذكرونني به.

فصحت بها:

- أنتِ مقرفة!

فقالت:

- ليس بمقدار قرفكِ يوم ترينها إلى جانب عظامه المتربة في اليوم الذي سيتم نبشه جثته فيه.

ثم أضافت وكأنها تلعنني:

- آمل أن تقومي أنتِ باستخراجها وليس أنا.

وهو ما حدث، ففي ظهيرة أحد الأيام، اتصلو بنا من مقبرة "أفيلانيدا". أرادوا شخصًا من العائلة لكي يوافق على استخراج عظام أبي، لأنهم أرادوا نقل تابوته إلى قبر أصغر بسبب محدودية المساحة في المقبرة. حينها كنت قد انتقلت إلى "كاسكايد هايتس"، فبدت لي "أفيلانيدا" بعيدة في الزمان والمكان. لم أزرها كثيرًا منذ انتقلت إلى هنا، إلى ذلك المنزل الذي اشتريناه من أرملة "أنتيري" ونعيش فيه الآن. يجب أن يكون أحد أعضاء الأسرة حاضرًا أثناء استخراج الجثة، ولذلك ذهبت. اختارت أمي أن تُحرق جثتها، ويُنثر رمادها مع الريح، وفقًا لأمنياتها الأخيرة. أمَّا أبي فقد دُفِن في الأرض، حتى ذلك اليوم. مشهد تلك الأسنان في الطبق المعدني، على الرغم من المجهود التي بذلته الديدان في السنوات المتعاقبة، أعاد إلى ذاكرتي مشهد ابتسامة أمي التهكمية أكثر من ذكرى أبي نفسه. المسامير، مثل الأسنان، ستستمر، وستبقى هناك، منتظرة لمن يجرؤ على استخراجها. لكن مع ذلك، لن يُدفن "روني" ولا أنا، ولا أي أحد من أصدقائنا في "كاسكايد هايتس"، في مقبرة "أفيلانيدا"، أو في أية مقبرة أخرى تابعة لإدارة البلدية، ففي المقابر الخاصة ليس من الضروري كبس العظام لإفساح المجال لمزيد من الموت، يمكنك دائمًا شراء أرض أخرى، بإمكانك دائمًا إنشاء مقبرة أخرى، ويمكنك ابتكار حل جديد، فهناك ما يكفي من الأراضي في المنطقة

لتقسيمها إلى العديد من المقابر. ولكن، إن لم يستمر الحال، وجاء اليوم الذي سيضطرون فيه إلى إفساح مجال أكبر للموتى في المقابر الخاصة، أو إذا ما جاء يوم لن نقدر فيه على تغطية نفقاتنا وخسرنا المقبرة التي سنُدفن فيها. إن قام أحدهم بالاتصال يومًا طالبًا حضور قريب أثناء عملية تكديس ما تبقى من "روني"، سيتقابل هذا القريب - سواء أكنت أنا، "خواني" أو أي حفيد - مع المسامير وجهًا لوجه.

إنهم دخلاء خالدون، هكذا فكرت، أثناء انتظاري خارج غرفة العمليات. فكرت في أمثلة أخرى، سمحت لنفسي بالتفكير فيها، حتى لا أفكر في عملية "روني" أو في "خواني"، الذي لا يرد على التليفون. دُعامة، وجهاز تنظيم ضربات القلب. بعض الأعضاء الاصطناعية المعقدة القادمة خصيصًا من الولايات المتحدة أو ألمانيا، "لولب رحمي"، لا ليس "لولبًا رحميًّا"، لأن المرأة العجوز لن يناسبها "اللولب الرحمي". ضايقني التفكير في امرأة تحتفظ بخصوبتها بداخل القبر لدرجة أنني رفضت هذا المثل. تساءلت إن كان يجب إزالة الأشياء القيمة مثل منظم ضربات القلب أو الدعامة من المتوفى قبل الدفن، كنوع من إعادة التدوير، واندهشت من أنه لم يخبرني أي أحد في "كاسكايد" أبدًا بمثل تلك الأشياء. لن أسمح لهم بإزالة المسامير من "روني"، ثم فكرت في الأعضاء السيليكون المزروعة أيضًا، فالسيليكون دخيل آخر قادر على الصمود أكثر من مُضيفه، فالأعضاء المزروعة يمكنها النجاة من الدفن، تحلل الجسد، ورطوبة التربة، والديدان. سيجد شخصٌ ما ذات يوم كُرتين من السيليكون في قبري، مهما كانت قيمتهما، سيجدون كرات من السيليكون في قبور أغلب جيراني النساء أيضًا. تخيلتُ المقبرة الخاصة المدفون فيها نساء من "كاسكايد هايتس" غارقة بكُرَات من السيليكون، كُرات تحللت النهود التي احتوتهن، ست أقدام أسفل ذلك العشب الطاهر، العظام، الوحل والسيليكون، والأسنان، والمسامير.

خرجت للحديقة كي أدخن، أشعلت السيجارة، ثم أشعلت الثانية، والثالثة. اتصلت بـ"خواني" مرة أخرى، لم يرد، ومع ذلك، لا بد أنه في المنزل، ربما يكون نائمًا ولم يسمع التليفون، هكذا اعتقدت، أردت الاعتقاد بأنه نائم، ولكنه

من الممكن أيضًا أن يكون بالخارج يتسكع، أو ربما راقدًا فاقد الوعي في مكان ما، أو عاد إلى المنزل ومستغرق في النوم، ماذا لو أن نومه ليس بسبب التعب، بل بسبب الكحول، أو شيء آخر وجدت صعوبة في تسميته، "الماريجوانا". "الحشيش"هو ما تم ذكره في تقرير "خدمة الصحة والإنسان الأمريكي" الذي أعطتني إيَّاه "تيريزا سكاليا" عقب معرفتها بشأن "الوقت العصيب الذي تمرين به". لا، ليس كذلك، لقد وعدنا بأنه لن يلمسه ويجب أن "أصدق ابني، لأن بإمكانه هذا". هذا ما قاله الأخصائيون الذين أتوا إلى "كاسكايد هايتس" لدعم الأسر ذات "الأطفال المعرضين للخطر"، يجب أن نؤمن بأبنائنا، ولكن ما أدراهم؟ تلك ليست المشكلة، المشكلة هي أن نؤمن بأنفسنا.

نجحت العملية، هكذا أخبرني الجرَّاح، أخبرني بنجاحها في الطرقة نفسها، لم يخلع رداءه بعد، لكنه خلع قفازاته الطبية. انتظرتهم حتى يعيدوا "روني" إلى الغرفة وانتظرته حتى يفيق من المخدر. اتصلت بالمنزل ورد "خواني" هذه المرة، أخبرته بكل شيء، بدا غريبًا، قلقًا. كان من الواضح أنه لم يكن نائمًا.

سألته:

- هل هناك خطب ما؟

- لا، لا شيء، أنا أشعر بالصداع.

- ماذا حدث؟ هل أكلت شيئًا أذاك؟

لم يجب.

- أم أنك شربت شيئًا؟... متى عدت للمنزل؟

قاطعني:

- توقفي يا أمي.

- اتصل بي متى أردت.

لم يتصل بي.

بسبب التخدير والمسكنات، نام "روني" حتى الصباح، غفوت على الفوتيه المجاور له، وأخيراً نزلت لأتناول الغداء، لم أتصل بأحد لأخبرهم بما حدث، لا عملاء أو أصدقاء، رنّ تليفوني المحمول عدة مرات ولكن، عندما وجدت أن "خواني" ليس المتصل، لم أرد على المكالمات. فكرت للحظة أن أتصل بحارس النادي لأخبره بمكاننا، لكنني أدركت سريعًا بأن قيامي بهذا ليس له معنى. ربما كان هذا هاجسًا، لأنه أثناء إنهائي للغداء في مطعم المستشفى، دخلت "دوريتا إيمابياس" التي كانت تزور صديقة لها، اقتربت مني وهي تهز رأسها.

مدت يدها وأمسكت بيدي وضغطت عليها:

- يا له من أمر مفزع ما حدث يا "فرجينيا"! أخبريني بكل ما بداخلك؟

لاحظت أنها لم تكن تتحدث عن حادثة "روني".

- عن ماذا تتحدثين يا "دوريتا"؟

- ماذا، ألم تسمعي؟

لاحظت في صوتها إثارة كبيرة لكونها حاملة للأخبار، تقدمت أقرب لتخبرني بما حدث.

- وقع حادث أمس في منزل "سكاليا"، مشكلة كهربائية، وجدوا "إلتانو"، و"جوستافو ماسوتا"، و"مارتن يوروفيتش" غارقين في حمام السباحة. في الحقيقة لم يغرقوا، لقد صُعقوا بالكهرباء.

لم أستطع فهم كلماتها، وكأن كل شيء حولنا يدور، أمسكت بالكرسي حتى لا أسقط من عليه.

- أتصدقين هذا؟ رجال كبار يلعبون بأسلاك الكهرباء في الماء؟

- هل صُعِقوا جميعًا؟

- نعم، يبدو أن السلك سقط في المياه فماتوا على الفور.

مضت مشاهد ليلة أمس أمامي، كبكرة فيلم. الثلاجة المفتوحة أمامي، عودة "روني" للمنزل عقب تركه سهرة ليلة الخميس الثابتة في منزل "إلتانو"، السلالم، البلكون، الشيزلونج بجانب الدرابزين، والشيزلونج الخاص بي إلى جانبه، الصمت، أضواء حمَّام سباحة "سكاليا"، سقوط مكعبات الثلج على الأرضية وانزلاقها، موسيقى الجاز عبر صوت حفيف أوراق شجر "الحور". صمته، سخطي، غضبه، السقوط على السلالم، صراخه من الألم.

قالت "دوريتا":

- مسكينة "تيريزا" والأولاد، مَنْ سينزل حمامهم بعد الآن؟

فكرت في "روني" يهرب من المنزل في تلك الليلة وكأنه تنبأ بالفاجعة، "روني"، ناجي آخر من الموت، تمامًا كمساميره:

- عندما لا يكون الله حاضرًا، لا يكون حاضرًا وليس في يدنا شيء لنفعله، ولكن يا لها من طريقة غبية للموت، أليس كذلك؟

قلت:

- غبية جدًّا.

وذهبت لأبحث عن زوجي.



44



في غضون الساعة نفسها التي خرج فيها "روني" من المستشفى، كانت جثث أصدقائه في عربة متجهة إلى مقبرة خاصة على الطريق السريع. دفعت "فرجينيا" الكرسي المتحرك الذي يجلس عليه زوجها بقدمه المجبسة. لم تتلقَ أي مساعدة من أحد عبر طرقات المستشفى، وهو ما طلبته: ألا يصحبهم أحد للخارج، فهي تحتاج الوقت الذي ستستغرقه في الوصول إلى سيارتها لتفكر في المهمة التي بين يديها. عندما وصلا إلى لسيارة، أوقفت الكرسي، ثم وقفت في مواجهة "روني". انحنت أمامه، ممسكة بيديه.

- هناك شيء يجب أن أخبرك به.

استمع "روني" من دون أن ينطق بكلمة:

- ليلة أمس الأول كان هناك حادث في بيت "سكاليا".

هزّ "روني" رأسه.

- "إلتانو"، و"جوستافو" و"مارتن" ماتوا جميعًا صعقًا بالكهرباء.

فقال "روني":

- لا.

- لقد كان حادث مروع.

- لا، لم يكن.

حاول "روني" أن ينهض، ولكنه سقط في الحال على الكرسي.

- اهدأ يا "روني".

- لا، لم يكن هكذا، أعلم أنه لم يكن هكذا.

ثم بدأ في البكاء.

- وجدهم الجنايني صباح أمس في قاع حمَّام السباحة.

حاول"روني" النهوض مرة أخرى، لكن "فرجينيا" أوقفته:

- "روني"، يجب ألا تثقل على ساقك بسبب الـ...

قاطعها:

- خذيني إلى المقبرة.

- لن يحسِّن هذا من حالك.

- خذيني إلى المقبرة أو سأذهب إليها بنفسي.

نهض هذه المرة وكل ما استطاعت أن تفعله "فرجينيا" هو منعه عن أخذ أي خطوة.

- أمتأكد من أنك تريد الذهاب؟

- متأكد جدًّا.

- حسنًا، فلنذهب معًا.

ساعدت زوجها على ركوب السيارة، ثم وضعت الكرسي المتحرك في شنطة السيارة، ثم جلست في كرسي السائق إلى جانب زوجها. نظرت إليه، وملّست على وجهه. أدارت المحرك، مستعدة لتنفيذ ما طلبه.

45



كان يومًا مشمسًا. حلَّ الربيع فامتلأت الأشجار بالزهور. ركن بعضنا على جانب الطريق. لن تبدأ الجنازة إلا بعد خمس عشرة دقيقة. امتلأ الجراج أسفل الأرض وتمركز حراس الأمن على جانب الطريق لتأمين سياراتنا.

- لم أتعرف عليك، هل غيَّرت سيارتك؟

الجميع موجود. كان من الأسهل معرفة من لم يحضر بدلًا من قراءة قائمة الحضور كاملة. عائلة "لاوريدو" في أوروبا:

- بعد ما حدث لبرجي التجارة العالمية، أصبح الناس مجانين بالشك، فوضعوا العروض على كل شيء، أسعاء الفنادق أصبحت رخيصة للغاية. لذا عليك اغتنام تلك الفرص طالما استطعت هذا.

أمَّا عائلة "أيالا" فيقيمون مع ابنهما في "باريلوتشي"، لأن "كلاريتا بوزيت" تتعافى من الالتهاب الرئوي. حضر جميع أعضاء الطاقم الإداري لـ"كاسكايد"، ومدربو التنس، ومحكمو ملعب الجولف. لم يحدث لنا مثل هذا الأمر من قبل، ولم تحل مصيبة عظيمة جدًّا أبدًا داخل بواباتنا.

- أمر لا يصدقه عقل.

- يا لها من مسكينة "تيريزا".

- لقد كان صعقًا كهربائيًا، أليس كذلك؟

انتظرنا وصول الجثث بجوار الكنيسة الصغيرة. نتبادل النظرات في صمت. لا نجد ما نقوله. ومع ذلك جميعنا قلنا شيئًا أو آخر:

- لم أرك منذ شهور.

- لنأمل أن نتقابل المرة الأخرى في ظروف أسعد.

شخصٌ ما سأل عن "روني" و"فرجينيا جيفارا". قال أحدهم أنه خرج من المستشفى هذا الصباح. كنا نتكهن بفرص حضور "روني" للجنازة:

- لا، لا أعتقد هذا، ستكون تجربة صادمة جدًّا له.

- يا له من تعيس، لقد مرّ بما يكفي.

- مَنْ اعتنى بأطفالك اليوم؟

سلّمت الشرطة الجثث في أقصر وقت ممكن، حيث تحدث "أجيري" - رئيس الأمن بـ"كاسكايد هايتس"- شخصيًّا مع المفتش "على رقمه الخاص، حيث إنه صديقه"، فليس هناك ضرورة إلى زيادة الضغط على الأرامل. عرض دكتور "بيريز بران" - عضو قديم من أعضاء الحي - بأن يتحدث إلى القاضي رئيس المحكمة.

- ولماذا يجب أن يتدخل قاضٍ في الموضوع؟

- إنها قاعدة: فهناك ثلاثة موتى.

يعرفه "بيريز بران"، لأنه رافع في العديد من القضايا بمحكمته. أكد له القاضي أن الموضوع سينتهي سريعًا، وقامت الشرطة بعمل تحرياتها الروتينية:

- لماذا قتل عمدًا، ولا يوجد من يمكن اتهامه؟

يجب أن تُسمى القضية بـ"قتل خطأ"، فكلمة "عمد" مُضللة جدًّا.

- ولماذا "عمد"؟ يجب أن يضعوا كلمة "مصادفة".

- هذا التعريف غير موجود في القانون.

- أي قانون؟

- قانون العقوبات.

- حسنًا يجب أن يضيفوها، إذا ما وقع الأمر مصادفة، فهو حادث، لماذا لا يدعوا الناس الأشياء بأسمائها في هذا البلد؟

- هل هذه والدة "إلتانو"؟

- ليس لديَّ فكرة.

أرادوا الاستماع للموسيقى. كانوا يستمعون للموسيقى، لـ"ديانا كرال" كما يبدو، لكن "إلتانو" أراد الإستريو أن يكون أقرب، فسحب السلك، وفصل الإستريو نفسه. سقط سلك الكهرباء في حمَّام السباحة:

- ماذا عن العازل الكهربائي؟ أنت تعلم أنه يجب فحص تلك الأجهزة مرة في العام على الأقل.

- كان العازل الكهربائي موجودًا، لكنهم كانوا قد ماتوا بالفعل.

- وما هو العازل الكهربائي، وزيادة التحميل عليه؟

- ظننتك تعلم كل شيء عن قاطعي الدوائر الكهربائية.

- أتعلم، لا بد أن هذه هي أمه، ففيها شبه كبير من "إلتانو".

- أتريدني أن أخبرك بما أعتقد أنه قتلهم؟

- ماذا؟

- تلك البشاعة التي اخترعتها "كارمن إنسوا" مع الصور.

- أوه أرجوك! مجرد التفكير في هذا الأمر يصيبني بالقشعريرة.

في تمام الساعة الحادية عشرة بالضبط، وصلت التوابيت الثلاثة: تابوت "إلتانو"، و"جوستافو" و"مارتن". من الواضح أن فكرة دفنهم في صف كانت من أفكار "تيريزا"، حيث قالت، في الموت، كما في الحياة، كانوا سويًّا في آخر لياليهم معًا، كعادتهم كل خميس. نجا "روني جيفارا" بأعجوبة، حيث عاد إلى

منزله مبكرًا. قال البعض إنه شعر بالتعب، بينما قال الآخرون إنه تشاجر مع "إلتانو". أيًا كان السبب، لم يختره القدر ليموت تلك الليلة مع الآخرين.

- لا يموت أحد قبل انتهاء أجله[9].

- أين سمعت هذا من قبل؟

- إنه مثال على ما قلت.

قامت "تيريزا" بكل الترتيبات، قبل وأثناء الجنازة. لا بد أنها تعاطت شيئًا ما، حيث بدت في أسوأ حالاتها، لكنها مع هذا ظلت هادئة. بدت أنها تأقلمت مع الوضع بطريقة جيدة. يقولون إنها دفعت ثمن قبر "مارتن يوروفيتش"، فـ"لالا" لن تقدر على سداد ثمنه. عند دخول التوابيت الثلاثة الكنيسة، كان هناك همس قليل بين بعض الحضور الذين لم يكونوا من سكان "كاسكايد". من الواضح أنهم أقارب "مارتن"، من الفرع اليهودي، الذين اعترضوا على اختيار القس ليبارك رحلته إلى العالم الآخر. لكن لم يقل أحد شيئًا، ولا حتى والداه، اللذان بكيا محتضنين بعضهما. جلست الأرامل الثلاث معًا في الصف الأمامي. تشابك ذراعا "تيريزا" و"لالا"، بينما جلست "كارلا" مبتعدة قليلًا. وأخذت صديقة لا نعرفها تملس على ظهرها. في الصف الثاني جلس أبناء "إلتانو" و"مارتن" يبكون ويواسيهم أصدقاؤهم وأقرباؤهم. تحدث القس عن نداء الرب، ومدى صعوبة فهم ندائه لصغار السن من الناس، وكيف يجب أن نتعلم قبول حكمته، ودعانا لتلاوة الصلاة الربانية. الذين استطاعوا ترتيل الكلمات منا، رتَّلوا وراءه. لم يكونوا كثيرين جدًّا بالنسبة لعدد الحضور. وعندما قال جملة "اغفر لنا خطايانا..." نطقها الكثيرون بالصيغة القديمة: "اغفر لنا آثامنا". وفي همهمة الصلاة، كان هناك خلط للآثام والخطايا، والآثمين والخاطئين. حرّكنا أيدينا علامة الصليب. رنّ محمول. تفقَّد الكثيرون حقائب أيديهم وجيوبهم، ولكن الرنة استمرت: "ألو، إنني في جنازة، سأعاود

(9)- هذه الجملة قالها الرئيس "كارلوس مينيم" بعد جراحة عاجلة بسبب شريان مسدود عام 1993، بعدها أصبحت مقولة شهيرة له.

الاتصال بك". قال القس، فليقبل الرب "مارتن"، و"جوستافو"، و"ألبرتو" في مجده. تبادلنا النظرات، فـ"ألبرتو" لا يعني شيئًا لنا، يجب أن يقبل اللـه "إلتانو" في مجده، "إلتانو سكاليا".

ثم أعلن القس أوقات الصلاة في الكنيسة في عطلات نهاية الأسبوع:

- تذكروا بأن صلاة السبت في الساعة السابعة مساءً تحل محل خدمة الأحد.

قدم تعازيه للأرامل الثكلى وعبَّر عن تعاطفه معهن، ومع الأقارب والأصدقاء. كان موجزًا، دائمًا ما يكونون موجزين في مثل تلك الأماكن. صوته كان حياديًّا، بلا نغمة، تمامًا مثل أمين السجلات الذي يسجل آخر حالة زواج في آخر اليوم. لن يحتمل أحد قضاء المزيد من الوقت هناك، فالكنيسة صغيرة جدًّا، وبها ثلاثة توابيت، وثلاث أرامل، وأناس كثيرون لا يعرفون الصلاة الربانية، ورائحة الزهور، والبكاء.

مشينا في جماعة على الممر المُبلط. على الجانبين، بدا العشب المقصوص حديثًا أخضر جدًّا. أثناء سيرنا، لحق بنا العديد من الذين جاءوا متأخرين. جميعهم صامتون، وجميعهم يرتدون النظارات السوداء. تزامنت خطواتنا البطيئة مع حملة التوابيت. مسيرة جنائزية. بكى البعض بصوت حاد، وآخرون كان بكاؤهم أهدى: بكاء الأطفال. في نهاية الممر وصلنا لمكان تم حفر ثلاثة قبور فيه، وبجانبهم وُضعت سجاجيد عشبية خضراء. وقف عمَّال المقبرة بجوار الآلات التي سيستخدمونها في إنزال التوابيت إلى القبور. تجمعنا حول الحفرات الثلاث. وقف أعضاء الهيئة الإدارية لـ"كاسكايد هايتس"، ومدربو التنس وموظفو الجولف على مسافة مناسبة. ألقى "ألفريدو إنسوا" كلمات قليلة:

- أتحدث، ليس بصفتي رئيسًا لـ"كاسكايد هايتس" ولكن بصفتي صديقًا.

كانت هذه هي أول خطبة عامة يلقيها منذ فوزه بالانتخابات وتعيينه رئيسًا لمجلس إدارة الحي. وقف بجوار "تيريزا" وتحدث، ممسكًا يدها بشدة. ارتفع صوت بكاء والدة "إلتانو" فجأة، بينما انحنت أم "يوروفيتش" لتحضن تابوت

ابنهـا. تحـدَّث "ألفريـدو" عـن الألم الـذي سـيبقى في "كاسـكايد"، لكنـه أيـضًا تحـدث عن:

- فخره بمعرفتهم، بكونهم جيراننـا وأصـدقاءنا، بمـشاركتهم مباريـات التـنس، والأحاديـث، والتمشي في الحي معنا. إن تاريخ "كاسكايد هايتس" مُخلّدٌ بأسمائهم.

قام شخصٌ ما بالتصفيق تلقائيًا بعد انتهائه من خطبته، تبعه المزيد من المـصفقين، ولكـن الكثيرين لم يصفقوا، بينما تساءل البعض إذا كان من الملائم التـصفيق في الجنـازة، ولهـذا كـان التصفيق قصير الأمد، ثم أدار عمال الجبانة المقابض ونزلت التوابيت الثلاثـة معًـا. صرخـت أم "إلتانو" مرة أخرى، سارت "كارلا" للأمام كي تلقي بعض الـتراب عـلى قـبر زوجهـا، وألقـى أبنـاء "إلتـانو" بعـض الزهـور التـي حـصلوا عليهـا مـن زوجـة "إنـسوا" الجديـدة. احتـضنت ابنـة "يوروفيتش" ساق أمها ولم ترفع نظرها أثناء إنـزال تـابوت أبيهـا. أخـذ شـخص مـا أم "إلتـانو" بعيدًا. جلست "لالا" وحضنت ابنتها وبكت. سمح العمَّال بمزيد من الثواني القليلة للانتحـاب، ثم سحبوا السجاجيد العـشبية الخـضراء عـلى الحُفـر المفتوحـة في الأرض. ذهبنـا جميعًـا الآن لتقبيل الأرامل. ذهب أشجعنا أولًا، ثم قمنا باحتضان الأطفال وبعضنا البعض. قال شخص ما:

- لا يمكنني تصديق هذا.

فأجابه آخر:

- ولا أنا.

أخيرًا، ابتعدنا عن القبور وأخذنا الممر عائدين إلى السيارات. دخلـت "تيريـزا" وأبناؤهـا في سيارة "إلتانو" "اللاند روفر"، ولكنها لم تقدها، حيث قادها أخوها أو أخو زوجهـا، لا شـك أنـه أحد أفراد العائلة، لأننا لم نتعرف عليه، ورحلت "كارلا" مع صديقة، ورحلت "لالا" مـع والـدي "مارتن".

كان لا يزال هناك القليل منا باقين، نودع بعضنا البعض في جراج السيارات، عنـدما وصـل "روني" عـلى كـرسي متحـرك تدفعـه زوجتـه، وسـاقه أمامـه في

الجبس. لم يوجد أثر للدموع في عينيه، ولا هي، ولكن تعبيرات وجهيهما تقطع قلب أي شخص جريء بما يكفي للنظر إليهما. كانت عينا "روني" مثبتتين إلى الأمام، وكأنه لا يريد أن يوقفه أحد، أو يقول له أي شيء. وبشيء من الأمل، ذهبت "دوريتا إيامبياس" مباشرةً إليه واعتصرت يديه:

- كن قويًا يا "روني".

ووضعت "تيري سالديفار" يدها على كتف "فرجينيا":

- نحن هنا حينما تحتاج إلينا.

أومأت، لكنها لم تتوقف.

قال لهما شخصٌ ما:

- إنهم بجوار حوض أشجار البنفسج.

لكن "مافي" كانت بالفعل تسير وكأنها تعرف إلى أين تذهب، متتبعة آثار أقدامنا على الممر، وبين الحين والآخر يتعثر الكرسي المتحرك في البلاط وتصارع مُحركة الكرسي للخلف وللأمام لتحرير العجلات، لكنها لم تتوقف أبدًا، شاهدناهما أثنا سيرهما، لم يتوقفا حتى وصلا للقبور الثلاثة المفتوحة والمغطاة بالسجادة العشبية الخضراء. أوقفت "مافي" كرسي زوجها بجوارهم وتراجعت بخطوات قليلة. "روني" مُعطيًا ظهره لنا، ومكانه إلى جانب القبور الثلاثة، أكمل الرباعي.



46



عدنا إلى المنزل وقت الغداء تقريبًا. لم يكن "خواني" موجودًا، وهذا شيء آخر يثير القلق. أرحت "روني" في غرفة المعيشة بوضع كرسيه المتحرك أمام الشباك المُطل على حديقتنا:

- أتود بعض الشاي؟

قال إنه يريد. ذهبت للمطبخ لإعداد الشاي. استجمعت الشجاعة للاتصال بمنزل "أندرادي"، كان "خواني" هناك مع "رومينا". جعلني هذا أشعر بالقليل من التحسن. صببت كوبي شاي ووضعتهما على الصينية متجهة لغرفة المعيشة، كان الكرسي المتحرك خاليًا.

صرخت:

- "روني"!

بحثت عنه بجنون في الطابق السفلي، ثم خرجت للحديقة، ثم للشارع، أبحث في كل الاتجاهات، ليس بإمكانه الابتعاد كثيرًا بساق مُجبسة. عُدتُ إلى المنزل. صرخت باسمه مرة أخرى، لم أفهم الأمر حتى رأيت السلم. صعد "روني" للبلكون، مُتشبسًا بالدرابزين، ومُمسكًا بساقه المُجبسة. كان يرتعش من المجهود الذي بذله أثناء صعوده السُلَّم قافزًا على ساقه السليمة. كان ينظر إلى حمام سباحة "سكاليا"، القابع خلف أشجار الحور، اقتربت منه بهدوء، من دون صوت تقريبًا، لففت ذراعيّ حوله، لم أتذكر آخر مرة احتضنت فيها زوجي، أمسك بيدي وضغط عليها بشدة، بدأ بالبكاء، بهدوء في البداية ثم بشدة، ثم جاهد نفسه ليهدأ، استدار ليواجهني، نظر في عينيّ وهو يمسك

بيدي، أعادني لتلك الليلة، السابع والعشرين من سبتمبر 2001، عندما كان يتناول العشاء مع أصدقائه في بيت "إلتانو".

تناولوا "الباستا"، مُعدة منزليًا. قطَّعها "إلتانو" بنفسه إلى شرائط. بالطماطم والريحان، ثم لعبوا "تروكو"[10] - مباراة، اثنتين، ثلاثًا، وشربوا، كثيرًا. لم يتذكر "روني" مَنْ الفائز، ولكنه تذكر أن "مارتن" و"جوستافو" لعبوا ضده هو و"إلتانو". أثناء اللعب، أُثير موضوع انتقال "مارتن" لـ"ميامي". لم يتذكر سياق الحديث، لكن "إلتانو" هو من فتح الموضوع. قال إنه يجب على "مارتن" البقاء. من أجل ماذا؟ الموت بكرامة. توقفت عن الشعور بأي كرامة منذ زمن بعيد. لأنك لا تدير الأمور بشكل صائب. إنني صاحب أسوأ حظ: فقط عندما قررت الذهاب لـ"ميامي"، فجروا البرجين. ألن نجري الخدعة؟ من أجل ماذا ستذهب لـ"ميامي"؟ حتى يضعوا الجمرة الخبيثة في مياهك؟ "تروكو". لتنسف المدخرات القليلة التي أبقيتها؟ مرروا لي النبيذ، سينتهي بك الحال حاصلًا على أية وظيفة يمكنك الوصول إليها، بينما ستنظف زوجتك المنزل. "كيرو"، وإذا ما أصبح الحال هكذا، فستنظف زوجتك منزلًا آخر أيضًا لمزيد من المال. ليس لديَّ أي اختيار. بل لديك. ماذا؟ ابق هنا. لم يعد من الممكن إقامة حياة هنا. ومَنْ الذي تكلم عن الحياة؟ مَنْ يريد المزيد من الخمر؟ إن لم تستطع العيش بكرامة، مت بكرامة. صمت. دورُ مَنْ هذا؟ لدينا نحن الأربعة فرصة الخروج الكبير. خروج؟ لنخرج من هذا. لا أفهمك. أخطط لخروج كبير وأعطيكم الفرصة للحاق بي. هيه، ما زال لديَّ وظيفة. ضحك

(10)- "تروكو" لعبة كوتشينة شهيرة في الأرجنتين وعدة بلدان أخرى في أمريكا اللاتينية، وعادة ما تُلعب بفريقين يتكون كل فريق من لاعبين، تكمن جاذبية اللعبة في المزايدة المعقدة والوسائل المُستخدمة لخداع المنافس، ويمكن قبول المزايدات (كيرو)، أو رفضها (نوكيرو) أو زيادتها بعدة طرق، وقد يخدع اللاعبون عمدًا منافسيهم، أو يقومون بعمل إشارات سرية لزملائهم، ولتحقيق هذا، يتم اللعب في ظروف لاهية وفوضوية، فبينما يبقي لاعبو البوكر على التوتر صامتًا، تشير صيحات "تروكو"، "إنفيدو"، و"فلور" إلى تجميعات مختلفة من البطاقات وبالتالي تغير الرهون، حيث ترفع عملية "رتروكو" من قيمة الدور الملعوب، بينما تزيدها "فالي جوادرو" إلى الحد الأقصى، إذا انتهت دورة اللعب بالتعادل، "باردا"، لا يفز أحد بالرهان، بينما تعني "فوي كايادو" لعب البطاقة بدون استدعاء أي شيء، وتعني "مالدون" أو"التوزيع الخاطيء للأوراق" دعوة لتوزيعة جديدة.

"جوستافو". سأل "إلتانو": والكرامة؟ "إنفيدو"، "إنفيدو". لماذا تقول هذا؟ تسعة وعشرون. من دون سبب. ماذا تعرف؟ أعرف عنك؟ المهم هو ما نعلمه جميعًا عن أنفسنا، "فوي كايادو". وماذا سيفعل كل منا عندما لا يرانا أحد، "تروكو"، أو عندما نعتقد أنه لا يرانا أحد. "كيرو رتروكو". لماذا تقول هذا؟ سأموت بكرامة، الليلة، بمفردي أو معكم جميعًا. "تانو"، إنك تمزح، أليس كذلك؟ أنا؟ على الإطلاق يا "روني". "باردا". لا يفتقد أحد هنا الدافع للقيام بالفعل نفسه مثلي. صمت. إنها مسؤوليتك يا "تانو". لديَّ بوليصة تأمين على الحياة بخمسمئة ألف دولار. إنه مبلغ كبير جدًّا. "تروكو". إذا متُّ، ستطالب أسرتي بمال التأمين وتستمر في العيش كما اعتادت، بالضبط كما اعتادوا دائمًا. "نوكيرو". إنك مستعد جيدًا يا "تانو". لديك أيضًا تأمين على الحياة يا "مارتن". قيمته المالية أقل. لكنه لا يزال أكثر مما يكفي. إنك مخطئ، ليس لديَّ تأمين على الحياة. بل لديك، لقد دفعته أثناء سدادي قيمة التأمين الصحي. "مالدون". صمت. ومنذ متى بدأت هذا؟ يا رجال، هل من الممكن أن تتوقفوا عن هذا الهراء؟ "إنفيدو". لم أكن جادًا هكذا في حياتي أبدًا. "ريال إنفيدو". "نوكريموس". من المهم ألا يشك الناس. يشكون في ماذا؟ في أنه انتحار. هل سنلعب "تروكو"؟ لا، سنتوقف عن اللعب. سأله "جوستافو"، وهل دفعت لي تأمينًا على الحياة أيضًا؟ لا، في حالتك من الأفضل ألا يكون لديك بوليصة تأمين. أهذا نوع من إنهاء الحديث؟ ما هي "حالتي" بالضبط؟ تضرب زوجتك بصدق. صمت. تناول "روني" مشروبًا. لا تهم الطريقة التي تضربها بها الآن. اضربها بشدة، في المكان الذي يؤلمها: في جيبها. ألقى "جوستافو" ببطاقته على الترابيزة، ونهض. دار حولها. جلس مرة أخرى. كل مَنْ في النادي يعلم يا "جوستافو". تقدَّم جيرانك بشكوى في غرفة الحراسة آخر مرة بسبب الصياح، التقط البطاقات والعب، هيا. سألعب. صمت. أنا لا أضربها. "إنفيدو يتروكو". "نوكيرو إلبريميرو". "كيرو إلسيجوندو". "كيرو رتروكو". أنا لا أضربها. "كيرو". مرة واحدة فقط، فلتت الأمور من يدي، ولكنني لا أضربها. "كيرو فالي جوادرو". على الأقل خمس من الشكاوى غير الرسمية مقدمة للجنة الأمن. لست

أنا، الأمر ليس كذلك، هي التي دفعتني لهذا. هل أخذت ورقة "المقص" أيضًا؟ اللعنة. صبّوا لي بعض الخمر. وكيف سيتم الانتحار؟ أصرّ "روني"، اهدأوا يا شباب، غيروا الموضوع. لست أنا الذي أراد الذهاب لـ"ميامي". افعل هذا لأجلهم، اقتل نفسك لأجلهم، واترك لهم أموالًا أكثر من التي ستجنيها بقية حياتك، سواءً في "ميامي" أو في أي مكان آخر. شرب "جوستافو" كأسًا، ثم كأسًا أخرى، قال "إلتانو"، فلنقم بالأمر على أكمل وجه. أنا حقًا لا أُقدِّر هذا النوع من النهايات. إنها ليست نهاية يا "روني". لا أصدقك. كيف سيكون إذن؟ نموت صعقًا بالكهرباء في حمَّام السباحة، نذهب أولًا للسباحة، ثملين، ونستمع للموسيقى وعندما أريد سحب الإستريو لتقريبه، ينخلع سلك التوصيل وينزلق في الماء، مائتان وعشرون فولتًا تنطلق خلال المياه بسرعة الضوء، ونُقتل في الحال. يجب أن أوقف العازل الكهربائي حتى نكون قد أنجزنا مهمتنا بنجاح. ضحك "يوروفيتش". في حمام السباحة، ولكن بنجاح؟ لقد فقدتم عقولكم جميعًا. لا تقم بالاختيار الخطأ يا "روني". وأنت أكثرهم جنونًا، بإمكان المجنون أن يكون الأكثر ذكاءً يا "روني". أحيانًا ما يرى القليلون منا الواقع: تنهار الشركات، يرحل رأس المال الأجنبي، يتقاتل المزيد من الناس على منصب إداري واحد، وتقول إنني المجنون؟ تناول كأسًا، عليك قراءة الثقافة الشرقية - الصينية، واليابانية - فهم يعرفون تمامًا قيمة إنهاء حياة المرء في الوقت المناسب. ومنذ متى وأنت مُعجب بالثقافة الشرقية يا "تانو"؟ مزح شخص غير "روني"، منذ أن بدأ بتربية لحيته. ربما يومًا ما، عامًا ما، عندما يدير أُناسٌ آخرون هذا البلد، ستتغير الأمور وسنصبح دولة جادة. لكن حينها سيكون الوقت متأخرًا جدًّا بالنسبة لنا، سنكون قد كبرنا على التمتع بها، لن نستطيع الحفاظ على المنزل أو السيارة، ولكن يمكننا إنقاذ أسرنا من السقوط. أنا لم أسقط. أنت سقطت بالفعل يا "جوستافو"، لقد تهشمت بالفعل. هل سألعب؟ لن ألعب بعد الآن. لا تتركنا هكذا يا "روني". استمروا، دور آخر. صمت. وإن لم تنجح الخطة؟ إذا ما اكتشفوا السر؟ "فلور". عن ماذا؟ عن الخدعة؟ لا يمكن الشك في أن أربع ضحايا ماتوا بالصعق الكهربائي قد انتحروا

في الحقيقة. قال "روني"، بعيدًا عـن كونـك مجنونـًا، فإنـك تتخيـل نفـسك أذكى بكثـير مـن أي شخص آخر، لا أعلم إن كانت كلمة "ذكاء" هي الكلمة الصحيحة، ولكننا لسنا في "جيانـا" وأنـا لست بـ"جيم جونز". لن يشك أحد. "تروكو". هل أنت معنا أم لا يا "روني"؟ إن عقلك مـريض يا "تانو". أهذا هو موقفك، أم أنك لا تريد مواجهة أسباب انتحارك؟ لستُ خائفًا من السقوط مثلك يا "تانو". حقيقي، أصدق أن السقوط لا يقلقك، ولهذا لا تريد مواجهة دافعك للانتحـار. قد يكون هذا دافعك، ولكنه ليس دافعي. يجب أن تكون قد اهتممـت بـه عـلى الأقـل. إنـك معتوه. انتحر من أجل ابنـك يـا "روني". لا تـدخل ابنـي في هـذا الهـراء. ابنـك في هـذا الهـراء بالفعل. وقف "روني" وجذبـه مـن ياقـة قميـصه. أبعـدهما "مـارتن" و"جوسـتافو" عـلى قـدر استطاعتهما. أجلساهما. راقب "إلتانو" و"روني" بعضهما البعض. إنـك فاشـل يـا "روني"، ولهـذا يتعاطى ابنك المخدرات. تحرك "روني" ليمسك في خناقه مرة أخرى. إنك ابن عاهرة لعين. دعه يا "روني". سأضربك ضربًا لن تدري بعده شيئًا. يكفي هذا. لا تذكر ابني مُجددًا. تركـه. إلى أي مدى تخطط لتنفيذ هذا يا "تانو"؟ ليس هناك أي مدى للخطة، لقد انتهيـت منهـا بالفعـل. لا تفهمني خطأ يا "روني". لقد تخطيت الحدود. لا، هذا حقيقي. إنك وغد. لستُ أنـا مَـنْ يبيـع المخدرات لابنك. ولا أنا. لكنك أوضـحت لـه طريـق الفـشل. ومـا الفـشل يـا "تـانو"؟ هـل أنـا "فاشل"؟ وماذا عنك؟ هل صعق نفسك بالكهربـاء سـينقذك مـن كونـك نـصَّابًا؟ نظـر للاثنـين الآخرين. وأنتما، مَنْ أي نوعية من الفاشلين تكونان؟ مـن نـوعيتي، أم نوعيـة "إلتـانو"؟ فقـال "مارتن":

- عليك أن ترحل يا "روني".

وقال "جوستافو":

- سيكون هذا أفضل.

أخبراه بأن يرحل. لقد أعطوك جوابهما، أعطوني جوابهما، وجودك ليس ملائمًا للظروف. لا، ليس كذلك. ماذا عنكما أنتما الاثنين؟ فقال "جوستافو" بجدية:

- بإمكانك الرحيل يا "روني".

اصطحبه إلى الباب. ذهب "روني"، إلى منزله، إلى بلكونته، البلكون الخاص بنا، مُقتنعًا بأنهم مجانين، ثملى، مغفلون، ولكن - عندما تحين لحظة التنفيذ - لن يفعلوها. سيقتنعون أن هذا كلام فارغ. سيسود القليل من التعقل. لن يكون هناك سباحة، أو موسيقى، لن يكون هناك سلك، أو كهرباء، أو انتحار. كان مُتأكدًا من هذا، كانا مُحقين عندما طلبا منه الرحيل، فـ"جوستافو" و"مارتن" سيتعاملان مع "إلتانو" بطريقة أفضل منه. أو ربما اتفق الثلاثة على هذه الحيلة والآن يضحكون منه ويصبون لأنفسهم كآسًا أخرى. وصل "روني" إلى منزله وصعد السلالم، وجلس وانتظر، مُتأكدًا من أن الأحداث على الجانب الآخر من الطريق ستأخذ منحنى مختلفًا، ومع ذلك، ففي البلكون في الدور العلوي، أثناء شربه الخمر وانزلاق الثلج على بلاط الأرضية. أثناء حديث "فرجينيا" معه وفشله في الإنصات إليها، وأثناء موسيقى الجاز الحزينة المعاصرة. وحفيف أشجار الحور في هواء الليل الثقيل. ما رآه خلال الأشجار أثبت له كم كان مخطئًا.



47



بعد أسبوع من الجنازة، دعا "روني" و"فرجينيا" الأرامل لمنزلهما، احتاجوا تلك الفترة من الزمن لتحضير أنفسهما للقاء. وصلت "كارلا" و"تيريزا" في الموعد بالضبط. أتت "لالا" بعد عشرين دقيقة. التحيَّات الأولى صعبة - مؤلمة جدًّا- النظرات الأولى، الكلمات الأولى، فترات الصمت الأولى. قدمت "فرجينيا" القهوة، سألن عن قدم "روني". أخبرهن بالعملية، والعلاج، وإعادة التأهيل، وبالنسبة لسقوطه، أخبرهن عن سقوطه من دون أن يخبرهن لماذا سقط، ولكن هذا كان كافيًا للتمهيد لموضوع تلك الليلة، حان الوقت، وبدأ، ومرة واحدة أخبرهن عن العظم المكسور والدم المتدفق وكيف أدخلته "فرجينيا" في السيارة وكيف صادفا رؤية "تيريزا" في طريقهما للخروج من نادي البلدة:

- لم أعتقد أنهم قادرون على فعل هذا، لم أعتقد أنهم سيفعلونها حقًا.

لم يفهمنه، وبالتالي، أخبرهن "روني" - بقدر ما استطاع - عن خطة "إلتانو"، وعن اكتئاب "مارتن يوروفيتش"، وكيف بدأ "إلتانو" حكي القصة، قصة موته، والتي لم يعرها "روني" أي اهتمام. لم يذكر الدافع الذي استخدمه ليقنع "جوستافو"، فليس هناك حاجة لذلك. بكت "كارلا"، بينما كررت "لالا" عبارة "ابن العاهرة" عدة مرات. من دون أن توضح إذا ما كانت تشير بهذه العبارة لزوجها أم "إلتانو"، أم إلى "روني". لم تستطع "تيريزا" استيعاب كل ما قيل.

- تقصد أنها لم تكن حادثة؟

- لا أعتقد هذا.

- هل انتحروا؟

- نعم، انتحروا.

فقالت "تيريزا":

- لا يمكن هذا، لم يخبرني أبدًا بأي شيء.

وقالت "لالا" مرة أخرى:

- ابن العاهرة.

فقالت "فرجينيا":

- لا بد أنه فكر في أن هذا سيكون أفضل لأجلك وأجل ابنائك.

فأجابت "لالا" - بصيغة المضارع - وكأن "إلتانو" لا يزال حيًا:

- لم يفكر. "إلتانو" هو مَنْ يقوم بكل التفكير.

فحاول "روني" أن يشرح:

- لا أعتقد إن كان لاحظ أي منا - مُبكرًا بالقدر الكافي - مدى مرض "إلتانو".

فقالت "تيريزا" وما زالت غير فاهمة:

- ولكنه لم يكن مريضًا، لدينا مشاريع، كنا سنسافر في الإجازة.

وسألت "كارلا":

- وماذا عني؟

لم يجب أحد، فسألت مرة أخرى:

- كيف أقنع "إلتانو" "جوستافو"؟

فأجاب "روني":

- لا أعرف، اعتقدت أنه فشل في إقناعه.

فقالت مُنتحبة:

- يا إلهي.

قال "روني" وكأنه يبرئ نفسه:

- إنني آسف، وددت أن أجنبكن هذه المحنة، ولكنكن في حاجة إلى أن تعرفن.

سألت "لالا":

- مَنْ قال إننا في حاجة لأن نعرف؟

لم تستطع "كارلا" التوقف عن البكاء، ذهبت إليها "فرجينيا" وساعدتها، احتضنتا بعضهما البعض، تركت "لالا" الغرفة، صافعة الباب وراءها.

لا تزال "تيريزا" غير قادرة على فهم ما قيل:

- لم يكن مريضًا، أقسم بأنه لم يكن مريضًا.

جلسوا الأربعة في صمت طويل انقطع فقط بنحيب "كارلا"، ثم سألت "تيريزا":

- أمتأكد مما تقوله؟

- متأكد تمامًا.

صمت آخر ثم أرادت زوجة "إلتانو" أن تعرف:

- وهل سيغير هذا من الأمور في شيء؟

فأجاب "روني":

- إنها الحقيقة، لا تغير أي شيء، ولكن الأمر هو: أنكن الآن تعلمن حقيقة ما حدث.

لم تمر ساعتان على اللقاء الذي أخبر فيه "روني" الأرامل بأحداث تلك الليلة، حتى وصل "إرنستو أندرادي" و"ألفريدو إنسوا" لمنزل "روني"، أرادا التحدث معه على انفراد، لم يقولاها صراحة، لكن "فرجينيا" أحست بهذا فذهبت للمطبخ

واستغرقت وقتًا أطول من المعتاد في إعداد القهوة، آملة أن تتجنب الأمر الكريه بأن هذا الحديث "ليس للنساء"، بدأوا بالتحدث عن شيء آخر.

- أيعرف أي أحد مستوى المخاطرة الذي وصل إليه البلد اليوم؟

لم يعرف أحد.

- تأزمت الأمور، إن كان لديك مال في البنك، اسحبه يا "روني". أخبرني بهذا مصدر ثقة.

- كل ما لديَّ في البنك هو الديون.

- آمل أن تكون ب"البيزو".

- هل سمعتما أي شيء عن صناديق الودائع الآمنة؟

وهكذا، حتى وصلا أخيرًا للموضوع الذي أتيا ليناقشاه، حيث سأل "أندرادي":

- هل يعلم أي شخص آخر غيرك أنت و"فرجينيا" بأمر الانتحار المُفترض؟

- حتى الآن حكيته فقط لـ"لالا"، و"كارلا"، و"تيريزا".

- ولماذا تقول "حتى الآن"؟

- لا أعرف، لأن هكذا تجري الأمر، لأن هذا ما فعلته حتى الآن.

- "روني"، لا يمكن أن يكون انتحارًا.

- نعم، أعلم أنه من الصعب استيعاب الأمر.

- لا يهم استيعابه يا "روني"، إنها الحقيقة وحسب: ببساطة ليس هناك انتحار.

- ولكنني كنت هناك، سمعتهم يخططون لهذا، ولكنني لم أصدقهم، وإلا...

فقال "إنسوا":

- ولا تصدقها الآن أيضًا، فالانتحار لـن يـساعد أحـد، قـل لي: ألم تفكـر أنـه لـو كـان الأمـر انتحارًا، ستُترك تلك النساء من دون سقف فوق رؤوسهن؟

لم يجب "روني".

- تفهم ما أتحدث عنه، أليس كذلك؟

- كيف لي ألا أفهمه وقد شرحه "إلتانو" بنفسه لي؟

- بالطبع، إنك مُحق، سنساعد الأرامل ليفهمن كل تلك الفوضى التي حلّت بهن. "إرنستو" في الأمور القانونية وأنا فيما يتعلق بالتأمين.

وأوضح "إنسوا":

- ولكننا لن نساعد "كارلا"، لأنها منعزلة ولن تقبل أي مساعدة.

استأنف "أندرادي":

- ما نفهمه من ذلك هو: إن لم يتمكنّ من صرف التأمين، سيتدمرن بالكامل يا "روني"، فلو بدا أدنى شك بخصوص الانتحار، حتى وإن كان صغيرًا، سـتبدأ الـشركة في التحقيـق، وسـتنفتح أبواب جهنم ولن ترى أولئك النسوة المساكين أي مليم طيلة حياتهن.

- لم أفكر أبدًا بشأن التأمين.

- هذا مفهوم، فأنت متأثر بشدة بهـذا الأمـر، ولا عجـب في أنـك لا تـرى الـصورة كاملـة، ولكن هذا يتطلب المزيد من التفكير الواضح الصافي ومن حُسن الحظ أننا هنا للقيام بهذا.

أحضرت "فرجينيا" القهوة، فصمت الجميع. أعطت لكل منهم فنجانه، وتبادلت النظـرات مع زوجها وعادت خارجة بالصينية الفارغة:

- هل ترى كيف تسير الأمور يا "روني"؟

- أردت فقط أن أعلمهن بالحقيقة.

- أجل، نعرف هذا، ولكن العالم مليء بالنيات الحسنة يا "روني"، وبطرح سؤال ما إذا كنت قد فعلت الأمر الصواب أم لا جانبًا، لأنني بماذا سأستفيد لو كان من الأفضل لتلك النسوة الاعتقاد بأن أزواجهن ماتوا نتيجة حادث صعق بالكهرباء أو عن عمد، أليس كذلك؟ ولكن فلنترك هذا جانبًا.. اترك هذا.. والآن لا أذكر ما الذي كنت سأقوله.. سأتذكره في أي دقيقة.

- الأهم هو أن تضع تلك النسوة أيديهن على التأمين يا "روني".

- هذا ما كنت سأقوله.

- اعتقدت أنه من حقهن معرفة الحقيقة.

- ربما كذلك، مَنْ يعلم؟ فلست خبيرًا في علم النفس، ربما تساعدهن معرفة الحقيقة في طوي صفحة تلك المأساة الغامضة ويلاحظن أن أزواجهن كانوا غالبًا.. حسنًا، أبطالًا.

فاندهش "روني":

- ماذا تقصد؟

- يجب أن تكون لديك الشجاعة لفعل ما قام به هؤلاء الفتية.

- انتحروا ليتركوا شيئًا لأسرهم، ألا يوجد هناك شيء بطولي في هذا؟

استمع "روني" كما لو كان كل منهما يقول الشيء نفسه، يكررون أنفسهم. لم يقل شيئًا. أخذ يقلب قهوته ويضيف السكر، يفكر. لم أكن بطوليًّا، كنت جبانًا، وصحح لنفسه، أو أنهم كانوا جبناء لأنه - ومن ناحية أخرى - ما الذي جعلني أرفض الفكرة؟ نوع أخر من الجُبن، أو الفشل، مثلما قال "إلتانو"، شخص يتشبث بالحياة بشكل مُثير للشفقة، أم ماذا؟ كل هذه الأشياء، أم لا شيء منها.

قال "أندرادي" بحزم:

- نحتاج معرفة إن كان بإمكاننا الاعتماد على صمتك.

نظر "روني" لأعلى ولمح "خواني"، الذي كان يراقبهم أثناء هبوطه، تابع الرجلان نظرته ورآه أيضًا:

- وصمت أسرتك.

- ستعتمد الأرامل على هذا أيضًا، لا نستطيع خذلانهن.

- أسوأ ما قد يمكن وقوعه لهؤلاء الرجال هو انتحارهم من أجل لا شيء.

وقف "روني" بقدر ما سمحت له جبيرته بذلك، ونظر لـ"خواني" ثم إلى الـرجلين الجالـسين أمامه:

- لقد فهمت الرسالة، والآن أحتاج للراحة.

- بإمكاننا الاعتماد عليك إذن.

لم يجب "روني"، ولم يتحرك الرجلان، نزل "خواني" المزيد من الدرجات:

- هل من الجيد قول إنه بإمكاننا ترك الأمر على هذا؟

مشى "خواني" باتجـاه أبيـه، حـاول "روني" التقـدم للبـاب بجبيرتـه، آمـلًا أن يقـود جيرانـه للخارج، تعثَّر وأمسكه "خواني". لم يتحرك الرجلان. قال "خواني":

- ألم تسمعا أبي؟ حان وقت الرحيل.

نظر "أندرادي" و"إنسوا" له ثم إلى "روني":

- فكر بالأمر يا "روني"، لن تجني شيء بترويجك التفاصيل.

- لا أهدف لجني أي شيء: هذا ما لا تستطيعان فهمه كما يبدو.

- فكِّر بالأمر.

سار الرجلان باتجاه الباب دون أن يصاحبهما أحد. لم يتحرك "خواني" من جوار أبيه، ومـن مكتب المطبخ، راقبت "فرجينيا" رحيلهما.

48



نظرت لزوجي وابني، واقفين معًا، فسألت:

- ماذا سنفعل؟

فأجاب "روني":

- لقد فعلنا بالفعل ما كان علينا فعله.

ولكن "خواني" نظر إلينا:

- وماذا إن لم تكن هذه هي الحقيقة؟

لم نفهم شيئًا، فقال:

- اصعدا، أريد أن أريكما شيئًا.

ساعدنا "روني" على صعود السلالم، وفي غرفة "خواني"، كانت "رومينا" جالسة على طرف الشباك في انتظارنا، لم أعرف أنها هنا، كانت مُمسكة بكاميرا الفيديو الرقمية الخاصة بأبيها. طلب منا "خواني" أن نجلس على السرير. كان التليفزيون مفتوحًا وعلى شاشته مراسل يعلن عن هجوم وشيك من جانب الولايات المتحدة ضد الدولة التي يقولون إنها المسؤولة عن تفجير البرجين. أعلن رئيسهم عبر الشاشة:

- جنودنا جاهزون وسيشعروننا بالفخر.

أخذ "خواني" كاميرا الفيديو إلى التليفزيون، وفي ثوانٍ قليلة وصّل بعض السلوك، وفكّ أخرى واستبدل صورة الرئيس بالفيديو من الكاميرا، وقامت

"رومينا" بمساعدته. سلّمت له الأسلاك الضرورية، في البداية لم ألحظ ما الذي كان يعرضه لنا، حيث كنت متأثرة ببراعة ابني التكنولوجية، كنت لأستغرق اليوم كله لفرز تلك التوصيلات، إذا ما افترضنا استطاعتي إتمام العمل على الإطلاق. كان تعبير وجه "روني" وطريقة إمساكه لرأسه وعيناه مثبتتان على الشاشة هو ما جعلني أركز على الصور التي أمامي. لم تكن جودة الصورة عالية، ولكن ليس هناك شك فيما تعرضه: حمام سباحة منزل "سكاليا".

تم تصوير الفيلم من أعلى، وكأن الشخص المُمسك بالكاميرا قد تسلّق لأفضل موقع للمراقبة. قال "خواني":

- نتسلق الأشجار.

الآن لاحظت أن تلك الظلال التي تترك وتعيق الرؤية، كانت أوراق الأشجار. "مارتن يوروفيتش" يطفو في المياه بالفعل بوضع نجمة البحر مُمسكًا بعوامة. أمسك العوامة بيد وبحافة حمَّام السباحة باليد الأخرى، بينما يضع "إلتانو" جهاز الإستريو بالقرب من السلالم. قال "روني":

- الإستريو.

عرفنا جميعًا ما يقصده. امتد سلك التوصيل عبر الأرض من قبس الكهرباء في البلكون بالأعلى، ومرر "إلتانو" الشبكة ذات الذراع الطويلة التي يستخدمونها في إزالة أوراق الشجر من حمَّام السباحة تحت السلك، ولفّه حولها، تاركًا طرف الذراع قُرب حافة حمَّام السباحة، قريبًا جدًّا منه، بينما كان "جوستافو" جالسًا على طرف حمام السباحة، وقدماه في المياه. لم يسمح بُعد المسافة من التأكد إذا كان يبكي أم لا، ولكن وضع جسده، ورجفته وتشنجاته القليلة أكدت أنه كان يبكي بالفعل.

عندما أنهى "إلتانو" ترتيب كل شيء، نزل للمياه وشرب من أحد الأكواب الثلاثة المصفوفة بجانب حمَّام السباحة. تحرّك فرع شجرة وغطّى للحظة عدسة الكاميرا، ثم ظهر "إلتانو" مرة أخرى يتحدث إلى "جوستافو"، لم نسمع

ما كان يقوله، ولكن "جوستافو" كان يهز رأسه، بدا وكأن "إلتانو" يعنفه. أمسك بـذراع الرجـل بـشدة بعـد أن واجـه رفـضه، أبعـده "جوسـتافو"، فحـاول مـرة أخـرى الإمـساك بـه، أفلـت "جوستافو" مجددًا، وبَّخه "إلتانو" كما لو كان طفلًا. لم نسمع كلماته، ولكـن الإيمـاءات كانـت واضحة. انهار "جوستافو". انتحب، مُسندًا مرفقيه على ركبتيه ويداه على وجهه. أصبح بكـاؤه الآن ظاهرًا. اهتز كتفاه مع أنفاسه المُتقطعة. أمسك "إلتانو" برقبته وسحبه إلى حمام السباحة وفي الحال استخدم العصا لانتزاع سلك التوصيل من جهـاز الإسـتريو، كـما لـو كـان هـذا جـزءًا متصلًا بحركة جذب "جوستافو". كان "يوروفيتش" لا يزال طافيًا. طفا "جوسـتافو" عـلى سـطح الماء على الرغم من مجهودات "إلتـانو" لإبقـاء رأسـه أسـفل سـطح المـاء بيـده الفارغـة، لكـن "جوستافو" كان أقوى وأصغر من "إلتانو"، واسـتطاع إبعـاده عنـه مـرة أخـرى أثنـاء محاولتـه للوصول لحافة حمام السباحة، أمسك بالحافة، ولكن كان الأوان قد فات. لم يـستطع الخـروج، فباليد الأخرى - ليست التي سحبت "جوستافو" وحاولت إبقـاءه تحـت المـاء - غمـر "إلتـانو" الطرف العار من سلك التوصيل القريب منه في الماء، فانـدفعت الكهربـاء في حـمَّام الـسباحة. تصلّبت أجسادهم، ثم غرقت. تحركت المياه. حلّ ظلام تام. انطفـأت كـل المـصابيح الخارجيـة وتوقفت الموسيقى. ثم بدأت الكاميرا بتسجيل صور مجنونة، مُظلمة جدًّا، تُرى بالكـاد: أوراق الشجرة التي ينزل من عليها الآن "رومينـا" و"خـواني"، الأرض تحـت أقـدامهما أثنـاء جـريهما، صوت "رومينا" تقول:

- ماذا سنفعل؟

ثم الأرضية المظلمة مرة أخرى، ضوضاء الجري، التنفس السريع، وخلفية سوداء.

ظللت أنا و"روني" هادئين، من دون أن نجد كلـمات لنقولهـا، انتظـر "خـواني" و"رومينـا". سأل "خواني":

- هل كان بإمكاننا إنقاذهم؟

قال "روني" مُتشككًا:

- لقد قتله.

أصرّ ابني:

- هل كان بإمكاننا؟

نظرت إلى "روني"، علمت فيما كان يفكر وقلت سريعًا:

- لم يكن باستطاعة أحد إنقاذهم.

التفت "روني" لـ"رومينا":

- هل رأى أبوكِ هذا؟

- لماذا؟ كان سيتكتم عليه كما تكتم على الانتحار، فأرملة القاتل لن تستطع المطالبة بالتأمين أيضًا.

سقطنا في الصمت مرة أخرى، لم يجرؤ أحد منا نحن الأربعة في التعبير عن رأيه بصراحة.

سأل ابني أخيرًا:

- وماذا بعد يا أبي؟ هل نأخذ هذا إلى الشرطة؟

فأجاب "روني" سريعًا:

- لن يسامحونا أبدًا.

فأصرّ "خواني":

- مَنْ؟

فأجبت:

- أصدقاؤنا، معارفنا.

فسأل ابني:

- وهل هذا مهم جدًّا؟

فأجاب أبوه:

- إنني خائف مما قد يحدث لنا.

فقال "خواني" وعيناه ممتلئتان بالدموع:

- أيًا كان ما سيحدث لنا فلقد حدث بالفعل يا أبي.

تقدمت "رومينا" خطوات للأمام ووضعت ذراعيها حوله، احتضنته. جسدها كله كان ملتصقًا به. فسأل مرة أخرى:

- ماذا سنفعل إذن؟

أجاب "روني":

- لا أعرف.

نظر "خواني" إليّ، مُنتظرًا أن أقول شيء ما، تثبتت عيناه المليئتان بالدموع عليّ، شعرت بالعجز والوحدة، أرملة بمعنى الكلمة باستثناء الواقع.

فقال "روني" مرة أخرى:

-لا أعرف.

وقال "خواني":

- لا تعرف؟ هناك أوقات لا يكون لديك فيها اختيارات سوى أن تعرف، تعرف حتى وإن كنت لا تريد أن تعرف، إما أن تكون مع هذا الجانب أو الآخر، ليس هناك بديل: اختر جانبًا.

عجز "روني" عن الكلام. لذلك تكلمت نيابةً عنه، طلبت من "خواني" أن يساعد أباه في نزول السلم، وتبعتنا "رومينا"، أركبناه نحن الثلاثة السيارة الجيب، ومددت ساقه المُجبسة بحرص، ثم أحنيتها مرة أخرى قبل أن أغلق الباب، دُرت إلى الجانب الآخر وجلست خلف عجلة القيادة، نظرت لـ"روني": كان يحدق أمامه،

ليس على شيء مُعين، لم يكن هو أو أنا متأكدين ممَّا كنَّا سنفعله، لكن "خـواني" كـان مُتأكـدًا، ولم أكد مستعدة للسماح له بالقيام بهذا وحده.

نظرت في المرآة، علّق "خواني" الكـاميرا حـول عنقـه وأمـسك بيـد "رومينـا"، أدرت المفتـاح واشتغل المُحرك. حركت عصا ناقـل الـسرعات واتجهنـا إلى حـاجز الخـروج. أثـار النظـر حـولي شعورًا غريبًا داخلي، فنحن بالفعل في شهر أكتوبر من العام الأول للقرن الجديـد. بـدا الربيـع جميلًا، حيث اختفت أزهار شجر إكليل الزفاف، التي عادة ما تستمر حتى وقـت متـأخر مـن نوفمبر. امتلأت بعض المنازل بالزنابق والماجنوليا البيضاء المختلفة، وهذا غريب، فعادةً لا ترى تلك الزهور في أواخر الصيف، ولكنها كانت موجودة، وكأن الطبيعة أحست بديسمبر يلـوح في الأفق.

عندما وصلنا للحاجز، كانت يداي تتعرق، شعرت وكأنني في أحد تلك الأفـلام التـي يكـون فيها على المهاجرين غير الشرعيين عبور الحدود. كان "روني" شاحبًا، حذَّرنا الحارس:

- توجهـوا مبـاشرة إلى الطريـق الـسريع مـن دون العبـور خـلال "سـانتا ماريـا دولـوس تيجرسيتوس". لا تأخذوا هذا الطريق، هناك تحذير أمني.

فسألته:

- ماذا حدث؟

- تبدو الأمور بشعة.

- هل أغلقوا الطريق؟

- لا يمكنني قول هذا، ولكن حتى سكان "تيجرسيتوس" أنفسهم يقيمـون المتـاريس، إنهـم خائفون من قدوم الغرباء.

فسألته:

- مَنْ؟

- سُكَّان الأحياء الفقيرة، على ما أعتقد. من الواضح أنهم نهبوا أماكن في الجانب الآخر من الطريق السريع، ولكن لا تقلقوا، إننا مستعدون لهم هنا، فإذا أتوا، فسنكون في انتظارهم.

قالها وهو يشير في اتجاه حارسين يمسكان البنادق ويقفان على أحد جانبي الطريق، بجوار زهور الأزاليا.

نظرت أمامي إلى الطريق المؤدي للطريق السريع. كان مهجورًا، مررت بطاقتي في الماكينة الإلكترونية وارتفع الحاجز. راقبتني عينا "خواني" و"رومينا" في المرآة، نقر "روني" على فخذي ليجذب انتباهي، بدا مرعوبًا.

سألته:

- هل أنت خائف من الخروج؟



صدر في سلسلة #كتب_مختلفة:

	العنوان	المؤلف	البلد
1.	أرامل الخميس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
2.	كلي لك	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
3.	مشروع زوجة	جرايم سيمسيون	أستراليا
4.	الثلاثة	سارة لوتز	إنجلترا
5.	شركة الحب المحدودة	أندريه سنار ماجنسون	أيسلندا
6.	احترس من جوعي	لوتشانا كاستيلينا	إيطاليا
7.	الحب لم يعد مناسبًا	ميلا فينتوريني	إيطاليا
8.	سارق الجثث	باتريسيا ميلو	البرازيل
9.	السيمفونية البيضاء	أدريانا ليسبوا	البرازيل
10.	مقبرة البيانو	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
11.	صانع الملائكة	شتيفان بريجش	بلجيكا
12.	مخاوفي السبعة	سلافيدين أفيدتش	البوسنة
13.	جامع الكتب	جوستابو فابيرون باترياو	بيرو
14.	أبسنت	أيفر تونش	تركيا
15.	خطايا الأبرياء	برهان سونماز	تركيا
16.	أحلام محطمة	بيولانت سينوكاك	تركيا
17.	ارحل قبل أن أنهار	تونا كيرميتشي	تركيا
18.	امرأة صديقي	تونا كيرميتشي	تركيا
19.	الصلوات تبقى واحدة	تونا كيرميتشي	تركيا
20.	مينتا	سولماز كاموران	تركيا
21.	ديستينا	ماين كيركانات	تركيا
22.	نساء اسطنبول	مجموعة قصصية	تركيا
23.	توباز	هاكان جنيد	تركيا
24.	لون الغواية	هاندي ألتايلي	تركيا
25.	الشيطان امرأة	هاندي ألتايلي	تركيا
26.	ديتوكس	سوزانا برابتسوفا	التشيك
27.	حدث في كراكوف	بيترا هولوفا	التشيك
28.	كل هذا ملكي أنا	بيترا هولوفا	التشيك
29.	سرادق طائر البطريق	إميل هاكل	التشيك
30.	كافكا	فرانز كافكا	التشيك
31.	المواطن فانيك	فاتسلاف هافل	التشيك
32.	المبعدون	أوجنين سباهيتش	الجبل الأسود

33. امرأة للبيع	أورشولا كوفاليك	سلوفاكيا
34. خلف طاحونة الجبل	مجموعة قصصية	سلوفاكيا
35. ربيع البربر	يوناس لوشر	سويسرا
36. بكين.. بكين	شيو تسي تشين	الصين
37. النجمة الحمراء	يركسي هوملانبيك	الصين
38. رقصة الكاهنة	جين رينشوين	الصين
39. المغفل	إريك نويوف	فرنسا
40. المجاعة البيضاء	آكي أوليكانين	فنلندا
41. النسيان	إيكتور آباد	كولومبيا
42. القنّاص	بلايز ماينفسكي	مقدونيا
43. الواحد والعشرون	توميسلاف عثمانلي	مقدونيا
44. إلينج	إنجفار أمبيورنسون	النرويج
45. صيف بارد جدًا	روي ياكوبسن	النرويج
46. جوي سبيدبوت	تومي فيرينيجا	هولندا
47. العشاء	هيرمان كوخ	هولندا

كتب عامّة مترجمة:

48. هاربون من الموت	فولفجانج باور	ألمانيا
49. قانون التسامح	هوبرتس هوفمان	ألمانيا
50. الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟	جيرالد هوتر	ألمانيا
51. الهاشميون وحلم العرب	روبرت ماكنمارا	أمريكا
52. الصراع الطبقي في أفريقيا	ليو زيليج	أمريكا
53. الهندي الأحمر الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
54. يوميات صحفية إيطالية	جوفانا لوكاتيلي	إيطاليا
55. قوة المستضعفين	فاتسلاف هافل	التشيك
56. أوروبيانا	باتريك أورشادنيك	التشيك
57. الثورة التشيكية	مجموعة مؤلفين	التشيك
58. ذكريات الصين	تشين يو	الصين
59. جابو	أوسكار بانتوخا	كولومبيا
60. الجري	ثور جوتاس	النرويج
61. عقول مريضة	دوي درايسما	هولندا

#كتب_مختلفة #الأرجنتين



نهض "روني" مرةً ثانيةً وذهب للسور لكي يرى بطريقة أفضل. شرب آخر قطرة ويسكي بكأسه. كان يقف حائلًا بيني وبين ما يراقب بهذا الاهتمام.
فجأة، سمعت صوت ارتطام شيء ما بالمياه، غالبًا قفز أحد عائلة "سكاليا" في حمّام السباحة.
فسألته:
- مَنْ قفز؟
لم أتلق إجابة، وفي الحقيقة لم يهمني مَنْ قفز في حمام السباحة، ولكنني اهتممت بالصمت، الذي كان مثل الحائط الذي ظللت أقرع عليه في كل مرة حاولت فيها الاقتراب. وبعد أن تعبت من المحاولات العقيمة، قررت أن أنزل، ليس لأنني تضايقت، ولكن لأنه من الواضح أن "روني" ليس معي على الإطلاق، بل كان يتخيل نفسه هناك على الجانب الآخر من الشارع، يلقي بنفسه في حمام السباحة مع أصدقائه.



كلاوديا بينيرو

وُلِدَتْ "كلاوديا بينيّرو" في بوينوس آيرس (الأرجنتين) عام ١٩٦٠. تخرجت في كلية التجارة عام ١٩٨٣ لتبدأ حياتها العملية محاسبة لمدة ١٠ سنوات. ثم تُغَيِّر مسار حياتها فاتجهت إلى الصحافة، وعملت صحفية لسنوات طويلة حتى فازت عام ١٩٩٢ بجائزة "بيلياد" الصحافية. وقد اتجهت مُؤخرًا للكتابة الأدبية والفنية؛ حيث ألفت العديد من الروايات والمسرحيات، وكتبت السيناريو للتليفزيون. وكانت رواية "لص بيننا" أول عمل إبداعي صدر لها سنة ٢٠٠٤، وفي العام نفسه كتبت مسرحية "الكثير في الثلاجة". وقد حصل البعض من مؤلفاتها الأدبية على جوائز كبيرة ـ مثل: جائزة كلارين الأدبية عن روايتها ــ الأكثر مبيعًا ــ "آرامل الخميس" التي نقدمها لكم، والتي تم تحويلها إلى فيلم تحت نفس العنوان عام ٢٠٠٩، كما نالت الجائزة الأدبية الألمانية عن رواية "إلينا تعرف"، وجائزة سور خوانا إنيس دو لاكروز عن رواية "شقوق جارار"، ووصلت روايتها الجميـلة "كُلي لك" التي نُشرت في بوينوس آيرس عام ٢٠٠٦، والتي قدمناها للقاريء العربي في يناير ٢٠١٦، إلى التصفيات النهائية لجائزة "بلانيتا"، وحققت أعلى المبيعات في الأرجنتين، إسبانيا، وألمانيا. وتَحَوَّلت إلى فيلم سينمائي هذا العام (٢٠١٥) وكان بعنوان "TÚYA".

العربي للنشر والتوزيع

60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة
ت: 27954529 - 27921943 فاكس: 27947566
www.alarabipublishing.com.eg


ISBN 978-977-319-308-9



تصميم الغلاف: Plus Two